حروف... ونقاط

في
هذا العدد
من (حروف عربية)
احتفاء بثلاثة مظاهر تكريم
للخط العربي أولها: ملف الخطاط
والباحث العراقي المعروف يوسف ذنون الموصلي،
وهو علم له قامته وفضله. و ثانيها: مؤتمر نحو
خط عربي أفضل (٢٠ - ٢٢ يوليو ٢٠٠٤)، الذي عقدته مكتبة
الأسكندرية وقدمت فيه الكثير من البحوث القيمة في الخط العربي.
وثالثها: فعاليات الخط العربي في «معرض فرانكفورت للكتاب» في ألمانيا
(٥-١١ أكتوبر ٢٠٠٤)، حيث كان العالم العربي ضيف الشرف فيه، فقدمت فيه
ألوان من الثقافة العربية العلمية والفكرية والإبداعية، وكان الخط العربي من
أبرز فقرات هذا البرنامج الاحتفالي من خلال عدد من المعارض والندوات، وقد
شهد الخط العربي حضوراً بارزاً على المستويين المحلي والعالمي في أكبر
تظاهرة عالمية مما يعد مؤشراً إلى صعود عصر الخط العربي
وازدهاره من جديد. وكانت «حروف عربية» حاضرة في هذا
المعرض لإبراز فعاليات الخط العربي و إيلائها ما
تستحقه من اهتمام، فتحية للجنة الإعداد
والتحضير، والشكر موصول لكل من
أسهم في تأكيد حضور الخط
العربي والإسفار عن
وجهه الفني
المضيء.

رئيس التحرير

مقدمة في جماليات الخط العربي

د. شاكر لعيبي*

لنترك جانباً القصص المتعلقة بأصل الخط العربي، ولنتوقف أمام تلك البرهة التي تبلور فيها هذا الخط كفنٍ جميل ذي أصول واضحة. وعندما نقول إنه امتلك أصولاً فإننا نعني شيئين: الأول أنه امتلك أفكاراً عن تمظهرات محددة لما هو جميل، في حقل عمله. ثانياً أنه امتلك تقنيات من أجل إظهار هذا (الجميل)، ونضع الجميل بين مزدوجين خشية من المفردة. هاتان النقطتان تخصّان بشكل وثيق، الأفكار الرئيسة لهذا الكتاب[1].

لقد جرى على الدوام، في القديم والحديث، النظر إلى الخط العربي، من طرف أبناء الشعوب الأخرى، ممن لا يقرؤون العربية، بوصفه من دون كثير نقاش (فناً جميلاً). وهذا هو بالضبط فحوى الحكاية التالية التي يرويها الصولي في (أدب الكاتب)، «عن **ابن الترجمان**، وكان الواثق أنفذه إلى ملك الروم بهدايا، قال: وافقتُ لهم عيداً فرأيتهم قد علقوا على باب بيعتهم كتباً بالعربية منشورة، فسألتُ عنها، فقيل هذه كتب **المأمون** بخط **أحمد بن أبي خالد الأحول** استحسنوا صوره وتقديره فجعلوها هكذا. فحدثت أنا بهذا الحديث **أبا عبيد الله محمد بن داود بن الجراح** المعتمد فقال: ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل؛ وما أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه، والطاغية (أي ملك الروم) لا يقرأ الخط العربي، وإنما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه»[2].

وهذه هي إذن غواية الخط العربي لقطاع كبير من الجمهور الأوربي والأمريكي اليوم، كما هي وفرة عدد الفنانين العرب المعاصرين الذين يسعون لجذب ذلك الجمهور عبر الخط العربي. على أن طريقة صياغة الحكاية أعلاه تثائر بعض الدلالات، المموهة عند القراءة الأولى:

- إنهم قد استحسنوا (صور) الخط العربي. ما هي صوره يا تُرى؟
- إنهم قد استحسنوا (تقديره)، أي تناسباته الشكلية.
- إنهم قد توقفوا أمام (الشكل) forme قبل أي أمر آخر.
- إنهم قد راقهم (اعتداله) و(هندسته) و(مراتبه)، أي تكوينه العام، أو إنشاؤه composition، إذا استطعنا أن نتكلم عن إنشاء في هذا المقام.

القصة تصلح أن تكون، من دون شك، مستهلاً للموضوع الذي يعنينا. لا نحسب أن الإلحاح الجاري اليوم على روائع الخط



• جليل رسولي (إيران)

• (١) نهاد دوكان (فلسطين): استعارة من الخط المغربي. (٢) اقتراب من الخط الصيني

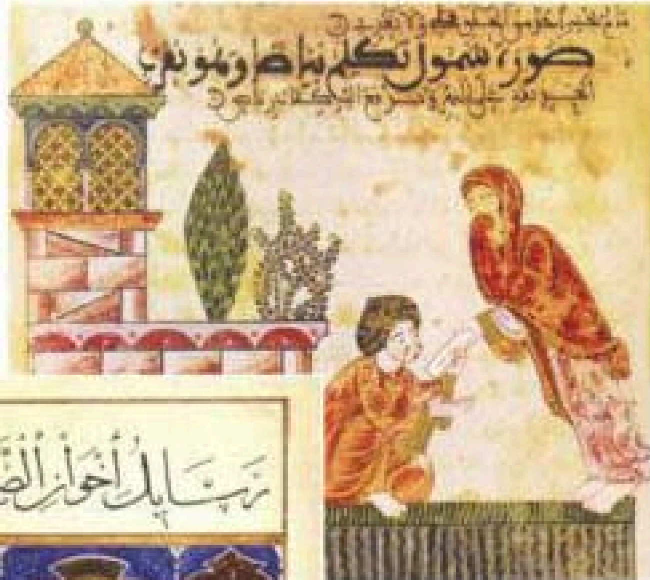
(١) مقدمة كتاب جديد (الخط العربي بوصفه نظرية جمالية وحرفة يدوية) الذي سيصدر قريباً في دولة الإمارات العربية المتحدة.

(٢) يبدو أن ابن مقلة هو الذي تولى كتابة الهدنة بين المسلمين والروم، كما يقول الثعالبي: «فهو إلى اليوم عند الروم في كنيسة قسطنطينية، يبرزونه في الأعياد ويعلقونه في أخص بيوت العبادة، ويعجبون من فرط حسنه، وكونه غاية في فنه» (الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، بعناية محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٥، ص ١١٠). الروايتان تدلان على حدوث واقعة من هذا القبيل بشكل من الأشكال.

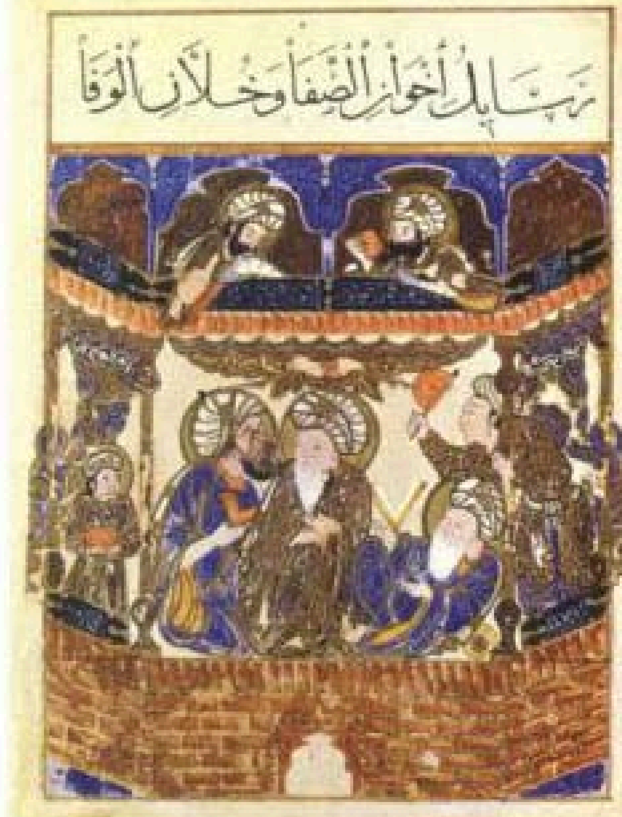
* شاعر وأستاذ جامعي، يعيش في جنيف.

العربي، وروح الخط العربي، وصوفيته، وكشفه للمعنى الباطني، والتوقف المنبهر عند خصوصيتي الإنسيابية والمرونة العظيمتين فيه، وأشهر منجزاته. لا نحسب كل ذلك مفيداً وحده، وإنما من المفيد كذلك استكناه ما قد يكون نظرية جمالية (أو النظريات التي يقوم عليها)، والكشف بوضوح كامل عن طبيعته بوصفه مهنة (كالرسم والنحت)، لها شروط مثل كل مهنة أخرى تستوجب المهنة قواعد وملتزمين بها، وشروطا اجتماعية تعترف بممتهنيها وتمنحهم أجوراً على إنجازاتهم الملموسة. كما تتطلب مثل كل الحرف الأخرى السيطرة على مجموعة من المواد الداخلية في إنتاج المنتوج. إذا ما صدقنا المرويات العربية فلم يكن العرب أول من اكتشف فضائل الخط عموما ومزاياه الجمالية الباهرة. لقد استشهدوا على الدوام بجيرانهم الإغريق في هذا الحقل حتى أننا ننسى أن بعضاً من التعبيرات المتعلقة بجماليات الخط العربي معزوة في كتب التاريخ العربي إلى اليونانيين. يذكر **ابن النديم** (الفهرست): «قال **أفلاطون**: الخط عقال العقل. وقال **أقليدس**: الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية»، والتعبير الأخير معزو عند **الصولي** (أدب الكاتب) إلى **أقليدس** نفسه كذلك. ويضيف الصولي أن التعبير ذاك قد «أخذه النظام، فقال: الخط أصل في الروح وإن ظهر بآلة الجسد». ثم جرى التنويع على هذه الأفكار، حيناً على لسان العرب والناطقين بلغتهم، وحيناً على ألسنة اليونانيين: «قال **يحيى بن خالد البرمكي**: الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول» **الصولي**. «قال **جالينوس**: الخط كلام ميت، واللفظ كلام حي» (محاضرات الأدباء). «قال **أرسطاطاليس**: القلم العلة الفاعلة، والمداد العلة الهيولانية، والخط العلة الصورية، والبلاغة العلة التامية» **الصولي**.

ولعل كلام أرسطو أعلاه بعض من مخترعات المناطقة العرب البارعين، بل لعل جميع ما ينسب إلى الإغريق، بشأن فن الخط، محض ادعاء لا أساس له من الصحة، وذلك من أجل تأصيل عظمة الخط العربي بأصول محترمة ثقافيا مثل الأصل اليوناني الذي كان العرب يكنون له أكبر التقدير. هنالك تنويعات لا نهائية من طبيعة بلاغية وانشائية عن جماليات الخط العربي لا تقدم نظرية عن جماليات الخط بقدر ما تقدم انبهاراً، لغوياً، مفرطاً، بالشكل المرئي دون قدرة على استخدام مصطلح آخر في تحليله، سوى المصطلح الأدبي المعهود:



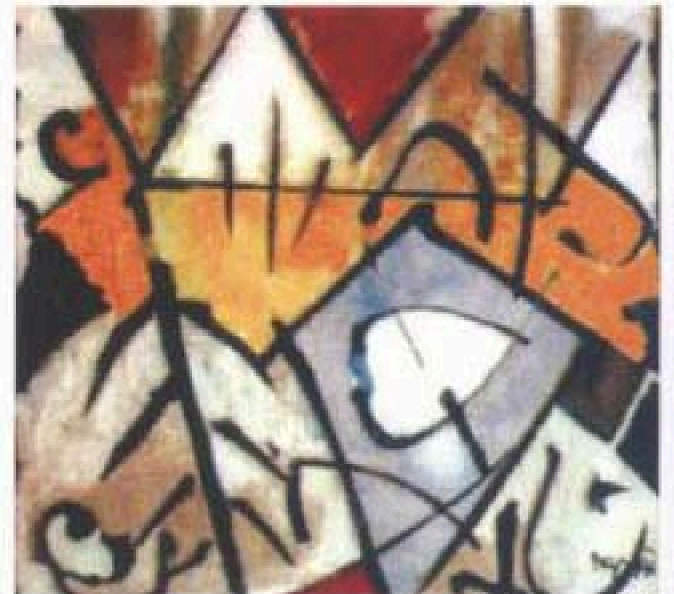
• صفحة من مخطوط قصة بياض ورياض - المغرب - القرن ١٣م



• صفحة من مخطوط رسائل إخوان الصفا - بغداد - ١٢٨٧م

- «الخط رياض العلوم، والخط أصيل في الروح وإن ظهر بحواس البدن» (الفهرست).
- «القلم صائغ الكلام، مفرغ ما يجمعه العلم» (أدب الكاتب).
- «الخط لسان اليد» (البصائر والذخائر).
- «الخط مركب البيان» (البصائر والذخائر).
- «الخط سمط الحكمة يفصل شذورها، وينظم منثورها» (البصائر والذخائر).
- «خط الأقلام صورة هي في الأبصار سود، وفي البصائر بيض» (البصائر والذخائر).
- «الخط جسم روحه الكلام، ولا ينتفع بجسم لاروح فيه» (البصائر والذخائر).
- «الخط هو الطلسم الأكبر» (محاضرات الأدباء).
- «العلم شجر والخط ثمر» (محاضرات الأدباء).
- «الخط للقريب والبعيد، واللفظ للقريب فقط» (محاضرات الأدباء)[3].

لقد كان العرب قادرين على استخدام المصطلح الملائم تماماً في الحقل الأدبي، فلماذا لم يستنبطوا لغة نقدية تليق بحقل عمل الخط العربي، وبالفن عموماً؟ أم أنهم قد فعلوا؟ لنلاحظ أن الفارق بين (الكاتب) و(الخطاط) ملتبس في أدبياتنا العريقة مثلما هو بين (الكتابة) و(الخط)، علماً بأننا نعرف، اللحظة، حدود التداخل في عمليهما اللذين بدوا لبرهة من الزمن وكأنهما شيء واحد، بل أنهما يطلعان مندغمين في المخطوطات العربية المتقدمة التي نرى أمثلة لها في كتاب (مقامات الحريري) الذي رسمه وخطه **يحيى الواسطي** في العراق، وكتاب (المنازل والديار) **لأسامة بن منقذ** الذي خطه **أبو الغنائم** في سوريا. يتوجب وضع الخط بعيداً عن الكتابة قليلاً، ومن أجل فهم أفضل لما نعتقده نظرية جمالية للخط العربي، علينا التذكير بهذا الفارق الرهيف بين (الخط) و(الكتابة)، وهو مالم يجر إلا قليلاً الانتباه إليه، ما عدا **التوحيدي** في ظني حيث يقول (البصائر والذخائر): «وأما الخط فما يخط الكاتب، والفرق بين الكتابة والخط أن الخط قد



• أحمد شبرين (السودان)

(٣) الاستشهادات جميعها منسوبة إلى أشخاص بأسمائهم في الكتب المذكورة. تحاشينا ذكر تفاصيل الطبعات وأرقام الصفحات والناشرين لتنكير على المضمون وحده، وهي ملاحظة تنطبق على غالبية المراجع الواردة في الكتاب.

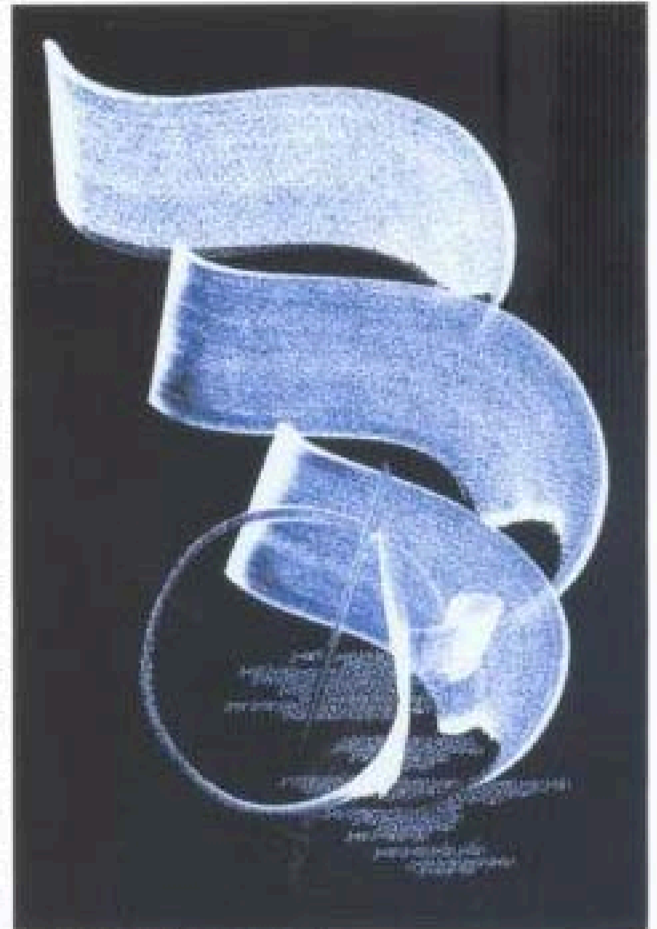
يكون كتابة، والكتابة لا تكون خطأ، وفي كلام **التوحيدي** دلالة بعيدة عن طبيعة الخط العربي الذي يتجاوز شكل كتابته، شكله الظاهري، المرئي، ويتخطى الفضاء المشترك الذي نظن بأنه يجمع من يكتبون الحروف نفسها، نحو إبداع فردي خالص، خاص بالخطاط مرة، ونحو تعقيد جمالي عام للخط مرة أخرى. هذا الفرق يخرج الخط من حقل المألوف، الوظيفي الدواويني، ومن «نمط الوراقين، وتصنع المحررين»، **الصولي**، أي أولئك المشتغلين بالخط في دوائر الدولة الإسلامية، إلى أفق الفن الجميل. لعل التعبير «نمط الوراقين» إشارة إلى التنميط الثابت للكتابة لأغراض الاستنساخ السريع، بينما يشير تصنع المحررين (أو تصنيع المحررين في رواية أخرى)، إلى التكلف الزائد والنزعة التجويدية المتعنتة التي لا تنبثق عن حاجات جمالية فردية.


• بيير سولاج - فرنسا - ١٩٤٨م.

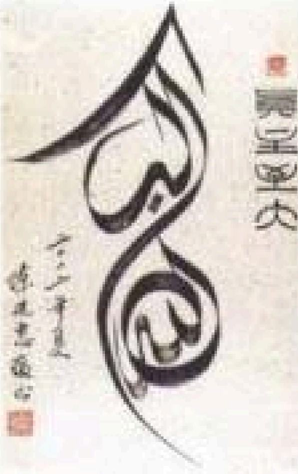
يوجد في الخط العربي، وليس في الكتابات المألوفة، ضرب من الممارسة التي تقرب، إلى حد معقول، الكتابة من الحقل التشكيلي المكتفي بذاته. كيف تتحول قواعد الكتابة العربية التي نزعم أنها مألوفة بالنسبة إلى جميع الكاتبين بها، إلى نمط فني وجمالي في غاية التميز من بين جميع فنون الخط في العالم، ما عدا الخط الصيني وجيرانه؟

تتحول قواعد الكتابة العربية إلى نمط فني وجمالي في غاية التميز من بين جميع فنون الخط.

قد يلزمنا التخلي، دون أنفة، عن استخدام المفردة العريقة (الخط)، واستبدال المفردة اللاتينية (الكاليغرافي Calligraphy)، بها مؤقتاً تلك التي قد تتمكن من نقل الفارق الطفيف، لكن الحاسم، بين الكتابة والخط، ومن ثم بين خط رديء وخط يقع في نطاق جغرافيا الفنون الجميلة. لقد وقع الخط العربي، في لحظة مبكرة من الزمن، في دائرة (البصري)، أي في إطار اللغة البصرية ذات القواعد والقوانين التي لا علاقة لها، بالضرورة بالمعاني والحكم والدلالات والمضامين التي تقولها لغتها. هذا هو السبب الذي يجعلها مقروءة، كلغة بصرية، من قبل من لا يحسنون قراءة معانيها. وهذا هو عين السبب الذي قاد الخط العربي إلى تطورات شكلية، بل وممارسات كاليغرافية أكثر شكلانية، لم تكن في حسبان مخترعيه، أن حروفه تمتلك القدرة على بلاغة شكلية (بلاستيكية) تنتمي إلى طبيعة اللغة البصرية الصافية وحدها قبل معاني الكلام.


• حسن مسعودي - العراق، بتصرف.

لا أحسب أن مراقباً منصفاً سيقول لنا، في هذه اللحظة من تطور الخط العربي، إنه يتوقف بالفعل أمام مدلولات الكلام الفكرية ومعانيه لدى النظر إلى خط عربي موجود على جدار فسيفسائي تاريخي أو مشكاة فاطمية أو على صحن خزفي سمرقندي أو حتى في مخطوطة طبية قديمة، قدر ما يستجيب لقدرة الخط على مداعبة العين بصرياً في المقام الأول. إنني أشدد على هذا المقام الذي لا ينفي ما عداه. إن امتداد الشاسع المتفتح على جميع الإمكانات لحرف الألف، ورشاقة حرف العين التي يبرع الخطاطون المعاصرون، مثل أجدادهم، على اللعب بها شكلياً (بلاستيكياً)، لا علاقة وثقى لها بأية حكمة برانية وفكر سوى ربما بالأفكار والمعاني، المقحمة إقحاماً فيما بعد عليها، والمنظر لها تنظيراً محموماً ذا طبيعة صوفية في الغالب. هذا الحد في النظر إلى الخط العربي حاسم في تفهم طبيعته الشكلية، وفي تفحص أسباب الجمال فيه. وهذا الفحص ليس بدعة من طرفنا، فهو ما فعله بالضبط أسلافنا. لقد استوقفتهم مثلنا الأشكال قبل أن تستوقفهم المعاني. كانت المعاني وربما ما زالت ضاربة الجذور في قلوبنا المكتوية بنار الحكمة، سوى أن فن الخط العربي لا يحسب إلا لحكمة الجمال حساباً. لقد كان يهجر الحكمة اللغوية، اللفظية متوجهاً نحو حكمة (الشكل). من هذا المنطلق، يمثل الخط العربي محاولة عربية جدية في استخدام الأشكال التجريدية والهندسية في خلق عالمه.


• يوسف تشن هوي - الصين.

لقد كانت الحروف ذريعته الكبرى في سبيل ذلك الهدف. إن بعضاً من رافضي مقولة أن يكون الخط العربي محض أشكال بهيجة من دون معانٍ، لا يستطيعون تقديم أدلة، من تاريخ فن الخط العربي نفسه، على اقتران جماله الباهر بتلك المعاني الكبيرة. فقد كتبت البسملة مرات لا تحصى على طول التاريخ العربي الإسلامي، بأشكال مختلفة بحيث انحفر معناها في الذاكرة الثقافية حتى أن لا أحد، بالتالي، سيفكر بالمعنى الجليل، قدر ما ستستوقفه طريقة كتابته. ولقد امتلك الخطاطون طرقاً متنوعة في كتابة البسملة، وتلاعبوا، ليس على معانيها القدسية المباركة، ولكن على أساليب كتابة السين والميم و(الله) و(الرحمن) مستعرضين لنا قدراتهم في (التجويد) واللعب على الألف واللام، أو ضبط الحاء أو التلاعب بحرف الميم. وكذلك فعلوا في «الله أكبر».

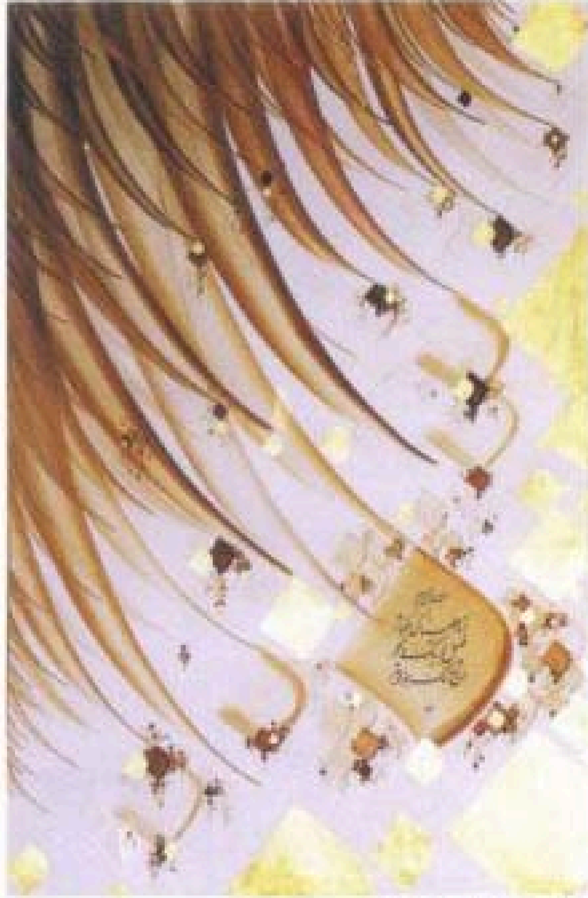
إن مفردة (التجويد) المستخدمة، فيما مضى، كاصطلاح نقدي غامض كلما تعلق الأمر بالخط العربي، كانت تنتوي، في تقديري، التذكير بأن القواعد الأساسية في كتابة الحرف العربي ثابتة ثبوتاً مطلقاً، وبأنها قد قعدت منذ حين. وتذكيرنا أن ما يجري المس به في هذا التجويد، ليس سوى العرض والعارض، أي الشكلاني. إنها تقول لنا في الحقيقة أن المتنوع من طينة واحدة وهو ثابت، على كل حال، مهما اختلفت ضروبه (الفكرية واللغوية والبصرية والموسيقية)، وأن ما يجب التوقف عنده ليس سوى (جودته). هذه المشكلة

حقيقية ليس في تاريخ الخط العربي وإنما تاريخ الفكر الإسلامي نفسه. (الحرف) ثابت و(الشكل) المكتوب به، والمجود به عارض، حسب هذا الفكر النقدي الفلسفي. (الإبداع) الفردي إذن عرضي، و(الحرف) جوهري. هذه القضية تمس بشكل وثيق جميع نواحي الإبداع التشكيلي في الفن الإسلامي، وفيها يتساوى الفن التشخيصي المكروه، وفن الخط العربي التجريدي، المقبول على أن هذه الطريقة في الطرح لم تكن، موضوعيا، ممكنة دائما.

وفيما يتعلق بالخط العربي، كان التقعيد لكتابة الحروف «علم قواعد الخط» كما يقول **القلقشندي**، بمثابة خطوة أولى للتلاعب بالقاعدة، بل كسرها، واختراع (تناسبات) أخرى للحروف المستخدمة نفسها. وللبرهان على ذلك نقول إن المسافة جد معتبرة ومهمة بين الخط الكوفي، الذي قد يكون الأقدم، وبين آخر صيحات الأقلام في العصر العباسي المتأخر، ثم بين الخطوط المستخدمة على نطاق واسع من زمن الدولة العثمانية (الثلث)، والدولة الصفوية (النستعليق)، ثم الإبداعات الشخصية لخطاطين معاصرين **كحسن المسعودي، ومحمد سعيد الصكار، وكمال بلاطة**، أو آخرين.

ومن باب اللعب أو المروق على قواعد الخط كان بإمكان الخطاطين القدامى اختراع أنواع جديدة من الخط، وكان بمستطاع المعاصرين تحويله إلى حقل تعبيري، إلى رسم شبه حر عندما نرى أعمالاً خطية مثل أعمال خطاط اسمه **نهاد دوكان**، سنعجب من قدرة الخط العربي على التحول إلى ممارسة تعبيرية حرة تماما لا تختلف قيد أنملة عن أية ممارسة غرافيكية أخرى.

في الأمثلة التالية نجد أن هناك محاولة للتعبير الغرافيكي عما تثيره معاني الكلمتين (أم، وقلم) في وجدان الفنان. لكن إلى أي حد كان ذلك اللعب على التناسبات المعروفة وذلك المس الجريء بالأشكال الثابتة للحروف، مارقاً عن القاعدة الأصلية لطريقة كتابتها؟ ليس إلى حد القطيعة أبداً، ولا إلى حد الاختراع، مثلاً أشكال حروفية جديدة للتعبير عن الأصوات المنطوقة التي تعبر عنها حروف الأبجدية العربية. لم يكن ذلك ممكناً، وليس بممكن طالما أن حروف الأبجدية لا تستخدم، حصريا، كحقل للممارسة التشكيلية. إنها، قبل كل شيء، حقل للتواصل المعرفي الأشمل، الأبعد في الحضارة والضمير الديني والاجتماعي، ليس بممكن لسبب آخر بالنسبة إلى المشتغلين بالفنون البصرية المسلمين، فقد كانت مساحة المحظور كبيرة، لم يكن باستطاعتهم رسم الكائنات الحية بحرية كاملة، ولا تمثيل الشخوص الآدمية من دون نفع، ولا التعبير عن أنفسهم بمجسمات ثلاثية الأبعاد (نحت)، من دون تفكير. كان الخط العربي، على المستوى الغرافيكي، حقلهم الوحيد تقريباً، وكان يجب استثماره بأقصى الدرجات. لذا طلع الخط العربي وانفجر، وتوسع، وصار حقل تنظيرات جمة، لأنه ببساطة حقل الممارسة الفنية المقبولة اجتماعياً والمباركة دينياً. هكذا سيصير حرف الألف مثلاً، وهو خط مستقيم في نهاية المطاف، مجالاً لممارسات خصبة ستفجر كل إمكانات الخط المستقيم، وسيمنح هذا الحرف جميع التأويلات الغنوصية الممكنة (انظر «الفتوحات المكية» **لابن عربي** على سبيل المثال)، على أن الخط المستقيم ليس شيئاً مستسهلاً وبسيطاً كما توحي جملنا أعلاه، مثلما ليس قليل الشأن تدوير دائرة حرف العين. لقد كان هذان الشكلان الخط المستقيم والدائرة، محور عمل الفن والفلسفة لفترة طويلة ممتدة حتى يومنا الراهن. ومنهما تطلع إشكاليات جمالية ومدارس وتحققات تشكيلية عديدة. كانت الهندسة منذ الإغريقي **إقليدس**، رديفاً للفكر التأويلي الصوفي، ومنذ أن اقترب الفكر الإسلامي باحترام من الفكر الإغريقي، منح حروفه العربية التي وجدها أكثر رشاقة وغموضاً من هندسية الحرف اليوناني وصرامته، تأويلات جمة تذهب شتى المذاهب. لنأخذ هذا المثال الشعري الذاهب في التأويل بعيداً: (الصولي- أدب الكتاب): «قال **أبو مقاتل الديلمي** واسمه **صالح**:


• أحمد أمير فلسفي - إيران.

شهدت لها (لام) الطراز بأنها

كتبت وكانت قبل عند (مهندس)

فإذا أدارت (قاف) صدغ خلتها

أخذت قوام (الشكل) من (إقليدس)

حرف اللام يجد مرجعيته هنا عند المهندسين العارفين بالأشكال، والذين يقف على رأسهم **إقليدس**. تصير الإحالة على اليونان رديفاً لعلاقة الخط العربي بعلم الهندسة، بينما يعرف الخطاط، بالنتيجة- بوصفه مهندساً للأشكال. لنلاحظ أن الكلام يجري عن شكل تجريدي، وأن ليس هناك تأويل صوفي أو غنوصي للحرف، قدر ما توجد مقاربة بين ما توحي أشكاله التجريدية وصور الموجودات المرئية في الحياة: القاف يقارن بتدوير الخصلة عند الصدغ. لا يوجد اليوم موقف موحد في تأويل معنى حروف الخط العربي، وقبل ذلك في تفسير جمالياتها، وفي أسباب قوة الخط العربي بجميع أنواعه، وفي مواضع مقاربته بالفنون والعلوم الأخرى، وعن العلاقة بين القاعدة في كتابتها والإبداع الشخصي في تجويدها. ولماذا يصير تجويدها قريناً بالإبداع الفردي المحض، مرات، رغم اتباعه للقاعدة المدرسية المعروفة في خطبها؟ ولماذا لا تساعد القواعد المدرسية في خلق فنانين حقيقيين؟

هذه الأسئلة، في واقع الأمر، هي أسئلة الفن برمته، وليست أسئلة الخط العربي وحدها! ■

لا يوجد اليوم موقف موحد في تأويل معنى حروف الخط العربي، وقبل ذلك في تفسير جمالياتها، وفي أسباب قوة الخط العربي بجميع أنواعه


• مصباح مسجد - قبة الصخرة - ٩٥٦هـ - ١٥٤٩م.

علي ندا الدوري

فاروق

حاوره: تاج السر حسن

علي ندا الدوري خطاط وتربوي بدأ مسيرته الفنية في العراق وتلقى معارف الخط وأصوله على أيدي جيل رائد من الخطاطين قبل أن يزاملهم المهنة، ومن بعدها قدم إلى الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٧٩م، ليعمل في الصحافة وفي تعليم الخط العربي وتنشيطه إلى يومنا هذا. وتقديراً لمكانته العلمية والفنية والتربوية، ولدوره الرائد في تأصيل تعليم الخط العربي في الإمارات والشارقة بخاصة، نحاوره في هذا الباب لإلقاء مزيد من الضوء على تجربته وذكرياته

■ **متى بدأ الانتباه للخط العربي عندكم؟**

أتذكر وأنا في السادسة من عمري أن والدي رحمة الله عليه، كان يكتب بخط النسخ الذي كنت أجهل تسميته حينها، وكان يجيده أكثر من غيره من الخطوط، سألته ذات يوم بعفوية: عمن علمه الخط؟ فأجاب متحمساً: الملا رشاد.

كنت أجلس أمام والدي جلسة القرفصاء وهو يخط بالسلا[...] المعدنية العربية (رقم ٣،٢،١)، وكان يخط بالنصف ٢/١، وكا[...] الحبر زعفرانا (اللون الأصفر)، وأحياناً يكتب بالحبر الأس[...] المعمول يدوياً. وعندما كنت في المرحلة الابتدائية التأسيسية كنـ[...] أقلد والدي بقلم الرصاص، وأحياناً أكتب بسلايته دون علـ[...] وفي بعض الأحيان تتكسر السلاية لعدم معرفتي بمسكتها بصو[...] صحيحة وسليمة، ورغماً عن ذلك كان يرشدني إلى طريقة استخدامها بصورة صحيحة، وكان يقول لي:





عضوية علي ندا الدوري في جمعية الخطاطين العراقيين

«ستكون خطاطاً يا بني إذا واظبت على ذلك».

وعند انتقالي إلى المرحلة الثانية من الابتدائية، كنت أقطع رأس ريشة قلم الحبر لأقلد والدي وأحاكيه إلى جانب تقليدي للعناوين المخطوطة التي أشاهدها، وكانت درجتي في الخط والإملاء، والرسم في المرحلة الابتدائية كاملة غير منقوصة.

وعند انتقالي للمرحلة المتوسطة كان الخط أكثر نضوجاً عندي، وكنت أكثر معرفة بمسميات وأنواع الخطوط مما سبق، لتبدأ مرحلة جديدة وهي محاولاتي في تكوين لوحة دون التقليد وإن كانت مبنية على الخطأ، كنت لا أدرك ضوابط آداب اللوحة عند التركيب، ولكن العفوية تدفعني بشدة لمثل هذا الطموح ومثل هذه المحاولات كانت بسبب عدم وجود الأستاذ في هذه المرحلة المبكرة من العمر.

سألت الناس عن خل وفي فقالوا ما إلى ذاك سبيل
تمسك إن ظفرت بذيل حر فإن الحر في الدنيا قليل

نموذج بخط الرقعة - علي ندا الدوري

■ **عملكم في هيئة المساحة العامة ببغداد - لقاؤكم الخطاط هاشم محمد البغدادي، هل تعرفنا على هذه السيرة؟ وكيف تحولت ممارسة الخط العربي عندكم إلى حالة احترافية؟ وهل كان تركيزكم على أسلوب أو أساليب مختارة في الخط العربي؟**

بداية عملي في هيئة المساحة العامة ببغداد كان عام ١٩٦٣، بصفة خطاط، وكان عمري آنذاك ستة عشر عاماً بعد أن غيرت تاريخ مولدي من ١٩٤٧م إلى ١٩٤٤م، ليكون العمر مستوفياً شروطه وهو ثمانية عشر عاماً للقبول في هيئة المساحة.

وجدت نفسي بين عمالقة الخط وأنا في هذه السن المبكرة أمثال الأستاذ الكبير **هاشم البغدادي** الذي كان يتردد باستمرار على الهيئة التي كان يعمل بها ما بين ١٩٣٧ - ١٩٦٠م، لينتقل إلى وزارة التربية ويكون رئيساً لفرع الخط، وكذلك الأستاذ **مهدي الجبوري** الصديق الحميم للأستاذ **هاشم** وعدد من الخطاطين أمثال الأساتذة: **زهير يونس، وعبد الكريم رفعت، وحبيب الخفاجي**، وغيرهم من الخطاطين.

وكان عملي في هيئة المساحة نقلة كبيرة في حياتي، فقد كانت أكبر تجمع للخطاطين وكانت منتدى للخط والرسم والأدب والشعر والثقافة وعموم الفنون. كان الأستاذ **هاشم** يتردد باستمرار عليها وبخاصة القسم الذي كنت أعمل فيه قبل انتقاله إلى وزارة التربية. أما الأستاذ **مهدي الجبوري** فكان في قسم المسح الجوي وهو ملاصق لقسم الخرائط. أما بقية الخطاطين فمقر عملهم في قسم الخرائط الطبوغرافية (شعبة الترسيم).

كان واقع حال العمل يدفعني بقوة لتعلم الخط وإجادة أنواعه، وكان العمل الرسمي (خط الخرائط الطوبوغرافية)، يستوجب التمكن والسرعة في الإنجاز، وهذا دفعني إلى التدريب على الخط بواقع عشر ساعات يومياً لأكون في المستوى المطلوب لإنجاز العمل. إنها أجمل فترة زمنية في حياتي تمثلت في معايشتي لكبار الخطاطين والأساتذة والتعلم منهم، والتلمذة على يد بعضهم أمثال عميد الخط العربي الأستاذ المرحوم **هاشم البغدادي** الذي كانت كراسته (قواعد الخط العربي، التي صدرت عام ١٩٦١م)، لا تفارق أيدي الخطاطين، وأقلامهم لا تكف عن التدرب عليها في كل وقت وحين، ومن شدة تعلقي بهذه الكراسة وإعجابي بخطها وبمن كتبها، رجوت رئيس قسمي المرحوم **عبد الجليل** في أواخر الستينيات أن يكلم الأستاذ **هاشم** لقبولي خادماً له في مكتبه في الفترة المسائية وهذه الرغبة نبعت من سببين: الأول حبي لهذا العملاق الذي أثرى العراق والعالم العربي والإسلامي بهذا الخط الجميل المتمثل في القواعد الرصينة، والذي أعاد لبغداد عزها ومجدها ومكانتها، بعد أن أفلت شمسها لقرون عديدة، والسبب الثاني الذي دعاني لخدمته هو التعلم المباشر على يديه ومعرفة أسرار الخط. كان جواب رئيس قسمي وهو مندهش لهذا الطلب: يا بني إنك موظف في المساحة ولا يليق بك أن تكون خادماً للأستاذ **هاشم** على جلال قدره ومكانته. قلت له يا أستاذ خدمة العلماء شرف وفضيلة وزيادة قدر، أرجوك كلمه، وفعلاً كلم الأستاذ **هاشم** ليخبره بأن مكتبه مفتوح للجميع إضافة إلى زياراته المستمرة للمساحة وهو يعتذر عن تلبية هذا الطلب، وهو يشكرني على هذا التواضع وهذا الشعور، ويرحب بي في كل وقت وحين في مكتبه.

تلقيت الإرشادات في الخط من عمر السادسة على والدي الذي كان يجيد خط النسخ

كان يتردد على مكتبه عدد كبير من الخطاطين لنيل شرف التلمذة على يديه، وذات يوم من عام ١٣٩١هـ، كنت جالساً مع الخطاط الأستاذ **صادق الدوري** في مقهى (الكاتب) بساحة الشهداء ببغداد، وبعد أن صلينا المغرب بمسجد حنان قال لي الأستاذ **صادق**: هل لك رغبة في الذهاب إلى مكتب الأستاذ **هاشم**؟ قلت له: هذا ما أتمناه، وكان الأستاذ **هاشم** وقتها موفداً إلى ألمانيا الغربية للمرة الثانية للإشراف على طباعة القرآن الكريم (مصحف الأوقاف)، وعند وصولنا إلى باب المكتب وقبل أن يفتح الأستاذ **صادق** الباب مدّ يده في صندوق البريد ليخرج رسالة



لوحة بخط الثلث الجلي - (علي ندا الدوري)

قادمة من الأستاذ **هاشم** يذكر فيها بعد تقديم التحية والأشواق «إني صممت زخرفة نباتية لحاشية صفحات المصحف ليكتمل جمال الخط بجمال الزخرفة، فما هو رأيك؟ يسألني عن رأيي في الزخرفة وأنا تلميذه وهو عميد الخط العربي، إنه في غاية التواضع والخلق والأدب». كانت فرصة لي في غيابه لأتفحص مكتبه الذي هو عبارة عن متحف للمخطوطات.

كانت عيناي مشدوهتين تدوران يميناً وشمالاً ما بين خطوطه الرائعة وخطوط كبار الخطاطين وبخاصة الأتراك ليستقر نظري أخيراً على أقلام الخط، وبالأخص مجموعة من القصبات الرفيعة ذات اللون الداكن وكانت بريتها في غاية الدقة والإجادة، وأذكر أنها كانت متدرجة (نصف، واحد، واحد ونصف، واثنان، واثنان ونصف)، وعرفت أنها مستخدمة لخط النسخ ولكن الذي لفت انتباهي هو النصف والواحد، لأن هذين الرقمين نستخدمهما في القلم المعدني وليس القصبة، ولكن لا قياس ولا مقارنة مع هذا الأستاذ الكبير.

لقد كان الأستاذ **هاشم** خبيراً بكل ما يتعلق بالخط العربي، وللتاريخ الذي سجل له أجمل الصفحات الخالدة أذكر هذا الشاهد الذي لا يعرف عنه الكثير من الخطاطين وبخاصة العراقيون، إثر رجوعه من ألمانيا الغربية في المرة الأولى بعد إشرافه على طباعة مصحف الأوقاف عام ١٣٨٦هـ، قال لنا: بعد أن أكملت الترميمات والإضافات على المصحف إضافة الحلية التي احتوت سورة الفاتحة وبداية سورة البقرة، قلت للمعنيين بالطباعة: أريد أجود أنواع الورق، فجاؤوا بأجوده وأجريت عليه التجربة التالية: سلّطت عليه درجة عالية من البرودة فما كان من الورق إلا أن انكمش، ثم سلّطت عليه درجة عالية من الحرارة فتمدد الورق، قلت لهم: هذا الورق لا ينفع! فاستغربوا لهذا الرد! وطلبت منهم إضافة مادة زيت الزيتون على عجينة الورق وحددت لهم النسبة، وصنعوا عينة من الورق فأجريت عليها التجربة السابقة فلم تتمدد الورقة ولم تتقلص، وقلت لهم اصنعوا الكمية التي نحتاجها لطباعة المصحف.

وأضاف قائلاً: إضافة للميزة السابقة للورق فإن لونه لا يتغير بمرور الزمن، وذكر عشر سنوات، عشرين سنة، ثلاثين سنة، خمسين سنة، ومصداقاً لما قال فإن نسخة من المصحف للطبعة الأولى في ألمانيا موجودة عندي ولم يتغير لونها بعد أن مضى عليها قرابة الأربعين سنة. ثم أضاف قائلاً: إضافة للميزتين السابقتين فإن القوارض لن تأكل الورق بسبب وجود رائحة زيت الزيتون فيه لأنها تنفر من رائحته، ومصداقاً لما قال، في عام ١٩٨٢م، تقريباً سافرت مع العائلة إلى تركيا في الصيف وتركت مصحف الأوقاف الذي تكلم عنه المرحوم الأستاذ **هاشم** في درج المنضدة الموجود في مكتبي بالبيت، وعند رجوعي بعد شهرين فتحت الدرج لاستخرج المصحف وكانت المفاجأة! وجدت الفأر مع مجموعة من صغاره في جنب المصحف الشريف، وقد أكل الفأر وقطع جميع الأوراق الموجودة في المنضدة، وسرعان ما تفحصت المصحف وقلبته وأنا في غاية القلق عليه، لأجده سليماً من كل أذى ولم يأكل الفأر أي جزء منه والحمد لله، اقشعر كل بدني وتذكرت في الحال كلام المرحوم الأستاذ **هاشم** عندما قال بأن القوارض لن تأكله بسبب رائحة زيت الزيتون، وصدق الله القائل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. أما الأسلوب الذي سيطر على خطي فقد كنت أسيراً له بسبب القاعدة التي اعتمدها أستاذنا الكبير **هاشم**، وهي القاعدة البغدادية، التي اعتمدها من قبله أساتذته (**الملا عارف الشيخلي**، والحاج **علي صابر**، والشيخ **الملا علي الفضلي**، والذي كان أكثر من سابقيه تمسكاً بها).



مع صاحب السمو حاكم الشارقة في أحد المعارض

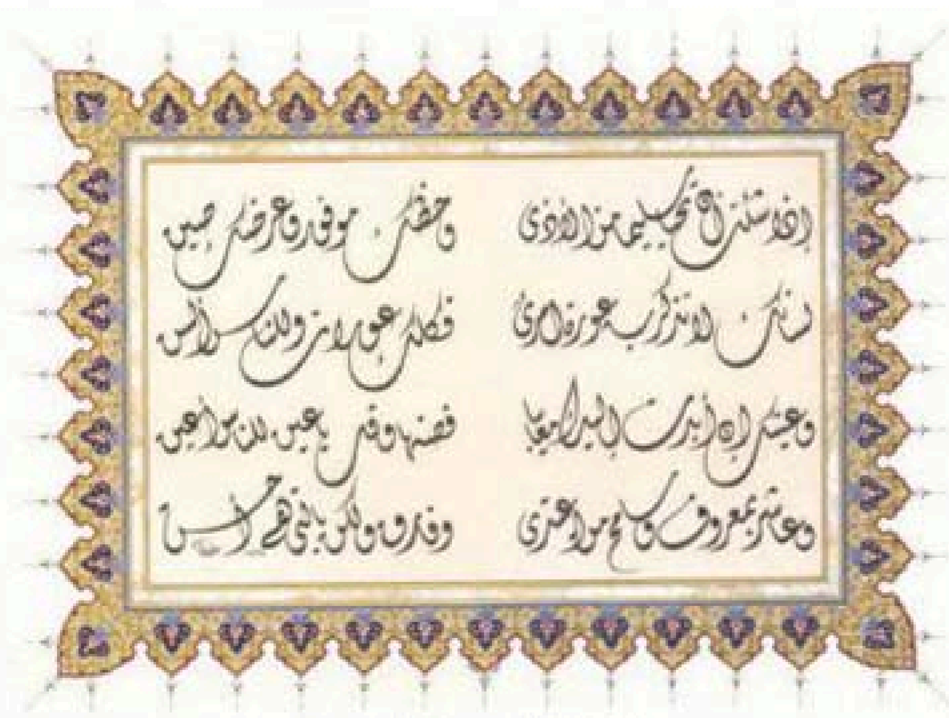
حاولت مراراً أن أقنع نفسي بالانتقال إلى القاعدة التركية ولكن دون جدوى إذ أجد قلمي وقد انحرف مئة وثمانين درجة إلى القاعدة البغدادية بسبب تأثري بأنماط أقلام عميد الخط العربي الأستاذ **هاشم البغدادي**، انعكس ذلك إيجاباً عليّ لأعتمد أسلوبه، لا بل مدرسته التي احتوت جميع الخطوط لتسير بأنواعها في خطوط متوازية متناسقة متسقة دون التنافر والتناقض، وإن كان في بعض الأحيان يدمج بين القاعدتين البغدادية والتركية في توليفة منسجمة متآلفة، وهذا يدل على براعته الفذة وانفراده بهذه الخاصية الفريدة.

■ المدرسة البغدادية في الخط، والرواد من الخطاطين العراقيين، نود لو تلقون مزيداً من الضوء على هذه التجربة الحضارية الرائدة؟

المدرسة البغدادية التي شربنا من ينابيع معرفتها وفنونها، هي التي مكّنتنا من تعلم طرق وأساليب وقواعد وخصائص وأنماط الخط العربي، إنها المدرسة التي وضع ركائزها وبنيانها الخطاط المؤسس المهندس **ابن مقلة البغدادي** وإلى يومنا هذا، جميع الخطاطين في الساحة وأنا معهم ساروا على قاعدة سلفهم (القاعدة البغدادية)، وكان ذلك من خلال معايشتي لهم قرابة ستة عشر عاماً، أساتذة الأستاذ **هاشم**، والخطاط **صبري الهلالي**،

علي نذا الدوري

- مواليد العراق ١٩٤٤م.
- بكالوريوس شريعة إسلامية.
- خطاط ورسام خرائط هيئة المساحة العامة - بغداد ١٩٦٣م - ١٩٧٨م.
- رئيس قسم الخرائط الطبوغرافية والأطلسية هيئة المساحة العامة.
- ١٩٨٤ - ١٩٧٧ - ١٩٨٧م، عضوية الجمعية العالمية للتربية عن طريق الفن (INSEA).
- خطاط وزارة الدفاع العراقية ١٩٦٨ - ١٩٧٠.
- موفد ومسؤول مرسم جامعة بغداد الهندسي للخرائط والخط العربي ١٩٧٣ - ١٩٧٥.
- رئيس قسم الخرائط الطبوغرافية والهندسية والخط العربي - المركز العربي لدراسات المناطق القاحلة - جامعة الدول العربية ١٩٧٨ - ١٩٧٩م.
- خطاط جريدة البيان دبي - ١٩٧٩ - ١٩٨٠.



لوحة بخط الديواني (علي نذا الدوري)

ومن قبلهم ومن بعدهم كلهم ساروا على المدرسة البغدادية.

الأستاذ الكبير الخطاط **مهدي بن محمد بن صالح الجبوري** أطال الله عمره، خليفة الأستاذ **هاشم** وهو خير خلف لخير سلف، كان لي نصيب كبير وشرف عظيم في التلمذة على يده والسير على طريقته، والأستاذ **مهدي** إلى جانب خطه فهو بارع في فن تجويد القرآن وهو من تلامذة القراء البغداديين المشهورين وكان متعدد المواهب، وملماً بالمقامات العراقية ورياضياً. إن خير من كتب عن سيرته هو الشاعر الخطاط المؤرخ **وليد الأعظمي** في كتابه الشهير (تراجم خطاطي بغداد المعاصرين) إن الخطاط الكبير **مهدي الجبوري** هو البقية المتبقية من جيل الأستاذ عميد الخط العربي **هاشم البغدادي**، وهو خير من حافظ على المدرسة البغدادية وطرقها وأساليبها وأنماطها، أسأل الله أن يطيل في عمره ويحسن خاتمته.

■ **قدومكم إلى الإمارات العربية المتحدة وعملكم بدءاً في صحيفة البيان: كيف تقيّمون وضع وعمل الخطاط مع حركة النشر والدور الذي كان يقوم به الخط العربي في تحسين صورة الطباعة؟**

مقدمي إلى الإمارات كان بتاريخ ١٨/١/١٩٧٩م، وكانت بداية عملي خطاطاً ورساماً للخرائط الهندسية في مؤسسة (**عدنان سفاريني وطالب السامرائي**) في أبوظبي قرابة أربعة أشهر لأنتقل بعدها إلى مؤسسة البيان للصحافة وكان ذلك عام ١٩٨٠م، مع بداية تأسيسها (خطاط)، وكان شرط الجريدة أن أكتب بالخط الصحفي الذي يعتمد الاستقامة الكاملة عند الكتابة، وقد وافقت على هذا الشرط وأنا مكره لعدم وجود البديل الأفضل وقتها، وعند اكتمال العام خرجت من الصحيفة لأشتغل في وزارة التربية خطاطاً في الإدارة العامة للمناهج.

إن تجربتي مع الصحافة كانت مريرة للغاية بسبب كتابة الخط الصحفي الذي هو أبعد ما يكون عن قاعدة الخط العربي، بل هو



■ في معهد الخط العربي والفن الإسلامي - الشارقة

تشويه كامل وهدم لبنيان جماليات الخط العربي وأصوله وضوابطه، وقد حاولت جاهداً أن يكون للحرف القاعدي مكانته في مؤسسة البيان ولكن دون استجابة منهم، قلت لهم إن الخطاط الكبير عميد الخط العربي الأستاذ **هاشم البغدادي** كان يكتب العناوين الكبيرة (المانشيت) في الصحف العراقية على أتم الضوابط والقواعد، كان يكتب العنوان بخط الثلث والنسخ والفارسي وبعض الخطوط الأخرى، وكانت الجريدة متجملة مزدانة بخطه الجميل، وكان جمهور كبير يشتريها لجمال خطها.

إن عمل الخطاط المتمسك بقواعد الخط العربي مع دور النشر والطباعة يقف على طرفي نقيض بين الشدّ والجذب ودون التوافق والانسجام بينهما، علماً بأن الخطاط إلى عهد قريب كان له الدور الكبير في وضع آلية الحرف المطبعي وفق القواعد المرعية للخط العربي وبخاصة خط النسخ الذي سيطر على ساحة الطباعة لجماله وسهولة قراءته، كانت دور النشر والطباعة تتنافس في اختيار الحرف المبني على أتم القواعد، لمشاهير الخطاطين. إن الخروج عن قواعد الخط العربي أصبح منهج جمهرة كبيرة من دور النشر والطباعة، بل التنافس أصبح مشهوداً في استحداث ما يسمونه بالخط الحديث الذي أفسد بعضه الأذواق وخرج عن آداب الجمال.

■ لوحة بخط الثلث الجلي (على ندا الدوري)

■ **التحاقكم بالعمل في وزارة التربية والتعليم في الإمارات بدءاً في إدارة الوسائل التعليمية، ما هي إنجازاتكم الخطية في هذه الإدارة؟**

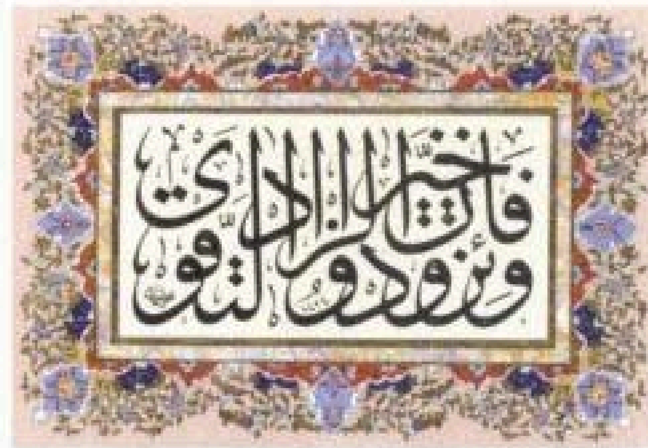
بداية عملي في وزارة التربية والتعليم كان في إدارة الوسائل التعليمية (خطاط) وكان مقتصراً على كتابة عناوين بعض الوسائل التعليمية التلفزيونية، وبعض الخرائط التعليمية المدرسية إلى غير ذلك من الخطوط، واستقر بي العمل في مركز للخزف بثانوية العروبة، وكانت تجربة رائدة مع مجموعة من الأساتذة وهم الفنانون **محمد يوسف، وعبد الرحيم سالم، وحيدر إدريس، وفاروق خضر، وبشير السنوار**، والنقاش **محمود المصري**، وكنت أكتب الخطوط على الخزفيات وعلى بعض الخرائط الجغرافية، إلى جانب الخطوط المتفرقة، وكان في هذا المركز المتطلبات الكافية من الفرن إلى دواليب الطين الدوارة إلى الطين والألوان والذهب لعمل المزهريات والأواني والأشكال الأخرى.

ومن أجمل الصفحات في تاريخ تلك الفترة الزمنية كانت على وجه التحديد عام ١٩٨١م، حين طرأت فكرة إنشاء جمعية للفنون التشكيلية، وتم الاتفاق على تقديم طلب إلى صاحب السمو حاكم الشارقة الشيخ الدكتور **سلطان بن محمد القاسمي** لتخصيص مكان للجمعية، وقد وقعنا الطلب بأجمعنا، وما هي إلا فترة قصيرة حتى أتى الجواب بالموافقة على تخصيص المكان للجمعية وهو المكان المخصص حالياً لجمعية الشارقة للعمل الخيري مقابل ساحة الكويت، ولنكون نحن المؤسسين للجمعية.

■ **تعرف أن لكم إسهامات مميزة وريادة في تنشيط تعليم الخط العربي ضمن مناهج التعليم في الإمارات، وقد أصدرتم مع إدارة التوجيه التربوي عدة كراسات تساعد المتعلمين للخط العربي، ما مدى نجاح هذه التجربة؟**

بعد مركز الخزف التابع لإدارة الوسائل التعليمية انتقلت إلى الإدارة العامة للمناهج بوزارة التربية لأكون خطاطاً للإدارة وأميناً لمكتبتها وكان ذلك عام ١٩٨٢ - ١٩٨٨م، وقد تزامن مع مشروع تأليف الكتب المدرسية، ولتنال الكتب حظاً وافراً من خطوطي وكذلك كتابة

- مدرس في التأهيل التربوي، خطاط، وأمين مكتبة، وزارة التربية والتعليم الإمارات ١٩٨٢ - ١٩٨٨م.
- مؤسس ومدير مركز الراقم للخط العربي - الشارقة ١٩٨٧ - ١٩٨٨م.
- مدير عام معهد الخط العربي والإسلامي - الشارقة ١٩٨٨ - ١٩٩٨م.
- مدير مركز الشارقة لفن الخط العربي والزخرفة ١٩٩٨.
- له مساهمات عديدة في تدريس الخط العربي وآدابه، وله عدد من المقالات والبحوث المنشورة في الدوريات في الإمارات.
- عضو جمعية الخطاطين العراقيين - بغداد.
- عضو مؤسس - جمعية الإمارات للفنون التشكيلية - الشارقة.
- عضو جمعية الخطاطين الإيرانيين - طهران.
- مشارك في عموم المعارض المحلية والعالمية للخط العربي.



- لوحة بخط الثلث الجلي - (علي نذا الدوري)

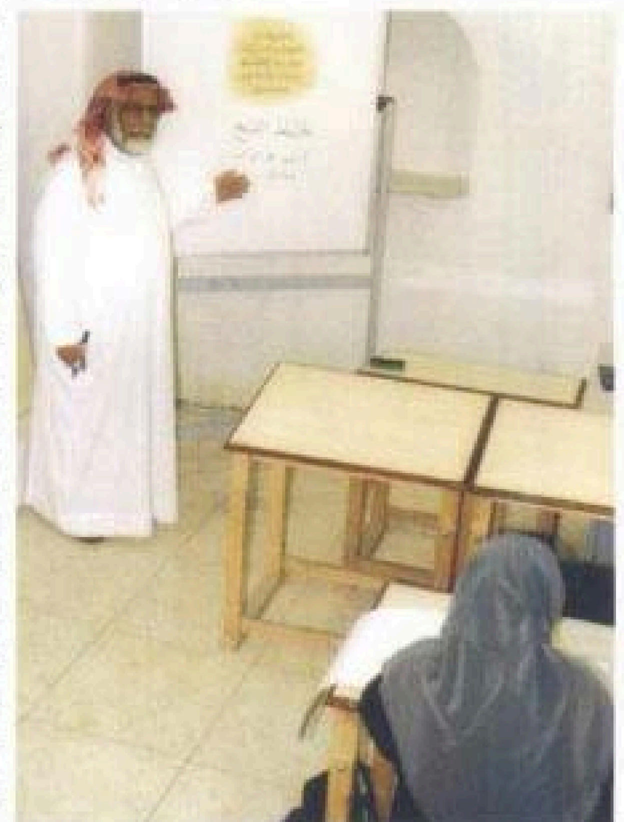
كراسة الخط والإملاء بخطي النسخ والرقعة. وقد قدّمت وقتها مشروعاً لمعالي وزير التربية الدكتور **سعيد سلمان** (حالياً رئيس جامعة عجمان)، والمشروع يتضمن تأسيس معهد للخط العربي يقوم بتدريب أساتذة اللغة العربية في المدارس الإبتدائية والإعدادية والثانوية لينعكس ذلك إيجاباً على الأداء الكتابي للطلبة الذي يعاني من تدن كبير في مستوى الكتابة. وقد اقتنع معالي الوزير بالفكرة وشكل لجنة لتطوير الخط العربي برأسها سعادة الأستاذ **راشد طه** وكيل الوزارة وعضوية الأساتذة: **ثابت الخطيب** وأنا وثلاثة موجهين آخرين وقد رفعنا التوصيات التالية:

١- ضرورة اعتماد كراسات للكتابة في المراحل الابتدائية والإعدادية لخطي النسخ والرقعة.

٢- اعتماد الدراسة التي قدمتها لمعالي وزير التربية والتي تضمنت فتح معهد للخط العربي يقوم بتدريب كادر مدرسي اللغة العربية إلى جانب تدريب الطلبة المتميزين في أنشطتهم المدرسية، وليكون لهم الدور الفاعل في إعداد الوسائل التعليمية وخطوط المجلات المدرسية والصحف الجدارية، إلى غير ذلك من الأنشطة التي يستفيد منها بقية زملائهم.

٣- إعداد وخط مساقين للخط العربي (النسخ والرقعة) لإدارة التأهيل والتدريب، وقد قمت بإعدادهما لاحقاً.

٤- قدمت مقترحاً ملحاً بضرورة أن يكون الخط العربي مادة مستقلة عن الإملاء للتأهيل والتدريب، وأن يكون لها الكيان الاعتباري في النجاح والرسوب، وقد اعتمد هذا المقترح من إدارة التأهيل والتدريب وقد تشكلت لجنة منبثقة عن هذه اللجنة لأكون رئيسها وعضوية ثلاثة من موجهي اللغة العربية.



- في مركز الشارقة لفن الخط العربي والزخرفة

٥- دراسة المقترح الذي قدمته لمعالي وزير التربية والذي يدعو إلى تعيين مدرسين للخط العربي يتوزعون على المناطق التعليمية في الدولة، وليقوم مدرس الخط بدور الموجه لمدرس اللغة العربية أثناء حصة الخط والإملاء إلى جانب قيام مدرس الخط بدورات تعليمية للخط العربي لمدرسي اللغة العربية في كل منطقة تعليمية.

٦- كان من أهم التوصيات دراسة ظاهرة تدني مستوى الكتابة لدى طلبة المدارس وكيفية الارتقاء بالمستوى الكتابي لديهم، وذلك من خلال اعتماد كراسات الكتابة ونشر الوعي الخطي، وإقامة المسابقات الخطية بين المدارس من خلال المناطق التعليمية، وإقامة المعارض الخطية، إلى غير ذلك من اعتماد الوسائل التي تساعد على ذلك.

وقد كلفتني إدارة التأهيل والتدريب بإعداد دراسة جدوى للنهوض والارتقاء بالمستوى الكتابي لدى الطلبة، وقد تم ذلك بتقديم الدراسة التي تضمنت:

١- اعتماد مادة الخط العربي إلى جانب المواد العلمية الأخرى لمدرس الفصل أثناء العام الدراسي.

٢- اعتماد أسئلة نهاية العام الدراسي للخط العربي، كنت أقوم بإعدادها ليكون لها نصاب من الدرجة، ونجاح أو رسوب عند نهاية الامتحان ضمن مادة الخط والإملاء.

٣- قمت بإعداد وخط مساقين للخط العربي (النسخ والرقعة)، وهذان المساقان يعتمدان على تدريب الطالب والطالبة على الحرف والكلمة والجملة والنص، ويتضمن المساق شرحاً مفصلاً للحروف وإلى جانب ذلك يتضمن نبذة مختصرة عن تاريخ الخط وأبعاده وأهدافه ووسائله.

وقد استمر تدريس مادة الخط العربي في مدارس البنات قرابة سبع سنوات في تأهيل وتدريب خريجات الثانوية العامة لإعدادهن مدرسات فصل لعام دراسي واحد، ومساقا النسخ والرقعة اعتمدا لمدة سبع سنوات، ورغم محدودية الساعات المعتمدة على مدار العام في إدارة التأهيل والتدريب للمدارس إلا أن الوعي الخطي قد انتشر في مدارس التأهيل والتدريب، وعمت الفائدة من خلال التدريب على خطّي النسخ والرقعة وبقلم الخط المعدني، وتعرف كيفية مسكة القلم بصورة صحيحة ومعرفة البداية والنهاية ودرجة الميلان، ومعرفة أنواع الخطوط، وبعض مشاهير الخطاطين إلى غير ذلك من الثقافة الخطية التي أعطت خلفية للدارس أو الدراسة.

■ إنشاؤكم لأول معهد لتعليم الخط العربي في الإمارات العربية المتحدة: كيف تقيمون هذه التجربة ومدى إقبال الدارسين على تحسين كتابتهم، وتعلم وتجويد فن الخط العربي؟

في العام ١٩٨٧م، افتتحت دار الراقم للخط العربي في الشارقة بمشاركة الأستاذ الفنان التشكيلي **ياسر الدويك**، وأعلنت عن أول دورة لتعليم الخط العربي من خلال الصحافة، وقد كان الإقبال جيداً إذ بلغ عدد الطلبة قرابة ثمانية عشر طالباً، ومن ضمن الدارسين لهذه الدورة: **محمد خلفان** الخطاط الحالي في شرطة عجمان، و**محمد سعيد الأفغاني** الخطاط في شرطة دبي، و**عاطف شلبي** خطاط مجلة الاقتصاد الإسلامي في بنك دبي الإسلامي، وهؤلاء الطلبة الثلاثة استمروا قرابة السنتين في دراستهم للخط، فقد بدؤوا بخط الرقعة وانتهوا بخط الثلث.

تزايد الإقبال على تعلم الخط العربي مما حملني على التفكير بتغيير المسمى والنشاط بعد أن استمر دار الراقم للخط العربي قرابة عشرة أشهر، وليكون الاسم الجديد (معهد الخط العربي والفن الإسلامي)، والمجاز من قبل وزارة التربية والتعليم وليكون من ضمن مهامه وأولوياته تعليم فن الخط العربي والزخرفة وعموم الفنون ذات الصلة بالخط، وليكون مقره إمارة الشارقة، وحال الإعلان عن هذا المعهد ونشاطه في الصحف والمجلات والتلفزيون

وجدت نفسي بين عمالقة الخط العربي بعد التحاقي بالعمل في هيئة المساحة.

بدأ الاتصال من جهات كثيرة تبدي رغبتها في تدريب كوادرها على فن الخط العربي، ومن هذه الجهات بعض المناطق التعليمية والمدارس الحكومية والمعاهد الثقافية والجمعيات النسائية في عموم الإمارات.

إن مثل هذا الاقبال الكبير شجعني على إقامة دورة أكاديمية لمدة عام دراسي كامل لخريجي الثانوية العامة، وكان ذلك في العام الدراسي ١٩٩٠م - ١٩٩١م، وبعد دراسة الفكرة دراسة جيدة نشر الإعلان في الصحف والمجلات والتلفزيون، واختير اثنا عشر دارساً ممن توفرت فيهم الشروط، وكانت المواد المقررة في المعهد هي:

١- الخط العربي - أستاذ المادة: **علي ندا الدوري**.
٢- الزخرفة - أستاذ المادة: **صلاح الدين شيرزاد**.
٣- تاريخ الخط - أستاذ المادة: **علي ندا الدوري**.
٤- التصميم والإخراج - أستاذ المادة: **ياسر الدويك**.
٥- الورق المرمري - أستاذ المادة: **ياسر الدويك وعلي ندا الدوري**.
٦- التقنيات: وتشمل صناعة الحبر وبري القصبة وطلاء الورق واختيار السكين والقصب وأستاذا هذه المادة **صلاح شيرزاد وعلي ندا الدوري**. ومن أبرز الطلبة لهذه الدراسة الأكاديمية **سعيد الأفغاني** إذ حصل على درجة الامتياز **وعاطف شلبي** على درجة جيد جداً، وكان ترتيبه الثاني.



نموذج لشهادة معهد الخط العربي والفن الاسلامي

إن الشهادة التي يمنحها المعهد للدارس كانت تصدق من وزارة التربية ومن وزارة الخارجية الإماراتية في حال خروجها إلى الخارج، وإن مجموعة الدارسين تعينوا خطاطين في مؤسسات متعددة داخل الإمارات وخارجها، كالكويت وقطر وعمان والسعودية والبحرين.

إن تجربتي في هذا المعهد كانت ناجحة جداً رغم إمكاناتي المادية المحدودة، ولكن بفضل الله وصبري وجهادي من أجل هذا الفن العظيم كانت النتائج طيبة والحمد لله، والبذرة التي بذرتها أصبحت ثماراً يانعة والفضل لله أولاً وأخيراً.

لقد ذاع صيت المعهد في عموم الدول العربية وخاصة دول الخليج ومن أبرز هذه الدول العربية المغرب فقد أتتني منها في السنة الأولى للمعهد قرابة سبعين رسالة يطلبون فيها الانتساب للمعهد لدراسة الخط العربي، ولكن إجرآت الدخول والإقامة حالت دون التحاق البعض منهم، إذ بلغ عدد الطلاب الذين درسوا قرابة أربعين دارساً. ومن أجمل ما سجله تاريخ الإمارات في إحدى صفحاته إمارة الشارقة الحبيبة كان في عام ١٩٩٥ - ١٩٩٦م، في المعرض السنوي لجمعية الشارقة للفنون التشكيلية، إذ افتتح صاحب السمو حاكم الشارقة الشيخ الدكتور **سلطان بن محمد القاسمي** هذا المعرض وعند مروره بجناحي الخاص بلوحاتي قال سموه لي: كيف حال معهد الخط العربي، فأجبته مندهشاً سائلاً نفسي: وكيف عرف بالمعهد؟ قلت له الحمد لله هو بخير. قال: وكيف الإقبال على الدورات من قبل الدارسين؟ قلت مستغرباً: الإقبال جيد ولكن من أجل أن يؤدي المعهد دوره على الوجه الأكمل يحتاج إلى مباركة كريمة من سموكم لأن هذا المعهد يلبي رغبة المجتمع ويلقنهم معايير الجمال، وهو يحافظ على هذا الفن الجميل ويسعى إلى انتشاره والتعريف به بين الناس. ابتسم كعادته وقال: المعهد معهدنا وسوف لن نألوا جهداً في مساعدته ليؤدي دوره على الوجه الأتم، ومثل هذا الأمر يحتاج إلى جلسة بيننا لمعرفة متطلباته. شكرت سموه على هذا الاهتمام والمتابعة، ثم أتبع الكلام قائلاً: أريد أن أتتلمذ على يدك، قلت: يحصل لي الشرف وسموك الذي يحدد الزمان والمكان، قال: أنا الذي يحصل لي الشرف، قلت زادك الله شرفاً وقدراً، فأنتا أن تكون يا صاحب السمو حلقة من سلسلة أولئك الخلفاء العباسيين والسلاطين العثمانيين الذين عشقوا هذا الفن الجميل، وليترجم على صفحات تاريخنا المشرق المضي.

■ أنتم الآن ومنذ سنوات خلت تقومون بالإدارة والإشراف على مركز الشارقة لفن الخط العربي والزخرفة، هذه كذلك تجربة مميزة ورائدة، فما ثمرات المركز؟

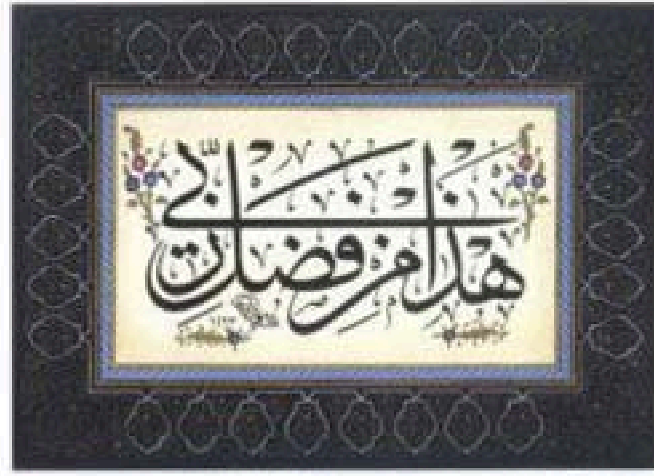
إن للمركز دوراً كبيراً في نشر وتعليم هذا الفن الجميل من خلال إقامة الدورات المنتظمة على مدار العام، إضافة إلى المعارض التي تقام على أرض المركز أو خارجه وهي لنتاج الطلبة والطالبات، ورسالة للمجتمع تبين أهمية هذا الفن الجميل، وحرصنا على قواعد هذا الفن يدعونا لاتباع الطرق والوسائل الأكاديمية الصحيحة مع الدارسين لمعرفة أسراره وضبط حروفه ومعايشته وتذوق جماله. إن الدور المميز للمركز يمكنه من إقامة عدة معارض على مدار السنة، فهناك معرضان دائمان لنتاج الطلبة أحدهما: ختام الأنشطة للعام الدراسي والثاني معرض نتاج فصل الصيف، ومعرض آخر عند حفل توزيع الشهادات لمنتسبي المركز، ومعارض أخرى خارج المركز كالمعارض السنوية في جامعة الشارقة وكلية التقنية، ومؤسسات ثقافية تراثية أخرى في أماكن متعددة من الدولة. إن عمر تجربة المركز ست سنوات، ولكنها غنية بفضل الله ويمكن تلخيص وحصر ثمارها في النقاط التالية:

١- تعليم الخط العربي من خلال الدورات على مدار العام.

أسلوبي في الخط يتبع القاعدة البغدادية التي اعتمدها الأساتذة الرواد في العراق والذين تتبعوا ركائز ابن مقلة.



لوحة بخط الجلي الديواني - (علي ندا الدوري)



لوحة للخطاط مهدي الجبوري - من مقتنيات علي نذا الدوري

٢- نشر الوعي الخطي بين قطاع المجتمع عامة، والمؤسسات الثقافية والتراثية والفنية والمعنية بالتاريخ والحضارة.

٣- المحافظة على هذا الإرث الحضاري من خلال تبيان أهميته، والتعريف بمقوماته وأهدافه، وضرورة التعامل مع جمالياته والتفاعل معها.

٤- التنمية الذوقية لينعكس ذلك إيجاباً على حيثيات الحياة الخاصة والعامة بين المجتمع.

٥- تحسين الأداء الكتابي الذي هو ضرورة في الحياة المدرسية والوظيفية، وانعكاس إيجابي يحقق استقراراً وراحة نفسية عند التعامل مع المجتمع.

٦- إقامة المعارض للتعريف بهذا الفن الجميل وبأنواع خطوطه وبمقوماته وإمكاناته في تكوين أشكال متنوعة هادفة ليكون الحرف رسولاً لإيصال هذه الرسالة السامية الراقية.

٧- إقامة الندوات والمحاضرات التي تعنى بتاريخ وآداب الخط العربي.

٨- يحرص المركز على الحفاظ على هذه الهوية الإسلامية التي تشكل منعطفاً مهماً في حياة الممارسة الفنية، وفي إبراز هذا الفن الإسلامي الأصيل.

٩- إن للمركز مكتبة متخصصة لسير وأعلام هذا الفن، وتراجم الخطاطين الأقدمين والمعاصرين، والبحوث التي كتبت بحق الخط، إلى جانب الكتب التعليمية الخاصة بالخط والزخرفة، وقد احتوت على بعض المصادر والمراجع لعموم الفنون الإسلامية خاصة، وهي في طور النمو والاتساع.

١٠- وأخيراً وليس آخراً فقد حرص المركز على إبراز المواهب عند المتذوقين والمتعطشين لتعلم هذا الفن الجميل، وقد تحقق ذلك والحمد لله فقد احتضن هذه المواهب وبرزت مجموعة من الدارسات والدارسين، شاركوا في المعارض المحلية والدولية، وشاركوا في المسابقات المحلية والدولية وحققوا نتائج طيبة في الفوز ببعض الجوائز التي كان لها أثر ودافع قوي في الاستمرار مع هذه المسيرة الخطية الحضارية الرائعة.

> الساحة الثقافية العربية خير شاهد على بصمات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي وإسهاماته الكثيرة المتنوعة

> لمركز الشارقة لفن الخط العربي والزخرفة دور كبير في نشر وتعليم هذا الفن الجميل.

■ لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي فضل كبير في رعاية الثقافة العربية بعامة والخط العربي بخاصة، كيف تصفون هذه الرعاية؟

الساحة الثقافية العربية خير شاهد على بصمات صاحب السمو عليها، وإن إسهاماته الكثيرة والمتنوعة جعلت روافد هذه الساحة تصب بحيوية ونشاط في بوتقة منظومة الفنون والثقافة والعلوم، وهذا الاهتمام ليس مستغرباً ذلك أنه نابع من دينه وثقافته وشمولية نظرته للحياة، وحرصه على أن يكون الفرد قارئاً متثقفاً عارفاً تاريخه وحضارته وفنونه، متفاعلاً مع شتى علوم ومناحي الحياة الثقافية، وهذا يتجلى من خلال إنشاء المؤسسات الثقافية والمراكز الفنية والمكتبات العلمية، والمسابقات والملتقيات الدولية التي تعنى بالخط العربي وعموم الفنون الإسلامية والتشكيلية والعلمية والثقافية.



مع الخطاط المصري الراحل محمد عبد القادر

إن اهتمامه الخاص بفن الخط العربي تجلى في إنشاء منظومة تصب روافدها في ساحة الخط العربي، التي احتوت على مرافق عديدة وفريدة هي:

١- مركز الشارقة لفن الخط العربي والزخرفة الذي احتوى على مبنى للإناث ومبنى للذكور ومبنى لقاعة المعارض والإدارة والمكتبة والورش.

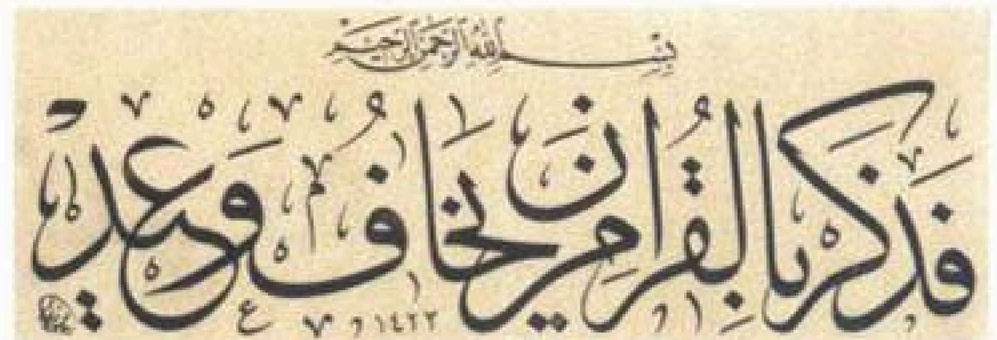
٢- متحف الخط العربي الذي يحتوي على لوحات تحكي مسيرة هذا الفن عبر القرون الماضية وإلى يومنا هذا لمشاهير الخطاطين المبدعين. كذلك احتوى على بعض المخطوطات القيمة والذي يمثل الخط أحد عناصرها البارزة، إلى جانب المقتنيات المهمة.

٣- بيوت الخطاطين وهي عبارة عن ورش يمارس فيها أصحابها هذا الفن لتعريف الجمهور به.

٤- بيت الخزف، والذي يهدف إلى تعريف الجمهور بهذا الفن التطبيقي المرتبط بالخط والزخرفة.

■ كيف تنظرون إلى واقع الخط العربي في الإمارات على مدى سنوات إحيائه وكذلك واقعه كفن إسلامي عريق؟

إذا قارنا المسيرة الخطية في الإمارات بواقع الخط العربي في الدول التي نشأ الخط فيها وترعرع فيها كالعراق وتركيا وعموم الشام ومصر والمغرب، نجد أن دولة الإمارات الفتية شهدت ازدهاراً ونمواً سريعاً في هذا المضمار وعلى مدى العقود الثلاثة الماضية تقريباً مما جعلها تتمثل في ميادين وأروقة الدول السالفة الذكر والتي تمتد مسيرة بعضها كالعراق إلى أكثر من ألف عام.



لوحة بالنسخ والثلث الجلي - (علي نذا الدوري)

سطر بالخط الديواني - (علي ندا الدوري)

فالخط العربي في الإمارات له حضور على الساحة الدولية في مجال الفن، ويشارك في المسابقات ويجني الجوائز والنتائج المتقدمة، وكذلك فإن الساحة الخطية في الإمارات تحتضن كل عامين ملتقى الشارقة الدولي للخط العربي. إن مثل هذا الاهتمام والحضور والازدهار يبشر بخير لهذه المسيرة المباركة التي أرسى قواعدها عبر قرون جمهرة كبيرة من الخطاطين العظام وملوك وسلاطين وأمراء ووزراء عشقوا هذا الفن مما حدا بهم للتلمذة على أيدي أساتذة هذا الفن العظيم، وليسطر التاريخ أجمل صفحاته في أروع حضارة شهدتها البشرية ألا وهي الحضارة الإسلامية، وليكون الخط العربي هويتها وبساطها الزاهي البهيج الذي تتربع عليه بكل فخر واعتزاز لغة هذه الأمة ألا وهي اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

■ ما هي نشاطاتكم الأخرى بجانب الاشراف على المركز؟

بالرغم من قضاء الوقت الأكبر في إدارة المركز والتدريس فيه أحيانا فإنني مشارك في الملتقى الدولي للخط العربي الذي يقام في إمارة الشارقة الحبيبة، وفي عموم المعارض المحلية والدولية، إلى جانب ذلك فإن الجانب الثقافي الخطي له إسهام على الساحة مثل إلقاء المحاضرات. وفي عام ١٩٩٨م، درّست مساق تاريخ الخط العربي وآدابه، في جامعة الشارقة ضمن مساقات التاريخ والحضارة في كلية الآداب والعلوم ونشاطي الخاص ضمن اللوحة الخطية والتي هي ترجمة لمحبتنا لهذا الفن وتلبية لمتطلبات المعارض التي نساهم فيها، كما إن للتصميم الاعلاني نصيبا في عملنا الخاص.

ومن الأنشطة التي شهدتها الساحة الخطية إعداد وتقديم سبعين حلقة تعليمية تلفزيونية عن الخط العربي بثتها قناة الشارقة الفضائية التلفزيونية وتضمنت الحلقات في بدايتها نبذة مختصرة عن سيرة علم من أعلام الخط العربي أو معلومة من تقنيات الخط العربي مثل كيفية صناعة الحبر وكيفية بري القصبة ومواصفات السكين وطلاء الورق، إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة ضمن هذا الإطار، وقد تضمنت الحلقات خطوط الرقعة والديواني والجلي ديواني والنسخ، وطريقة التقديم للمشاهد التلفزيوني كانت وفق تشريح الحرف، حسب مراحله ابتداءً بكتابة الحروف المفردة متصلة مصحوبة بشرح لكل حرف وفي آخر الحلقة يعرض الحرف كاملاً مع الشرح.

■ زرتم مصر وتركيا في ١٩٨٤م، بمن التقيتم من الخطاطين؟.

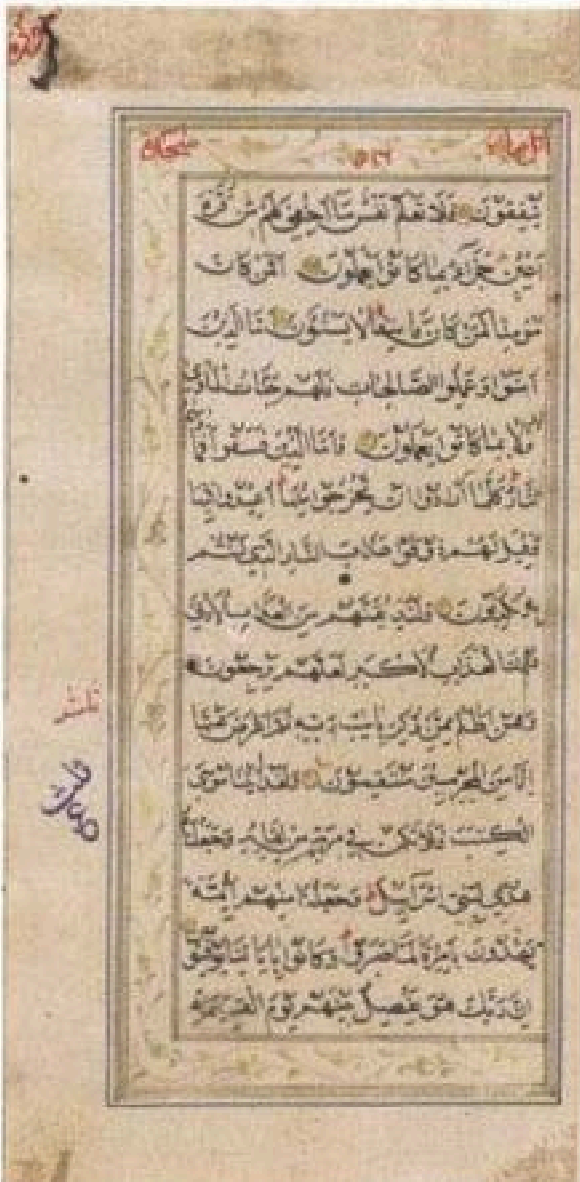
كانت زيارتي لمصر بغرض الالتقاء ببعض الخطاطين، ووفقني الله في أن أقابل وقتها الخطاط محمد عبد القادر الذي استقبلني في داره الكريمة لثلاث ساعات استمعت فيها لحديثه وذكرياته، كذلك زرت الخطاط حسن جلبي في نفس العام في منزله المجاور للمسجد الذي يؤمه والذي احتوى على خطوطه. لتكون هذه الزيارة أول معرفة به، وقد عرفني بولده مصطفى الذي كان يزخرف له، وقد استقبلني بالحفاوة والتكريم. لقد كانت غرفته غاصة بخطوطه وخطوط بعض الخطاطين الأتراك وغيرهم، وحضر عنده الخطاط الأستاذ أحمد ضياء واطلعنا سوياً على خطوط المسجد النبوي التي كان كتبها الأستاذ حسن.

■ بعد كل هذا الحديث كيف تنظرون إلى مستقبل فن الخط العربي وتطوره؟

بالرغم من وجود التقنيات الحديثة التي يوفرها جهاز الكمبيوتر في مجال الخط العربي والكم الهائل من برامج حروف الخطوط والزخارف العربية والإسلامية والتي تصب في خدمة الطباعة والتصميم والإخراج إلا أن الحرف الذي يخرجه لنا الكمبيوتر تنقصه الروح ولا يوجد وجه للقياس بين الصورة والأصل، ذلك أن حرف الكمبيوتر صورة، أما الأصل فهو يخرج من روح الخطاط ونفسه، ويخطئ من يظن أن لجهاز الكمبيوتر أثرا سلبيا على الخطاط، فالكمبيوتر له مجاله التجاري، والخطاط في مجاله الحرفي، فهو صانع للحياة من خلال أصابعه الذهبية ورنة قصبته وصريرها.

وبما أن الخط العربي مقترن بلغتنا العربية، وهو ثوبها الزاهي البديع والبساط السندسي الجميل لحروف القرآن الكريم، فإن الله الجميل سيتكفل بحفظه كما تكفل بحفظ القرآن، ذلك أن الخطاط مجوّد لحروف القرآن ومجود للحديث الشريف، مجود للحكمة في طاعة الله أثناء تجويده، وأن هذه الصنعة المباركة لها كل التقدير والاحترام من عامة المسلمين، وخاصتهم لما تتمتع به من الشرف عند كتابة القرآن الكريم والحديث الشريف والجماليات الرائعة التي تتجسم في رشاقة الحرف واتساقه ومرونته وانضباطه وفق منظومة القاعدة وأصولها.

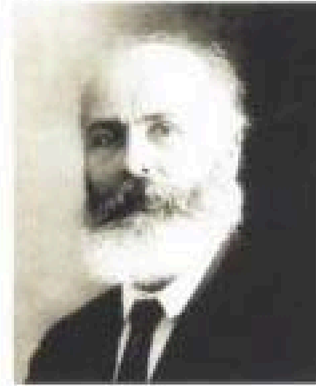
من منطلق هذه الاعتبارات فإن الخط العربي في خير دائم، وإن الصحوة الخطية التي نعيشها خير مبشر وشاهد، فهو منتشر في كل أصقاع الأرض وإذا كان الخط سابقا مقتصراً على المسلمين، فإننا نجده اليوم بيد غير المسلمين وهي تكتب الآيات الكريمة مصدقاً لقوله تعالى: ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون﴾، ومن أغرب ماشاهدته في مركز الشارقة للخط العربي أن الدورة الصيفية لهذا العام (الحالية) احتوت على طلبة من كندا وإيطاليا وأمريكا وبريطانيا والهند واليابان وتنزانيا إلى جانب طلبة الدول العربية والإسلامية، أرى أن للخط العربي مستقبلاً يبشر بانتشار كبير له، وأن ساحته ستتسع وأن واقعه الحالي يبشر بذلك، وأن الحرص في تزايد للمحافظة على قواعده ومدارسه وأساليبه وأقلامه، من خلال إنشاء المدارس المعنية به والمسابقات والمعارض المنتشرة في كل أرجاء العالم، فهو في تطور مستمر وازدهار دائم بإذن الله ■



صفحة من مصحف قديم - مقتنيات علي ندا الدوري

إسماعيل حقي ألتون بزر

وسام شوكت*

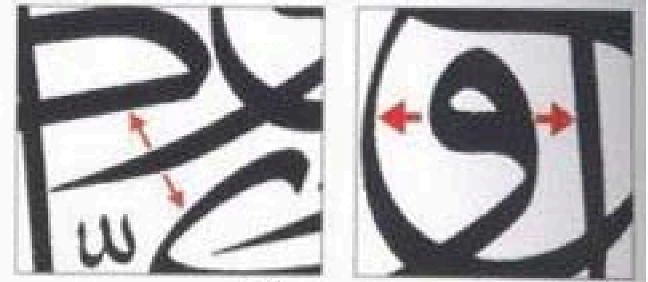


ولد الخطاط إسماعيل حقي ألتون بزر في ١٠ ذي الحجة ١٢٨٩هـ (٩فبراير ١٨٧٣م)، في محلة تعرف باسم «قورو جشمة» في إسطنبول، واشتهر أجداده من جهة الأب بكتابة الخط فقد كانوا كلهم خطاطين حتى ستة بطون، ووالده هو الخطاط محمد علمي أفندي (١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م - ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م)، الذي كان تلميذ الخطاط المعروف قاضي العسكر مصطفى عزت.



• «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» بخط الثلث الجلي - إسماعيل حقي.

* مهندس ومصمم وخطاط عراقي مقيم في الإمارات.



• شكل (١) • شكل (٢)

أنهى دراسته الابتدائية في مدرسة برتفنيال الوالدة سلطانة ثم تخرج من رشدية الفاتح. تعلم الثلث والنسخ على والده **محمد علمي**، وعمل موظفاً في قلم الديوان الهمايوني. فتعلم فيه الخط الديواني والديواني الجلي والطغراء على يد الخطاط الكبير **سامي أفندي** ثم لم يلبث أن أصبح كاتب الطغراء الثاني «طغراكش» ثم الكاتب الأول.

كانت له قابلية كبيرة للرسم حيث درس الرسم والنقش في مدرسة الصنايع النفيسة والتي تسمى بمدرسة الفنون الجميلة في يومنا هذا. نظراً لميله الكبير للتذهيب، فقد تلقى مبادئه من والده ثم أتقنها على يد المذهب والمجلد الشهير **بهاء الدين أفندي**.

عمل مدرساً للخط والرسم في مدارس مختلفة منها إعدادية أسكدار، رشدية طوب قابي، المدرسة العالية لغلطة سراي، دار معلمين إسطنبول والابتدائية النموذجية، ولما تأسست «مدرسة الخطاطين» عمل فيها أستاذاً لتعليم خط الثلث الجلي والطغراء، ومن تلاميذه في هذه المدرسة الخطاط **ماجد الزهدي** والخطاط **مصطفى حليم أوزيازيجي**، **ومحمد شوكت**. وبإلغاء مدرسة الخطاطين عقب صدور قانون تغيير الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)، قام بتدريس فنون الزخرفة والتذهيب في مدرسة فنون الزخرفة الشرقية، وأصبح مديراً معاوناً في تلك المدرسة حتى ألغيت تلك أيضاً، وتأسست بدلاً عنها أكاديمية الفنون الجميلة (جامعة **المعمار سنان** الآن). وقام بتدريس فن التذهيب أيضاً ولكن خارج نطاق الأسلوب الكلاسيكي التقليدي، وهذا هو السبب الذي دفعه لأن يجعل لقبه (**آلتون بزر**) أي نقاش الذهب.

ومن أبرز تلاميذه في فن الزخرفة والتذهيب الفنانة المرحومة **رقت قونت** (١٣٢١هـ/١٩٠٣م - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م). في عام ١٣٦٤هـ /١٩٤٥م، أصيب بمرض عضال، فترك وظيفته وتوفي في ٢٠ شعبان ١٣٦٥هـ/١٩ يوليو ١٩٤٦م، ودفن إلى جوار والده في مقبرة «**قره جه أحمد**» بإسطنبول، والذي كتب شاهد قبره هو المرحوم **نجم الدين أوقياي** حسب وصية **إسماعيل حقي** (صورة رقم ١).



• صورة رقم ١

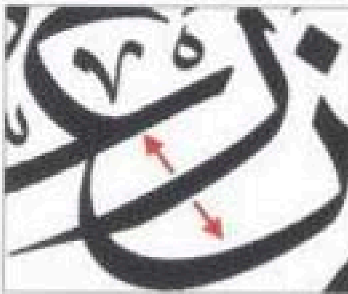
لقد قضى المرحوم **إسماعيل حقي** حياة فنية غزيرة بالإنتاج، ويدلنا على ذلك تراكيبه التي أبدعها بالثلث الجلي وكذلك خطوط الطغراء والديواني والديواني الجلي في الفرامانات والبراءات والمناشير المهمة التي صدرت من الديوان الهمايوني في زمانه. ولا ننسى أيضاً الجوامع وقبابها في إسطنبول مثل «سليمية، لاله لي، أدرنه قابي، زينب سلطان، شمسي باشا وغيرها»، وفي الأناضول «أفيون واسكيشهر». كما ترك أيضاً لوحات رسم زينية مرسومة بإتقان ومهارة وفي الوقت نفسه عرف عنه أنه كان من أشهر المهتمين بتربية الزهور.

اللَّوحَةُ

حديث نبوي «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته».

قد لا يكون هذا النموذج من أروع ما كتبت أنامل المرحوم **إسماعيل حقي**، حيث أنه عرف بكتابة تراكيب الثلث الجلي بصورة متقنة ورائعة، وخصوصاً التراكيب الدائرية، حيث عني بحسن التوزيع ومراعاة دقة ترتيب وتسلسل قراءة الكلمات والحفاظ على قواعد فن الخط في الوقت نفسه، وهذا ينطبق على النموذج الذي بين أيدينا، حيث إن التركيب جاء متوازناً يبدأ من الأسفل حيث تشكل كلمة كلكم الأولى القاعدة تحتضن التركيب وتشكل الأساس الذي تبنى عليه الكلمات الأخرى، وبعدها تأتي كلمة راعٍ، ونلاحظ هنا أنه استخدم السكون الثقيل والألف المختزلة بسماكة قلم الكتابة لملء الفراغ فوق الراء.

عرف إسماعيل حقي (رحمه الله) بحسن توزيع الكلمات ومراعاة دقة وترتيبها في اللوحة



• شكل (٣)

بعدها تأتي كلمة وكلكم حيث نلاحظ أن حرف الواو المرسل وقع داخل عراقة العين الملفوف ليشكل فراغاً متوازياً من جانبيه داخل عراقة العين (شكل ١). بعدها تأتي كلكم الثانية، والشيء الملفت للنظر في هذا التركيب هو وجود ثلاث حروف كاف زنادية مكونة شكل مثلث جميل في قاعدة التركيب، مما أضاف إليه جمالية بصرية. والملاحظة هنا أن وجود الكاف الزنادية يشكل صعوبة في التركيب نتيجة لشكل الكاف المتكون من خطين متوازيين طويلين نسبياً الذي يجعل من الصعب تقاطع حرف الكاف مع حروف أخرى ما عدا في حالة الاتجاه العمودي كما هو الحال في هذه اللوحة في لام كلمة كلكم الأولى، وكاف كلكم الثانية. بعدها تأتي كلمة (مسئول) حيث يستقر حرف الواو داخل حرف اللام بشكل جميل ومتوازن. بعدها تأتي كلمة عن وكلمة رعيته ليكتمل الشكل.



• شكل (٤)

ما يميز هذا التركيب هو جمال توزيع الكلمات والحروف وعلاقتها ببعضها وحسن تسلسل العبارة، حيث نلاحظ أن حرف الواو المرسل جاء في منتصف المسافة بين كاف كلمة كلكم الأولى وكاف كلكم الثانية (شكل٢)، وكذلك راء كلمة رعيته وقعت في منتصف الفراغ الواقع بين نون كلمة عن وعين المقطع (عيته)، (شكل ٣).

كما نلاحظ أن حرف الألف في كلمة راعٍ قطع حرف العين الملفوف بشكل يكون فراغاً متساوياً من الجانبين (شكل ٤). كما أن باقي الفراغات في التركيب مدروسة، متوازنة من حيث الكتلة والفراغ.

كتب هذا التركيب في عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، حيث أنه كان غزير الإنتاج في هذه السنة، إذ أصيب بمرض عضال في شهر جمادي الأول - مارس من السنة نفسها، ولما ترك وظيفة التدريس، شرع بكتب العديد من اللوحات والتراكيب التي اختزنها في ذهنه حتى ذلك الوقت ■

المصادر:
١- فن الخط تاريخه ونماذج من روائعه على مر العصور، مصطفى أوغور درمان، إسطنبول ١٩٩٠.
٢- معمر أولكر، فن الخط التركي بين الماضي والحاضر، ١٩٨٧م.
3- Muhittin Serin, Hat Sanati Ve Meshur Hattatlar, Istanbul, 1999.



يوسف ذنون

فنان الخط العربي وفقيهه

يعد الخطاط والباحث يوسف ذنون اليوم واحدا من أكبر الشخصيات الموسوعية، الفنية والثقافية والعلمية، في مجال الخط العربي بخاصة، والفنون الإسلامية بعامة. إذا لم يكن أكبر شخصية موسوعية معاصرة في هذا المجال المعرفي بالذات، ولذلك فقد أصبح يوسف ذنون ظاهرة مميزة في عالم الخط ودنيا الخطاطين، استرعت انتباه العلماء والمفكرين والباحثين والخطاطين وغيرهم من أهل الفن والخط والعلم والرأي، فقد وصفه العلامة الدكتور حسين علي محفوظ، أستاذ الشرقيات في جامعة بغداد بأنه «خطاط نابغة، بلغ في رسم الخط الذروة العالية في هذا العصر»، وعند هذا الوصف يقف العلامة الدكتور عبد الله الجبوري، خبير المخطوطات العربية المعروف، إذ يقول: «إن يوسف ذنون عالم، وأي عالم في التراث الخطي عند العرب.. وأجزم لك أنه فريد، ليس له نظير في أيامنا هذه، في اطلاعه وسعة ثقافته في الكتابة العربية، وربما هو العلامة الحية الباقية في دنيا العرب في الخط والكتابة العربية والآثار العربية. بل هو عزيز الند في الشرق».

إعداد وتحرير: حروف عربية
تقديم: د. إدهام محمد حنش



• لوحة بخط الديواني الجلي - يوسف ذنون ١٤٠٦هـ

يعضد ذلك كله ويؤكده.. علامة الخط العربي والمحقق لأكثر مخطوطات هذا الفن ونصوصه التراثية المهمة، الأستاذ الباحث **هلال ناجي**، وهو ابن شيخ مؤرخي الخط العربي صاحب الموسوعات الخطية الكبيرة، الأستاذ **ناجي زين الدين المصرف** (ت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٥م)، يقول **هلال ناجي** عن **يوسف ذنون**: «له ميزة فريدة بين الخطاطين، فهو ليس خطاطا موهوبا فقط، ولكنه عارف بتاريخ الخط العربي، وجمع بين ثقافته في الخط وبين الموهبة فيه، فهو الوحيد، بين الخطاطين العراقيين، الذي يجمع إلى صفة الإبداع صفة العلم بفن الخط عبر العصور، وهو واسع الاطلاع على ما كتب ونشر عن الخط بنصوصه الشعرية والنثرية بشكل مذهل، ومعرفته بهذا التراث مكنته من إلقاء المحاضرات وتحقيق النصوص وكتابة البحوث في الخط العربي».

يوسف ذنون ظاهرة فنية وعلمية جديرة بالبحث والتأليف، مثلما هي جديرة بالاحتفاء والتكريم

لقد كان الخطاط والباحث **يوسف ذنون** ظاهرة فنية وعلمية جديرة بالبحث والتأليف، مثلما هي جديرة بالاحتفاء والتكريم، ولذلك فقد درس الكثير من الباحثين والنقاد هذه الظاهرة، وبحثوا فيها، وكتبوا عنها في مختلف قنوات النشر، كالصحف والمجلات والكتب والتلفزيون والانترنت، حتى ليمكن القول بأن هذه القنوات المتنوعة بعامة، والمؤلفات الخطية المعاصرة بخاصة، تكاد لا تخلو من الحديث عنه، أو البحث فيه، أو الإشارة إليه.



• مع المرحوم حامد الآمدي ١٩٦٦م.

ومن الدراسات النقدية والبحثية العلمية التي عالجت ظاهرة **يوسف ذنون** الإبداعية ومدرسته الفنية، الدراسة التي كتبتها والمنشورة بعنوان (النهضة الفنية المعاصرة للخط العربي في الموصل) في المجلد الخامس من (موسوعة الموصل الحضارية) الصادرة عن جامعة الموصل عام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م،



• مع المرحوم هاشم محمد البغدادي ١٩٦٨م.

وكذلك نجد باحثين آخرين وضعوا مؤلفات خاصة للبحث والتحليل في هذه الظاهرة الإبداعية الموسوعية، منها ما صدر، مثل: كتاب الدكتور **عبد العزيز عبد الله محمد** الصادر عام (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م) بعنوان (**يوسف ذنون**: مدرسة الإبداع في الخط العربي)، وكتاب الباحث **فوزي سالم عفيفي**، الصادر عن الدار العربية للموسوعات في بيروت (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م) بعنوان (حول تاريخ وأعمال **يوسف ذنون**)، ومنها ما لم يصدر بعد، مثل مؤلف الخطاط والباحث **باسم ذنون**.

ولذلك أيضا، فقد احتفى العديد من المؤسسات الخطية والفنية والثقافية والعلمية **بيوسف ذنون** بوصفه علما من أعلام هذا الفن البارزين، وعالما من علمائه المتميزين، وكان من أبرز هذه المؤسسات: نقابة الفنانين العراقيين، واللجنة الاستشارية للثقافة والفنون في نينوى، وجامعة الموصل، وجمعية الخطاطين العراقيين التي توجت احتفاء هذه المؤسسات جميعا بتكريم خاص جرى له عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) وشهادة تقديرية مشفوعة بدرع جمعية الخطاطين العراقيين، وقعها نخبة من أعلام هذا الفن في العراق، منهم على سبيل المثال لا الحصر: **مهدي الجبوري**، **روضان بهية**، وعبد **الرضا القرملي**، وآخرون.. خاطبوا فيها زميلهم بالخطاب الآتي، بعد البسملة: **يوسف** أيها المعلم، نحن معاشر الخطاطين، إقرارا منا بفضلك الذي لا يجارى في مجال الخط العربي، وعرفانا بالجهود المتميزة التي بذلتها خطاطا مبدعا، وباحثا نافعا، ومعلما بارعا، والتي تؤهلك بحق لأن تكون الوريث الأمين لتراث السلف، والأب الروحي لأجيال الخلف النجيب، أجمعنا على منحكم هذه الشهادة التقديرية مشفوعة بدرع جمعية الخطاطين العراقيين، والله ولي التوفيق.

وها هي (**حروف عربية**)، مجلة الخط العربي الرائدة، تحتفي أيضا بالخطاط والباحث **يوسف ذنون**.. العلم البارز من أعلام هذا الفن المعاصرين، وتقدمه بكل ثقة عبر هذا الملف فنان الخط العربي المبدع، وفقيهه الموسوعي.

السيرة والصيرورة

يتداخل الذاتي والموضوعي في سيرة **يوسف ذنون** الذاتية وصيرورته الفنية، إذ يمثل الجانب الذاتي، الذي ربما يكون إلى حد ما شخصيا، المنطلق الموضوعي لحياته الاجتماعية والفنية في عصامية مكافحة، قامت على اعتماد كبير وشبه مطلق على جهوده الشخصية في الكسب والتعلم والمتابعة والبحث والتحصيل، فتحولت بذلك أوضاع هذه الحياة الصعبة والقاسية إلى عوامل مهمة للتحفيز والاجتهاد واستثمار الوقت والجهد والمال، في حرص **يوسف ذنون** الدائب على بناء شخصيته الذاتية والفنية بناء معرفيا شموليا، وإعدادها إعدادا منهجيا رصينا، يؤهلانها لحجز موقع مميز لها بين المواقع، وتبوؤ مكانة مرموقة في المجتمع.

ولد **يوسف ذنون** في بيت موصلي متواضع، عام (١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م) رسميا، ولكن ولادته الحقيقية كانت قبل هذا التاريخ بعام واحد، وقد انصرف منذ وقت مبكر من حياته إلى العمل الحرفي المتواضع في البناء والنسيج والتجارة وغيرها، قبل أن



• لوحة بالخطوط الكوفية - يوسف ذنون

ينصرف نهائيا إلى كسب العلم والمعرفة، ليشق بذلك طريقا لم تكن في متناول كثير من أبناء العوائل الموصلية آنذاك، فمضى فيها طالبا دارسا في مراحل التعليم الابتدائية والمتوسط والثانوية العامة، حتى تخرج في دار المعلمين عام ١٣٧١ هـ / ١٩٥١م، باختصاص (التربية الفنية) الذي فتح المجال واسعا لحياته الوظيفية الخاصة التي تقلب فيها من معلم إلى مشرف فني للخط العربي ثم مشرف تربوي عام للفنون في مديرية تربية نينوى، لكي تتحول في الوقت ذاته إلى حياة إبداعية عامة صنع خلالها من نفسه خطاطا كبيرا، وباحثا قديرا، وخبيرا آثاريا للعمارة والفنون الإسلامية، قبل أن يتقاعد من وظيفته التربوية تلك التي اشتغل فيها أكثر من ثلاثين عاما، ليتفرغ بعدها كلية، ومنذ العام (١٤٠٣ هـ / ١٩٨١ م)تحديدا، للفنون الإسلامية بعامة، ولفن الخط العربي بخاصة.

وإذا ما انطلقنا، في الحديث عن السيرة الفنية الخطية بالذات **ليوسف ذنون**، من العرف الشائع عند أهل فن الخط، على ضرورة وجود المعلم في حياة الخطاط، نجده معلم الخط الحقيقي لنفسه، إذ بدأ أول ما بدأ، على أمشاق كراسة الخطاط العثماني **محمد عزت** (ت ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م) النادرة، فكانت مدخله العلمي، النظري والعملي، الأول إلى فن الخط العربي.

عام(١٣٧٧هـ / ١٩٥٧ م) الذي زار فيه **يوسف ذنون** تركيا، لأول مرة، سائحا في ذلك العالم العثماني الفذ للفنون الإسلامية من العمارة والخط والتذهيب وغيرها، وآثارها الخالدة في المساجد والمتاحف والمخطوطات وغير ذلك... هذا العام كان زمان الانقلاب الفني عنده، من الفن التشكيلي الذي كان يمارسه على مدى سنيه السابقة إلى الفنون الإسلامية التقليدية بعامة، وفن الخط العربي بخاصة، من هنا، صارت تركيا قبلته الفنية الأولى التي يحج إليها باستمرار، ليطلع على متاحف الفنون الإسلامية، والمكتبات العثمانية العامرة بالمخطوطات النفيسة، والمساجد والجوامع التاريخية الخالدة، وشواهد القبور والمقابر الفنية بالكتابات الفنية المتقنة، وآثار الخطاطين العثمانيين العمالقة، ليستقر به المطاف أخيراً، وفي كل زيارة له إلى تركيا خلال عشرة أعوام، عند آخر هؤلاء الخطاطين العثمانيين العمالقة **حامد الآمدي** (ت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)، ومن بعده، عند مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، للتعاون مع هذه المؤسسة التي احتضنت فن الخط، ورعته، ونهضت به نهضته المعاصرة، في وضع شروط المسابقات وأسس التحكيم فيها، وكذلك في إلقاء محاضرات الخط العربي.

عند **حامد الآمدي**، وجد خلاصة مختزنة لخبرات وتجارب الخطاطين العثمانيين وأساليبهم الفنية المتنوعة في قواعد الخط، وصناعة التذهيب، ورسم الزخرفة، وإعداد القلم والورق وأدوات الخط ومواده الأخرى، فأقبل عليه طالبا منه ذلك، وفي الوقت ذاته، عارضا عليه ما كان قد اكتسبه من المعرفة والخبرة والعمل في هذه المجالات، وبالذات نتاجه الفني في مجال الخط، والتفوق فيه، فأجازه **حامد** بالإجادة، وشهد له بالتفوق في مختلف أنواع الخط. حصل **يوسف ذنون** على إجازة **حامد الآمدي** عام (١٣٨٦ هـ /١٩٦٦ م)، ثم نال منه (التقدير) الذي هو أكبر من الإجازة درجة، وأكثر منها قيمة عند أهل فن الخط، عام (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م)، وقد نص الخطاط **حامد عزمي الآمدي** في هذا التقدير، بعد البسملة، على ما يأتي: «تقديراً منّا للمستوى الرفيع الذي بلغه الأستاذ **يوسف ذنون الموصلي** في الخط، واعترافاً بتفوقه في أنواعه المختلفة فقد قررنا منحه هذا التقدير الممتاز إضافة إلى إجازته السابقة في هذا الفن الذي نرجو له دوام العزة والتأييد والازدهار».

وبعد هذا (التقدير) الذي كان قد منحه الخطاط **حامد الآمدي** لأول مرة إلى الخطاط **هاشم محمد البغدادي** (ت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م) بعد إجازته له، ولم يمنحه من بعد إلا إلى الخطاط **يوسف ذنون** بعد إجازته له أيضا، نادرا وفذا عند أهل هذا الفن جميعا،



• شهادة تقدير من الخطاطين العراقيين

حرص يوسف ذنون على بناء شخصيته الذاتية والفنية بناء معرفيا شموليا

بدأ تعليم نفسه الخط، على أمشاق كراسة الخطاط العثماني محمد عزت

وعند هذا الخطاط نفسه بمثابة الشهادة الأولى على صيرورته الفنية، إذ إنه أحدث في مسيرته الشخصية والفنية انقلابا عميقا نحو الالتزام بهذا الفن رسالة، وأداء، ودوراً. وليس أصدق على ذلك من قول **يوسف ذنون** نفسه: «ترك هذا التقدير أثراً كبيراً في مسيرتي الخطية، إذ إنه حملني مزيدا من المسؤوليات تجاه هذا الفن، وكان أحد وسائل الدفع في المواصلة على الصعيد الفني والعملي».

الإبداع في التقليد

قد يذهب بعض نقاد الفن في تصنيف الخطاط **يوسف ذنون** أسلوبياً إلى الاتجاه التقليدي في الفن العربي الإسلامي المعاصر بعامة، وفن الخط بخاصة، منطلقين في ذلك من الاعتقاد بأن (الحروفية) تمثل الاتجاه الحديث لهذا الفن. وعلى الرغم من اعتقادنا بأن هذه الحركة التشكيلية الحديثة لا تنتمي، قلباً وقالباً، إلى فن الخط، ولا تمت إليه بأية صلة فنية نوعية، إذ ما فحصناها نقدياً في ضوء النظرية الجمالية والفنية والمعرفية للخط العربي، ولذلك يمكن القول بعدم صحة هذا التوصيف وهذا التصنيف على هذا الأساس الواهي من حيث الرؤية والمعرفة والتقويم والنقد الذي يفهم التقليد على أنه القديم والمتكرر والجامد وبالتالي فهو غير المبدع، في مقابل فهم الحداثة على أنها كسر القواعد القديمة والخروج على المألوف والتزام التغيير في الإبداع. وفضلاً عن ذلك، ربما يكون هذا الفهم المتواضع للتقليد والحداثة في توصيف الفن العربي والإسلامي بعامة، وفن الخط بخاصة، وتصنيف اتجاهاتهما الأسلوبية، قد نشأ عند بعض هؤلاء النقاد على خلفية الجهل بحقيقة (التقليد) في فن الخط، بالذات، من حيث هو مصطلح معرفي – فني قائم في أصول النظرية الفنية للخط العربي.

يطلق مصطلح (التقليد) في فن الخط العربي على محاكاة المثال الخطي من ناحية الأصول العلمية التي يجري عليها الخطاطون في تحصيل الإجادة، والمواظبة عليها، وفي إظهار المهارة والإتقان في الأداء، والإبداع في الإنتاج. ويعرفه **ابن الوحيد** (ت٧١١هـ/١٣١١م)، وهو أحد فقهاء هذا الفن، بأنه «التجويد على مثال». ويشرحه **ابن البصيص**، أحد فقهاء الخط في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، بأن التقليد في الخط «مراقبة المثال، مراقبة متواصلة وصبورة حتى يتحقق إدراك المقصود من عملية التقليد هذه في الإجادة قبل البدء بكتابة الخط في اللوحة».

ترك تقدير الآمدي أثراً كبيراً في مسيرته الخطية.

التقليد في الخط يعني «مراقبة المثال، مراقبة متواصلة وصبورة»

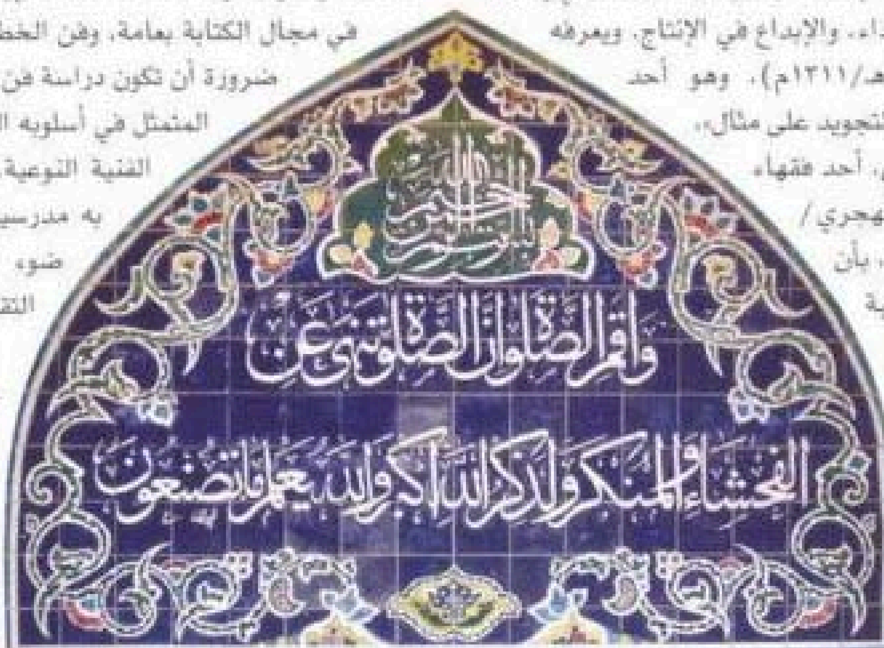
ومن هنا تبدو عملية التقليد في الخط ممارسة فنية خاصة ومستقلة وجديدة، كما تبدو أيضاً تعبيراً عن الالتزام بأصالة هذا الفن. ليتضح لنا بالتالي وباختصار، المفهوم المعرفي لمصطلح التقليد على أنه الأصالة والعراقة والمكانة التي تمثلها عادة الأعمال والمنجزات الأولى والكبيرة القابلة للديمومة والتواصل والخلود، والمعبّرة عن القيم الجماعية الإنسانية، كالمعلقات التي ظلّت، على سبيل المثال لا الحصر، في الأدب العربي القديم والحديث والمعاصر، مثال التقليد الشعري الأول الذي يتطلع كل شاعر عربي بعد فحول هذه المعلقات حتى اليوم إلى تجويد قصيدته مهما كانت، عمودية أو غير عمودية عليه.

عالج **يوسف ذنون** أنواع الخط المختلفة معالجة نابعة من رؤيته الفنية للخط العربي، التي يرى فيها أن الخط فن محكوم بضوابط وقواعد وأصول تمثل الأساس العلمي والمعرفي والحرفي له، ولكن التجويد في هذا الفن يمتد في مساحة واسعة ومفتوحة من الإبداع والتجديد في الأساليب والتكوينات. وقدتجسدت رؤية **يوسف ذنون** الفنية هذه عبر أدائه المتقن لكل أنواع الخط التي عالجها في آثار خطية لاحصر لها، إذ إن هذه الآثار تنتشر من أصغر مساحة لها في تنميق عنوانات الكتب والمجلات والمطبوعات الأخرى، وفي تزيين اللوحات الفنية المخصصة للمعارض المتنوعة حتى أوسع مساحة لها بأسلوب (الجلي) في الكتابات المسجدية الكبيرة جداً، ولعل من أفضل أمثلةالمعالجة الكلية المعبرة عن الرؤية الفنية والأداء المتقن معا لأنواع الخط المختلفة هي اللوحة الجامعة لخمسة عشرنوعا من هذه الأنواع، بنص قرآني واحد هو، بعد البسملة: (وما بكم من نعمة فمن الله)، مكتوب بالحبر على الورق ذي الأبعاد (٦٥ سم×٩٨ سم). وقد عرضت هذه اللوحة الجامعة في معرض الخط العربي الذي أقيم عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، في قاعة الفنون التشكيلية في بغداد.

• تركيب بالثلث الجلي - يوسف ذنون

من هنا، وعوداً على بدء، فإن توصيف الأسلوب الفني للخطاط **يوسف ذنون** بالانتماء إلى الاتجاه التقليدي لفن الخط العربي هو التوصيف الدقيق في ضوء مفهوم (التقليد) المعرفي القائم على الأصالة والعراقة والمكانة السامقة للإبداع العربي والإسلامي في مجال الكتابة بعامة، وفن الخط بخاصة، ولذلك نرى ضرورة أن تكون دراسة فن **يوسف ذنون** وإبداعه المتمثل في أسلوبه التقليدي ذي الإضافات الفنية النوعية، على أساس ما تميز به مدرسياً على نحو خاص في ضوء المثال الخطي العربي التقليدي ذاته.

ويمكن أن نبدأ الحديث في ذلك من العرض بأن فضاء الخط العربي يتوفر على بعدين: يتمثل البعد الأول في الناحية الوظيفية الخاصة



• جدارية مسجد - خط وزخرفة يوسف ذنون

بالتعبير البَصَري – اللغوي الواضح، ويتمثل هذا البعد نوعياً في خط النسخ لما له من صفات الثبات الشكلي والوظيفي التي استقرت على خلاصة اختيار أحسن أساليب الأداء فيه وصولاً به إلى الوضع الأمثل من الكمال الفني الذي بلغ فيه مستوى لا يدانيه فيه أيُّ خط آخر، سواء من حيث خصائصه الشكلية والجمالية أو من حيث استيعابه للحركات وإضافات التشكيل الأخرى المهمة في التعبير اللغوي التام. أمّا البعد الآخر فهو البعد الفني والجمالي المحض الذي تمثله الخطوط الأخرى التي تستجيب للإبداع الفني شكلاً وأداءً وأسلوباً، وبخاصة خط الثلث الذي هو النموذج الفني الأرقى، لما يمتاز به من جمالية فائقة ومطواعية فذة في التركيب والتكوين اللذين هما من أبرز خصائص أساليب الثلث في مدارس الخط الفنية المعروفة.

وعلى الرغم من أن الخطاط **يوسف ذنون** حاول استخلاص أشكال مبسوطة الأجزاء والمكونات في هيئة مفتوحة على الوضوح القرائي الميسر لحروف خط النسخ، من أساليب النسخ التاريخية والفنية، وبخاصة الأسلوب البغدادي المبكر والمتمثل في خط **ياقوت المستعصمي** (ت ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م)، والأسلوب العثماني المتمثل في كتابات الشيخين **حمدالله الأماسي** (ت ٩٢٦هـ / ١٥١٩م)، **والحافظ عثمان** (ت ١١١٠هـ / ١٦٩٨م)، ليدعها في كراس تعليمي فني (لم ينشر بعد) خاص بأسلوبه الفني الجديد هذا، مستنداً إلى منهجه التربوي الحديث في التعلم الذاتي لفن الخط، وليكتب بهذا النسخ ذي الأشكال القرائية المفتوحة البنية، لوحات قرآنية النص والهيئة نواة تمهيدية لمصحف شريف. على الرغم من ذلك، لم تنل كتابات **يوسف ذنون** بخط النسخ حظها المناسب من العرض والتقييم والنقد، وبالتالي لم تنل إضافاته الفنية النوعية على خط النسخ بحظها المناسب أيضاً من الدراسة والانتشار.


تركيب بالثلث الجلي - يوسف ذنون

ومع أنه قد حاول الاستفادة كثيراً من أساليب خط الثلث في المدرسة الخطية العثمانية، نجده قد استطاع كذلك تنميط أسلوبه الفني في الثلث على الوضوح والتسلسل، اللغوي والمعماري أو الإنشائي، في التركيب، وعلى الدقة والنظافة والجلي والعفوية في التكوين، وهكذا قدّم **يوسف ذنون** من خلاله لوحات خطية مدهشة في أدائها اليدوي العفوي وفي مساحاتها الكبيرة جداً، سواء ما نفذه منها على الحجر في الأشرطة الكتابية، التذكارية والإرشادية، للجوامع والمساجد التي اشتهر بكتابة خطوطها في الموصل بخاصة، وفي العراق وبعض الدول العربية بعامة، والتي تزيد في عددها على المئتين، كما في جامع الموجة بتكريت، على سبيل المثال لا الحصر، الذي تبلغ بعض أشرطته الكتابية (١١٣) متراً طولاً و (١.٢٠) من المتر ارتفاعاً، أو ما نفذه منها على الورق والمواد الأخرى لعرضها في الصالات والمعارض الفنية الكثيرة جداً، الشخصية والعامة، والمتخصصة بالخط وغير المتخصصة، الموصلية والعراقية والعربية والإسلامية والدولية، كما في لوحته الرائعة التي عُرضتْ في معرض «سحرة الأرض»، الذي أقامته وزارة الثقافة الفرنسية لتغطية الفنون الإنسانية، على قاعات مركز **جورج بومبيدو** بباريس عام (١٤١٠هـ /١٩٨٩م)، احتفاء بالذكرى المئتين للثورة الفرنسية، وكان الخطاط **يوسف ذنون** واحدا من اثنين من الفنانين العرب الذين تم اختيارهم للمشاركة في هذا المعرض الإنساني الشامل والتاريخي، فقد شارك هذا الخطاط بلوحة خطية عربية النص والفن والهوية، فقد كتبت هذه اللوحة بصورة يدوية مباشرة استخدمت الحبر الطبيعي اللون، الأسود، والذهبي، والأحمر البرتقالي، وتميزت بطولها الضافي على اثني عشر مترا، وبارتفاعها البالغ مترا واحدا كاملا، وبكتابتها بخط جلي الثلث، بواسطة قلم خاص صنعه هذا الخطاط لنفسه في كتابة الجلي فحسب، بعرض خمسة سنتمترات، لنص الآية القرآنية الكريمة: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير﴾.

وإذا كان ذلك يدل على التزام الخطاط **يوسف ذنون** بأصول الخط وقواعده التقليدية، وعلى محاولته تأسيس أسلوبه المتميز في هذا المجال، فإن إسهاماته الفنية النوعية على بعض أنواع الخط تؤكد نزوعه إلى تأسيس اتجاه مدرسي خاص لإبداعه في التقليد الفني الخطي العربي الإسلامي، وتنطلق نزعته الإبداعية هذه في التقليد الخطي العربي من نقطتين اثنتين رئيستين:

أولاهما: معالجة أشكال الحروف، مفردة ومركبة، في عدد من أنواع الخط، تشريحاً واختزالاً وتيسيراً، لاستنباط أشكال أساسية محددة وميسرة منها، يؤدي إتقانها إلى إتقان الخطوط العربية بجميع أشكالها وتفاصيل الأداء فيها، بما يحافظ على أصالة الحرف العربي اللغوية وهويته الفنية.

والثانية: الانطلاق من محدودية الأشكال الفنية الجديدة إلى إيجاد طرق فنية وتربوية لتعليم أنواع الخط العربي تكون أكثر يسراً وأجدى منفعة وأسرع أداءً وأقل جهداً ووقتاً وتسهم في انتشار الخط على نطاق شعبي واسع. ونجده قد استثمر ما توصل إليه في هذا المجال الفني في معالجة تعليم الكتابة الاعتيادية وتحسينها عند المتعلمين بقواعد بسيطة وطرق سهلة. وقد طبق **يوسف ذنون** هاتين النقطتين على



• جدارية مسجد - خط وزخرفة يوسف ذنون

الأسلوب الفني للخطاط يوسف ذنون ينتمي إلى الاتجاه التقليدي لفن الخط العربي القائم على الأصالة والعراقة.

استطاع تنميط أسلوبه الفني في الثلث على الوضوح والتسلسل اللغوي والمعماري أو الإنشائي في التركيب، وعلى الدقة والنظافة والجلي والعفوية في التكوين

خطي الرقعة والديواني من الخطوط المنسوبة، والخط الكوفي الموزون، لكونها أيسر الخطوط التي تمهد أمام الخطاط طريقة الكشف عن أسرار هذا الفن، وأصدر عدداً من كراريس الخط بعنوان (سلسلة الخط الجديدة: تعلم بنفسك)، كان منها: الخط الكوفي – قواعد عامة للمبتدئين (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، وقواعد خط الرقعة، وقواعد الخط الديواني (١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م)، ويمكن أن نعرض هنا باختصار وتحليل موجز لبعض هذه الإسهامات الفنية والإضافات النوعية بما يأتي:

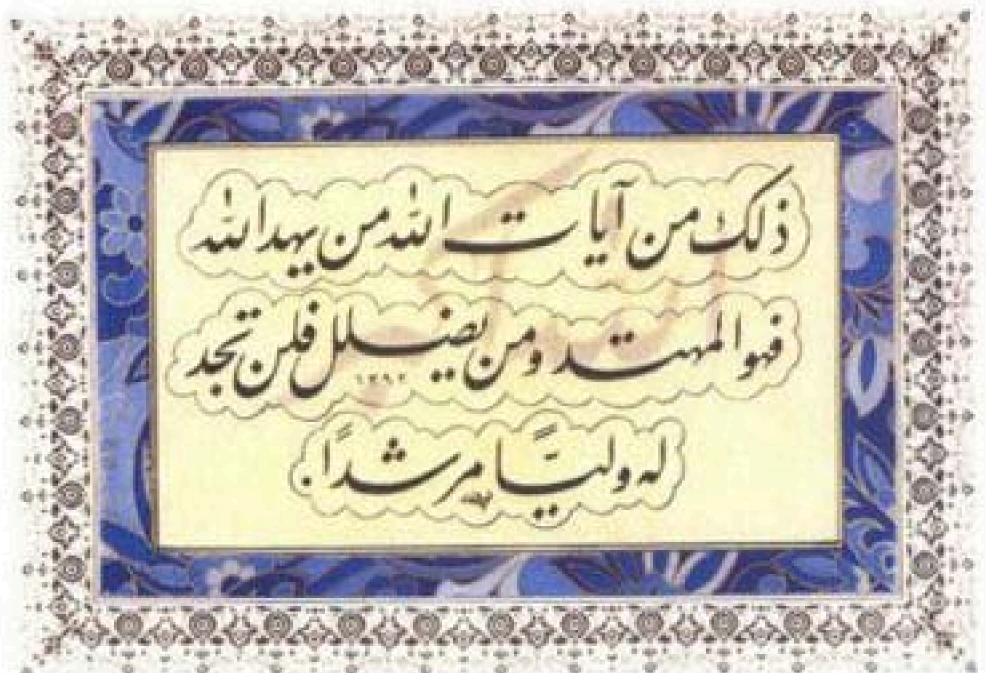
خطّ الرُّقعة

انصبت جهود **يوسف ذنون** على معالجة أشكال حروف خط الرقعة وتحليلها بغية ردها إلى أشكال أولية وأساسية تكون الأساس في الانطلاق إلى دراسة أشكاله الأخرى كافة، من الحروف والمقاطع، بما يسهل تحقيق المشق الفني السليم بحروفه، وقد اعتمد في عملية التحليل هذه المسارات الهندسية الأساسية، العمودية والأفقية والدائرية، في توصيف هذه الأشكال بصفتها وحدات هندسية وقد تمثلت هذه الوحدات عنده في أشكال الحروف الأساسية الآتية: ا، ب، ث، م، ي، ق، ص، هـ، ح.

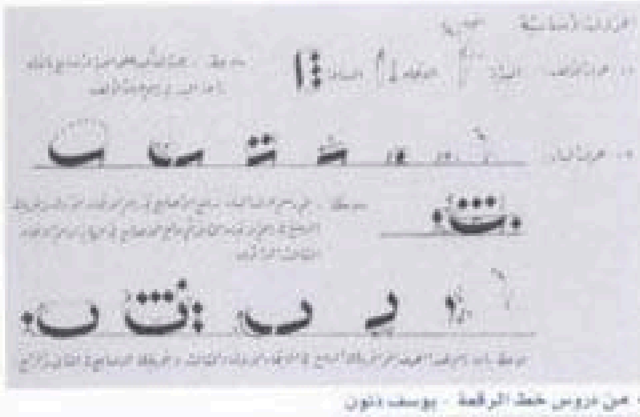
وجاء ترتيب هذه الأشكال على وفق تدرج محسوب من السهولة إلى الصعوبة والتعقيد في الهيئة والتعلم والتنفيذ، ومن أشكال هذه الحروف الثمانية تستخرج الأشكال الفنية الأخرى كافة لبقية الحروف في الخط الرقعة، وكذلك من خلال عملية التجزئة والحذف والاقتباس والتركيب التي تُجرى على الأشكال الأساسية.

وتكشف لنا محاولته هذه عن طريقة ميسرة وذاتية لتعلم هذا الفن وإتقانه، كما تكشف عن إمكان إنتاج أسلوب فني آخر في خط الرقعة، متأتٍ من وضوح مسارات رسم حروفه وتوحيد حركتها على اتجاهات معينة وإجراء بعض إضافات تصويرية على حروفه للحصول على أشكال متميزة لهذا النوع من أنواع الخط العربي.

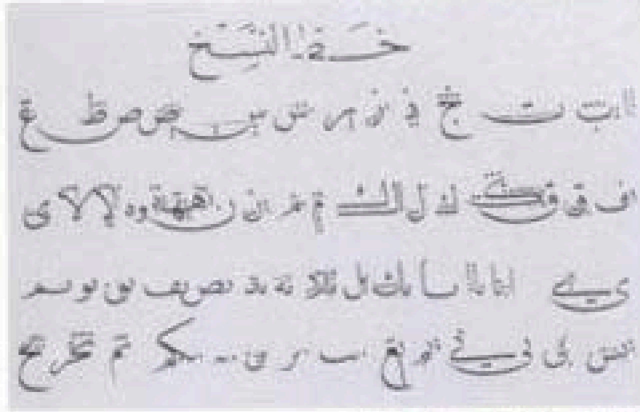
استثمر ما توصل إليه في معالجة تعليم الكتابة الاعتيادية وتحسينها عند المتعلمين بقواعد بسيطة وطرق سهلة



• لوحة بخط التعليق الجلي - يوسف ذنون - ١٩٧٥م



• من دروس خط الرقعة - يوسف ذنون



• من دروس خط النسخ - يوسف ذنون

الخطّ الديواني

أخضع **يوسف ذنون** الأساليب الفنية الشائعة في الخط الديواني لعمليات الاختبار والتحليل والتيسير والحذف والإضافة، للتوصل إلى أسلوب آخر، يخرج من هذه الأساليب التي تكاد تكون شخصية بحسب الخطاطين. ويضاف إليها، ومن أبرز هذه الأساليب: أسلوب الخطاط التركي **محمد عزت** الأخير والناضج في كراسته الثانية الصادرة عام (١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م)، والمختلف اختلافاً واضحاً في الشكل وفي الأداء عن أسلوبه الديواني الذي كان قد نشره في كراسته الأولى الصادرة عام (١٢٩٣هـ / ١٨٧٥م). وأسلوب **عزت** هذا يتسم عموماً بانكماش أشكال حروفه على نفسها والشائع على نطاق محدود لدى خطاطي سوريا ومصر والعراق، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، الخطاط **هاشم محمد البغدادي**. ويقابل هذا الأسلوب المقرمط أسلوب الخطاط **مصطفى غزلان** (ت ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م) الذي يتسم بانفتاح أشكال حروفه وسعتها، وينتهجه أغلب خطاطي مصر وبعض الأقطار العربية، الذين منهم، على سبيل المثال لا الحصر، الخطاط **محمد عبدالقادر** (ت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) الذي سارت (مدرسة تحسين الخطوط في القاهرة) على نهجه في هذا الخط.

ومن معالجة هذين الأسلوبين، استخرج **يوسف ذنون** أسلوباً آخر يجمع محاسنهما الفنية والأدائية ويفيد منها، ولكنه يخضع أشكال حروف هذا الخط في عملية التحليل إلى المكونات الأساسية والمباشرة، على وفق المسارات الهندسية المعروفة مع طغيان صفة الليونة الفائقة عليها، وبخاصة في زيادة تقويس بعض أشكال الحروف ومتابعة المسار المنتظم هندسياً سواء في الانبساط الأفقي على السطر أو في إرسال أشكال الحروف الخاضعة للمسار الدائري الكامل المنطلق من مسارات قطرية مثل حروف: الألف، والألف الملفوفة، والراء، والواو، والدال، واللام، والكاف، وسواها.

الخط الكوفي

قواعد عامة للمبتدئين

• قواعد الخط الكوفي - يوسف ذنون

الخطّ الكوفي

حاول **يوسف ذنون** تيسير الأداء في هذا النوع الصعب والمتعدد الأشكال من أنواع الخط العربي، من خلال اقتراح قواعد ابتدائية عامة فيه تقوم على ضبط ثمانية أشكال رئيسة، ستة منها في الحروف المفردة، هي: أ، ح، ع، ك، ق، ي.، واثنان في الحروف المتصلة، هما: العين الوسطية واللاّم ألف، مع استعانة بالأدوات الهندسية المتيسرة واستعمال المربعات في تتبع الرسم الخطي على نظام العد البدائي، وعلى وفق النسبة العشرية في ضوء القياس الأساس لحرف الألف المفرد (١٠ : ١)، وفي ضوء فراغ النقطة الواحدة المتكرر لضمان صلة الحروف، بعضها مع بعض، في النص الخطي.

وبعد التمكن في الأداء على هذه الطريقة، يصار إلى الانتقال إلى طريقة نصف النقطة المعيارية في قياس الفراغ الواصل بين الحروف المرسومة على السطر وما فوقه، مع الأخذ بعين الاعتبار استثمار الفراغات المتاحة المحتملة في الشريط الكتابي الكوفي بالوحدات الزخرفية الهندسية التي استخدم **يوسف ذنون** فيها المربع المفتوح الذي سماه (المربع السحري) أداة للضفر الزخرفي المتواصل بلا حدود، أو بالوحدات الزخرفية الغصنية والتوريق العربي (الأرابسك) التي يسّر **يوسف ذنون** تنفيذها باعتماد طريقة جديدة في تحليل التوريق العربي وتحديد منطلقاته التي تعتمد على الأساس ثم التوريق بدءاً بالقوس وانتهاءً بالحلزون على خط الأساس ورسم الورقة النباتية وتحويراتها، ثم توزيعها على الأساس وصولاً إلى الوحدة الزخرفية التي تتكرر لإنتاج الشكل النهائي للتوريق، والتي يمكن استخدامها على نحو محدود في أرضية الشريط الكتابي الكوفي أو فراغاته.

فقهية الخط العربي

لا شك في أن فن الخط العربي يعيش اليوم نهضة فنية معاصرة قد تكون الأكثر تميزاً بين الفنون التشكيلية بعامة، والإسلامية منها بخاصة، حتى يمكن القول بأن هذا الفن العربي الإسلامي الأصيل قد عاد أوفر حظاً من غيره من الفنون في أرجاء الوطن العربي والعالم الإسلامي، بل وفي العالم كله. إذ يتمثل هذا الحظ في الاهتمام الرسمي والشعبي بإقامة المؤسسات الأكاديمية والعلمية المتخصصة بهذا الفن، وتنظيم الفعاليات الفنية الواسعة للإبداع فيه، وإصدار المطبوعات المكرّسة لدراسته والبحث في شؤونه المختلفة، على نحو لم يكن مألوفاً، ولو بشكل ضئيل، قبل عقد من السنين تقريباً.

ويظل الخطاطون عماد هذه النهضة المعاصرة لفن الخط العربي، فإبداعاتهم تشكل العمود الفقري لمعالم هذه النهضة من المراكز والمعاهد والمتاحف وغير ذلك من المؤسسات، كما تمثل العصب الحي لمظاهرها المختلفة كالمعارض والمسابقات والمهرجانات والملتقيات وغير ذلك من الفعاليات التي يتبارى الخطاطون المعاصرون، وهم كثر بلاشك، في سبيل المشاركة فيها لعرض أعمالهم الفنية ونتاجاتهم الخطية المبدعة.

ولكن ممّا يلاحظ على هذه النهضة الفنية الخطية المعاصرة هو عدم التوازن بين الفن والثقافة فيها، إذ يغلب عليها الجانب الفني غلبة كبيرة تجعل المقارنة بينه وبين الجانب الثقافي والمعرفي غير ذات أهمية، لكثرة الخطاطين والمعارض والمسابقات واللوحات والصور، ولقلة الباحثين في الخط ومؤرخيه ونقاده، والبحوث والدراسات والكتب والدوريات والملتقيات الثقافية والمؤتمرات العلمية. بل يمكن القول بأن الصنفين الاثنين هذين: الخطاطين وفقهاء الخط – إن صحت التسمية – قلّما يلتقيان في عمل واحد أو نشاط واحد أو مؤسسة واحدة أو في شخص واحد، فغالباً ما كان الخطاط فنّاناً في الخط فحسب، وغالباً ما يكون مؤرخ الخط وباحثه حتى ناقده، دون معرفة بأصول الشكل والتشكيل وقواعدهما في الخط على أقل تقدير، ومن ذلك كله يمكن القول بندرة اجتماع خبرة الخط الفنية ومعرفته الثقافية عند واحد من أهل هذا الفن المعاصرين.

الخطاطون هم عماد النهضة المعاصرة لفن الخط العربي، فإبداعاتهم تشكل العمود الفقري لمعالم هذه النهضة من المراكز والمعاهد والمتاحف وغير ذلك من المؤسسات.

• حرف طباعي - تصميم يوسف ذنون

ولكن إذا ما قرأنا فن **يوسف ذنون** وثقافته في مجال الخط العربي، تحديداً، قراءة نقدية منهجية.. فإننا نستكشف فيه تلك الموسوعية المعرفية التي تجعله مثال هذه الندرة التي تجمع فنان الخط العربي وفقيهه معاً في شخص واحد، أو نحو ذلك، بفضل ما يمتلكه من المعرفة العميقة والواسعة بالخط فناً وثقافة، والتي أهلته لأن يكون واحداً من أبرز الباحثين المتخصصين بعمق في شؤون الخط وقضاياه التاريخية والفنية، فضلاً عن أنه، في الوقت ذاته، واحد من ألمع الخطاطين المعاصرين في العراق والوطن العربي والعالم الإسلامي.

نستكشف في يوسف ذنون الموسوعية المعرفية التي تجعله مثال هذه الندرة التي تجمع فنان الخط العربي وفقيهه معاً في شخص واحد.



• اسم الجلالة - بالخط الكوفي - يوسف ذنون

ومثلما اشتغل على قواعد الخط العربي الفنية، وامتلك ناصيتها خبرة، ومارسها على نحو إبداعي، اشتغل كذلك على النظر العلمي المتعمق والفاحص في الخلفيات الفلسفية والتاريخية والآثارية والتربوية لفن الخط العربي. وكان من أهم نتائج هذا الاشتغال الفني – العلمي الطويل والعميق على الخط العربي تقديمه، على المستوى الفني، صياغة أمهر للشكل الخطّي الخاص بالحرف العربي في بعض أنواع الخط كالرقعة والديواني بخاصة، وعموم أنواع الخط الفنية والآثارية وحتى تلك التاريخية، في أسلوب واضح ومميز يعكس المهارات المعرفية، المكتسبة والمبتكرة، الأساسية لأداء هذا الفن. أمّا على المستوى العلمي والثقافي لفن الخط، فقد كان من نتائج هذا الاشتغال تقديمه آراء ومقترحات علمية ومعرفية جديدة ومهمة في ما يتعلق بالوجود الفني والتاريخي للخط العربي على صعيد النشأة والتطور، بل إن بعض هذه الآراء والمقترحات على قدر كبير وخطير من الأهمية التي تستدعي التوقف عندها وإعادة النظر في العديد من الحقائق الفنية والتاريخية للكتابة العربية بعامة، وفن الخط العربي بخاصة، إذ يتصل بعض هذه الآراء والمقترحات بأصل الكتابة العربية ونشأتها الأولى، ويتصل بعضها الآخر بالتطور الفني – التاريخي للخط، وإذا ما حاولنا القيام بمعاينة نقدية لبحوثه ودراساته عن الخط العربي، وبخاصة تلك المنشورة منها، فإننا يمكن أن نقف على العديد من المسائل الأصلية والفرعية التي تتعلق بتاريخ هذا الخط وثقافته وفنه. ولعل من أبرز هذه المسائل: أصل الكتابة العربية ونشأتها الأولى التي تجاوز فيها النظريات السابقة التي تراوحت في تحديد أصل الكتابة العربية بين خط المسند الحميري العربي الجنوبي، وبين الخط السيناني السامي، وبين الخط السرياني، وبين الخط النبطي أخيراً، على نظرية جديدة يرى فيها أن أصل الكتابة العربية عربي محض هو الخط الذي كان شائعاً في مدينة (الحضر) التي كانت عاصمة لمملكة عربية قامت في بادية الجزيرة بالقرب من وادي الثرثار في العراق، وكانت تفصل بين المملكتين الرومانية والفارسية، وسقطت على يد الملك **الساساني سابور الأول** عام (٢٤١م)، ولا تزال أطلالها ماثلة إلى اليوم على بعد ما يزيد على مئة كيلومتر إلى الجنوب الغربي من مدينة الموصل.

اشتغل على قواعد الخط العربي الفنية، وامتلك ناصيتها خبرة، ومارسها على نحو إبداعي، وعلى النظر العلمي المتعمق والفاحص في الخلفيات الفلسفية والتاريخية والآثارية والتربوية.

■ الخط الكوفي ليس كوفياً في أصله الفني والتاريخي، بل هو أصلاً خط الجزم العربي القديم الذي تطور استخداماً في الآثار المختلفة ليعرف لاحقاً بالخط الموزون، وهو نفسه خط الجليل المتطور في العهد الأموي وأوائل العهد العباسي.

■ إن حقيقة دور **ابن مقلة** الفني في هندسة الخط وتجويده لا تنطبق على الوزير العباسي **أبي علي محمد بن مقلة** (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، بل تنطبق تماماً من الناحيتين الفنية والتاريخية على أخيه **أبي عبدالله الحسن بن مقلة** (ت ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م) صاحب الخط المليح، كما تذكر أغلب المصادر التاريخية.

■ إن خط النسخ هو ليس تلك الكتابات اللينة الموجودة على العمائر والآثار كما يقول أغلب دارسي الفنون الإسلامية والباحثين فيها، إذ إن خط النسخ قد اقتصر في كتابته على المخطوطات والمصاحف، وإن هذه الكتابات اللينة على العمائر والآثار بالذات هي خط الثلث في أول مراحله الفنية والتاريخية. إذ إن خط الثلث هذا قد نشأ وتطور، فنياً وتاريخياً، عبر المراحل الآتية:

١- **الثلث الأقدم:** الذي كان منذ نشأته الأولى على العمائر حتى نهاية القرن الثاني الهجري نوعاً من أنواع الخط الكوفي الموزون.

٢- **الثلث القديم:** الذي كان قد خرج من رحم الخط الموزون ليتشكل بالاعتماد على الأداء اليدوي في شخصية جديدة من مرونة الحركة وليونة الشكل وجماليته القائمة على النسبة الفاضلة.

٣- **الثلث المحقق:** الذي كانت له شخصية فنية جامعة لبعض خصائص كل من خطي الثلث القديم والثلث المحقق الذي لم يبق منه سوى شكل بسملته الشهيرة.

٤- **الثلث الحديث:** الذي انتهى بخط الثلث إلى العناية بالتشكيل الفني والجمالي الفائق والأخاذ لأشكال الحروف وعلاقاتها النصية الداخلية من حيث التراكيب والحركات والتزيين، والخارجية من حيث التصميم وإخراج اللوحة الفنية، وهو ما عليه خط الثلث اليوم.

٥- **الثلث المغربي:** الذي شاع في المغرب العربي، حاملاً الخصائص العامة للثلث القديم بأسلوب متميز بشخصيته المغربية، مستمراً حتى الوقت الحاضر.

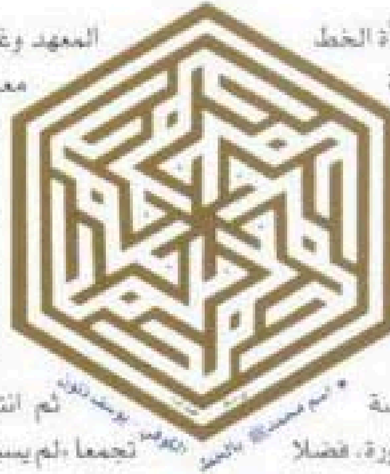
و**ليوسف ذنون** في الخط العربي آراء ونظريات أخرى تؤكد خصوصيته العلمية في هذا المجال، وتشهد بعمق دراساته في تاريخ الخط وفنه بعامة، وفي تاريخ الكتابة العربية بخاصة، كما نلاحظ على سبيل المثال لا الحصر في قراءته الجديدة لأثر خط (المسند) في الكتابة العربية المبكرة على أن هذا الأثر لا يتعدى طريقة التنفيذ والترويسات، وكما نلاحظ في تفسيره



• محراب مسجد في العراق بخط يوسف ذنون

النقدي التاريخي للنظريات العربية القديمة في نشأة الخط العربي التي رأى فيها بعض الباحثين ملامح الخرافة فأثبت صدقها العلمي وصحتها التاريخية.

وقد جاءت آراء **يوسف ذنون** وجهوده هذه وغيرها متمثلة في نتاجات علمية وبحثية اتسعت عبر عدد غير قليل من المؤلفات المطبوعة، والبحوث المنشورة في المجلات العلمية المحكمة، والدراسات التي ألقاها في الندوات والمؤتمرات الدولية، بما يزيد عددها على خمسة كتب صادرة، وعلى خمسة عشر بحثا ودراسة منشورة، فضلا عن تحقيقه العلمي الرصين لمخطوطة **ابن البصيص** الشارحة لقصيدة **ابن البواب** في علم صناعة الكتاب، وعشرات المقالات والحوارات والمداخلات والتعقيبات عبر وسائل النشر والدرس والإعلام المختلفة.



• اسم محمد ﷺ بالخط الكوفي - يوسف ذنون

أجيال يوسف ذنون الخطية

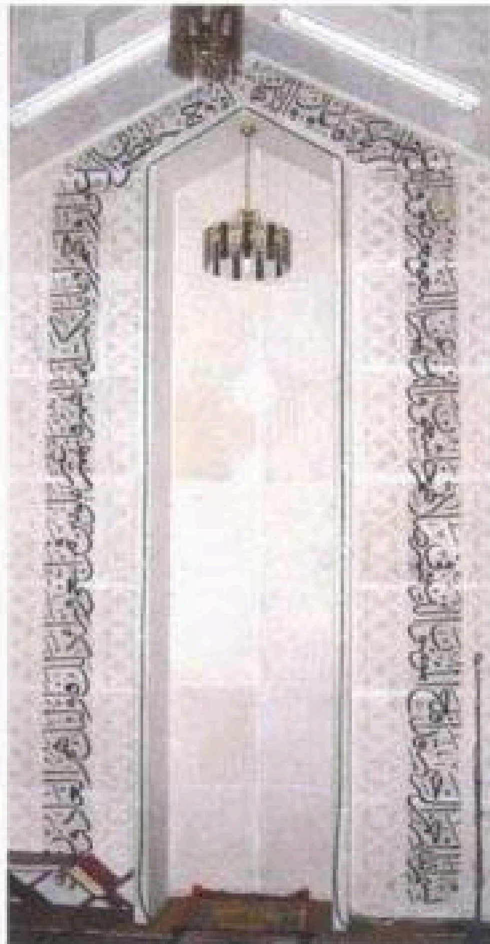
على مدى العقود الأربعة الماضية، عاشت مدينة الموصل، ولا تزال، نهضة فنية في الخط العربي قل نظيرها في أي بقعة من الوطن العربي والعالم الإسلامي، وتتمثل هذه النهضة في اكتظاظ المدينة بعدد كبير جدا من الخطاطين، وفي الآثار الخطية الكثيرة العدد والمتنوعة المواد والأحجام التي تطالع الناظر في كل مكان تقريبا من واجهات عمائرها المدنية والدينية والثقافية والعلمية والرسمية والتجارية وفي حركة التعليم المستمر للخط بالدورات الرسمية المتخصصة والمجانية أو التعلم الطوعي في الجوامع والمساجد، وفي المعارض المتوالية الشخصية والجماعية، وفي مظاهر أخرى عديدة، وباختصار: تتمثل هذه النهضة الفنية المعاصرة في هذا الانتشار الفني والجمالي، الأفقي والعمودي، الشعبي والرسمي، لفن الخط في الموصل الحالية، حتى يمكن القول مع هذا الانتشار أنه مثلما يمتاز المجتمع الياباني بسمة حب الزهور وتنسيقها، يمتاز المجتمع الموصلي بسمة حب الخط وتجويده وتذوقه.

ويمكن العودة بجذور هذه النهضة تحديداً إلى عام (١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م)، وإلى معهد المعلمين بالموصل، حيث بدأت النواة الأولى لهذه النهضة على يد الخطاط والباحث **يوسف ذنون** الذي كان قد طلب إليه تدريس فن الخط لطلبة الصفوف الأولى بالمعهد آنذاك، ليصار بذلك، ولأول مرة، إلى تدريس فن الخط في المؤسسات التعليمية درسا فنيا خاصا ومستقلا، بعد أن كان شائعا في المدارس تدريس (الخط والإملاء) جزءا من مادة اللغة العربية، ويهتم فيه بكيفية الإملاء الصحيح وتحسين الكتابة العربية فحسب، واستطاع إثبات هذه النواة وتطويرها تدريجيا من خلال رعاية نخبة من طلبة المعهد وغيرهم من الذين كانت لديهم الرغبة والموهبة معا في مجال هذا الفن، حتى صارت هذه النخبة فيما بعد النخبة البارزة من الخطاطين ليس في الموصل فحسب، بل في العراق أيضا، ومضى هو وتلامذته الخطاطون في نشر فن الخط بالموصل، رسميا وشعبيا، حتى توجت جهودهم بإقامة أول معرض ضخم وشامل ومعاصر للخط في المدينة عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ثم انتقل إلى بغداد عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، فكان تجمعا «لم يسبق أن عرف العراق ولأكثر من خمسين عاما خلت تجمعا فنيا مثله في مجال الخط، ويمكن اعتبار هذا المعرض هو الأول من نوعه»، كما يقول الخطاط والباحث **باسم ذنون** في كتابه (من آفاق الخط العربي)، مما جعله يحظى باهتمام إعلامي وفني وشعبي كبير دفع الحكومة إلى تكريم المشاركين في هذا المعرض، وإدراك أهمية هذا الفن العربي الأصيل ووجوب رعايته في عموم العراق من خلال نقل تجربته الموصلية إلى بقية المحافظات.

للخطاط يوسف ذنون تلامذة كثيرون يعدون بالعشرات داخل العراق وخارجه.

لقد دفع هذا المعرض ونتائجه إلى توسيع قاعدة الخط وتعميق نهضته الفنية في الموصل، فنشطت الجهود التعليمية والفنية والثقافية المتعلقة به، كدورات تعليم الخطوط العربية والندوات العلمية والمحاضرات الثقافية والمعارض الفنية ونشر الكتب والمطبوعات والكراريس والكتابة في الصحف والمجلات وغير ذلك من الجهود المتيسرة في المؤسسات الرسمية والشعبية في المدينة كمديرية النشاط المدرسي التابعة للتربية في محافظة نينوى، التي دأبت منذ نقل إليها الخطاط **يوسف ذنون** مشرفا للخط العربي، على إقامة دورات تعليمية مجانية لأنواع الخط المختلفة، لعموم المستويات والشرائح، ابتداء من طلبة المدارس الابتدائية والثانوية والمعلمين والمدرسين ومختلف المتعلمين والمثقفين بل وعموم الناس، في أعداد كبيرة جدا، صغارا في السن وكبارا، على حد سواء، تقلبوا في أجيال عديدة انخرطوا عبر هذه العقود في ما يزيد على الثلاثمئة دورة، بدأها **يوسف ذنون**، وخطط لها، ورسم طريقها في منهج خاص ليقوم تلامذته من الرعيل الأول من بعده، في التدريس في هذه الدورات، ثم ليواصل من بعدهم تلامذة تلامذته حتى اليوم، فضلا عن تلك الدورات التي جرت في جمعية التراث العربي الموصلية الملغاة، وجمعية الخطاطين العراقيين، والمساجد والجوامع والمقاهي الشعبية، وفضلا عن ممارسته تدريس الخط على المستويين الرسمي والأكاديمي الجامعي في أقسام الدراسات العليا والأولية لكليات الآداب (الآثار والمخطوطات) والهندسة ومعاهد المعلمين والفنون الجميلة والمعاهد الفنية، وفي هذا المضمار، صار للخطاط **يوسف ذنون** بعد ذلك تلامذة كثيرون يعدون بالعشرات داخل العراق وخارجه.

أشرف على إقامة دورات تعليمية مجانية لأنواع الخط المختلفة لعموم المستويات والشرائح.



• محراب مسجد في العراق بخط يوسف ذنون

مدرسة ذنون

فاروق

التبادل الفني والمعين المعرفي

د. ادهام محمد حنش:

منذ ما يقرب من ربع قرن، وتحديدا ذات صباح يوم مدرسي جميل من أيام عام ١٩٧٣م، استدعاني مدير مدرستنا الابتدائية ميسلون، أستاذنا الفاضل المربي الكبير **شفيق الرمضاني**، ليقدمني إلى زائر المدرسة آنذاك مشرف الخط العربي بمديرية تربية نينوى أستاذنا الفاضل الخطاط والباحث **يوسف ذنون**، تقديما ما زلت أذكر رعايته وحنانه وثقته بالقول: هذا الطالب «يعرف بخط». ومازلت أذكر كتابتي الأولى أمام الأستاذ يوسف في غرفة المعلمين، بحضور معلم التربية الفنية أستاذنا الفاضل الفنان والكاتب **طلال محمود شاهين** الذي أخبرني بتقدير الأستاذ يوسف لكتابتي تلك، وبثنائه على حسن خطي، ووصيته له برعايتي رعاية خاصة، أدركتها في دعوتي إلى ملازمة مرسم المدرسة، وتفرغه معي للعمل على إنتاج أول لوحة خطية لي، ما زلت أذكرها جيدا، لوحة جامعة لستة أنواع من الخط العربي، نصها (لا إله إلا الله)، مكتوبة على الورق الصقيل السميك نسبيا، وكانت طريقة كتابتها بأن صنع لي الأستاذ **طلال** قلم خط عريضا كان عبارة عن قلمي رصاص مربوطين معا، وكتبت به النص، وقام هو بملء هذه الكتابة بصبغ مائي أخضر اللون، كما قام بتأطير اللوحة التي كانت أبعادها بحدود (٥٠×٣٠سم). وكانت هذه اللوحة قد فازت بالجائزة الأولى لمعرض الخط العربي الذي أقامته مديرية تربية نينوى للمدارس الابتدائية عام ١٩٧٣م، وكانت الجائزة عبارة عن درع المعرض وكتاب (بدائع الخط العربي) مكتوبا عليهما بخط **يوسف ذنون** وتوقيعه.







● من إصدارات د. ادهام محمد حنش

«أكثر من ثلاثمئة دورة في الخط بدأها يوسف ذنون وخطط لها ورسم طريقتها في منهج خاص»
د. ادهام محمد حنش

لم أكن حتى ذلك الوقت قد درست الخط على أستاذ، أو تعلمته على معلم، وكل ما كان عندي من حسن الخط آنذاك كان نتيجة هواية أمارسها على غير قصد أو هدف، حتى دعاني الأستاذ إلى مديرية النشاط المدرسي، لدراسة الخط على يديه في العطلة الصيفية، وصرت أتردد عليه صباح كل يوم خميس من عام ١٩٧٣م، أدرس عنده خط الرقعة لوحدي حتى أتقنته. وجاء الصيف التالي فضمني أستاذي، وأنا الطالب ابن الصف الخامس الابتدائي، إلى دورة جماعية للمعلمين أقيمت في مدرسة الفتوة النموذجية، ولم يكن فيها من طالب صغير يدرس الخط آنذاك سواي، فاستغرب معلم الدورة وهو الخطاط والمزخرف والمذهب **طالب العزاوي** أحد تلامذته البارزين وجود طالب ابتدائي بين المعلمين الدارسين في هذه الدورة المبكرة، كما تبدو، فقال له الأستاذ **يوسف**: «اختبره في خط الرقعة، وسترى».

كان المنهج التعليمي والتدريبي الذي وضعه الأستاذ لدراسة الخط، يبدأ بخط الرقعة، ثم الديواني، ثم التعليق، ثم النسخ، وصولا إلى خط الثلث، وهكذا. فخضعت للاختبار، وصرت أكتب بخط الرقعة، وتحلق حولي المعلمون الدارسون، فاجتزت الاختبار سريعا، ودخلت في دراسة خط الديواني.

وجاء الصيف الثالث لأنضم إلى دراسة خط التعليق على يد تلميذ بارز آخر من تلامذته، ذلك هو الخطاط والباحث **باسم ذنون** الذي درست على يديه أيضا، فيما بعد، خط النسخ، في مكتبه الفني الخاص الذي كان اسمه (دار الخط العربي). وعلى الرغم من تواصلي في دراسة الخط، وفي المشاركة الدورية سنويا حتى تخرجي من الدراسة الإعدادية، في المعارض التي كانت تقيمها مديرية النشاط المدرسي، لم يكن الخط هوايتي المفضلة والوحيدة التي أمارسها بدأب ونشاط ورغبة واهتمام فحسب، إذ نمت عندي هواية أخرى رفيقة للأولى هي: (الكتابة)، لا سيما وأنني كنت منذ وقت مبكر جدا من حياتي الطلابية الابتدائية صديقا للكتاب والمجلة وقصص الأطفال، وظلت هاتان الهوايتان (الخط) و(الكتابة) تتجاذباني طوال فترة دراستي اللاحقة في المتوسطة وفي الإعدادية، أشارك خطاطا في معارض الخط الطلابية، المحلية والقطرية، وأتفوق فيها، وأزاول الكتابة والتأليف والنشر. أثرت الكتابة على هواية (الخط) التي انحسرت خلال سني الدراسة الجامعية الأولى، إذ لم أعد أزاول الخط إلا على سبيل التكليف والطلب، على الرغم من أنني عملت خلال هذه الفترة، وبشكل رسمي، خطاطا في مطبعة الجامعة، وفي جريدة (الحدباء) الأسبوعية الموصلية العريقة، وفي جريدة (القادسية) اليومية البغدادية التي أعادتني



• ادهام حنش مع الأستاذ يوسف ذنون والدكتور روضان بهية

العمل فيها إلى جمع هوايتي السابقتين الخط والكتابة في هواية جديدة واحدة هي: الكتابة في فن الخط، من خلال استحداث زاوية ثقافية – فنية أسبوعية تعنى بهذا الفن، أسميناها (عيون الخط العربي)، في صفحة كاملة أو نصف صفحة من صفحات جريدة القادسية، لتصبح هذه الزاوية النافذة الإعلامية الرائدة في الاهتمام بهذا الفن وثقافته في الصحافة العراقية.

وهكذا، أعادني هذا النشاط، من جديد، إلى أستاذي الأول في الخط **يوسف ذنون**، لأبدأ معه مشوارا جديدا في هذا المجال، يختلف عن مشوار تعلمي السابق على يديه، ويختلف أيضا عن مشوار أدائي الفني للخط تحت إشرافه، وهما المشواران اللذان غادرتهما ولم أعد فيهما منذ سنين. فعدت معه في مشوار خط جديد يمكن أن نسميه مشوار الصحافة والثقافة والعلم والمعرفة، مشوار البحث والنقد في فن الخط العربي.

بدأت مسيرتي الجديدة مع أستاذي **يوسف** منذ أواخر الثمانينات من القرن الماضي، فأجريت معه حواراً صحفيا موسعاً عنه وعن الخط، وكان لهذا الحوار صدى طيب، دفعني إلى إنجاز الكثير من الحوارات مع الخطاطين، كما دفعني ذلك إلى الكتابة عن فن الخط، وكنت أحاول بفضل الله تعالى وتشجيع الكثيرين والدعم الخاص للأستاذ إلى تحريك الساكن الإعلامي والثقافي المتعلق بهذا الفن، باتجاه خلق صحافة ثقافية وفنية للخط العربي، وإعادة الاعتبار المعرفي والعلمي إليه بوصفه الفن العربي والإسلامي الأول والأصيل، من خلال كتاباتي النقدية المتعلقة بالجوانب التشكيلية في الفن الخطي التي صارت تتواصل في الدعوة إلى إيجاد أسس نقدية تقوم على القواعد والأصول، وتتلمس الجمالية في الخط، وتخضعه لقواعد النقد الحديث، مستعينة بما استجد من مناهج هذا النقد ومدارسه، حتى نضجت عندي فكرة تأصيل وتأسيس مشروع النقد الفني للخط العربي، وهو المشروع الذي أعتز بعملي عليه وإخراجه بشكل أولي ومبكر في كتابي الأول في الخط، كتاب (الخط العربي وإشكالية النقد الفني)، الذي صدرت طبعته الأولى في بغداد عام ١٩٩٠م، وصدرت طبعته الثانية في عمان عام ١٩٩٨م، ولم أنل من أستاذي في ذلك كله التشجيع والمساعدة فحسب، بل نلت منه شهادة الأب والمعلم والفقيه العالم في (تقديم) خاص بقلمه المبدع، خطاً ولغة، لهذا الكتاب الذي رأى فيه أستاذنا مطلبا مهما وضروريا لتلبية الحاجة النقدية لفن الخط، وأكد ذلك في نص تقديمه للكتاب.

ومضى تواصل التعاون العلمي والثقافي والفني بيننا في خدمة الخط العربي، فقد كان له فضل مشكور ودعم كبير في ترشيحي إلى قائمة الباحثين من العلماء والمؤرخين و المفكرين وأساتذة الجامعات، المساهمين في كتابة بحوث (موسوعة الموصل الحضارية)، التي صدرت في خمسة مجلدات كبيرة عام ١٩٩١م، عن جامعة الموصل، لأكون أصغر هؤلاء الباحثين سنا، إذ كتبت فيها بحثين علميين محكمين عن (الخط العربي في الموصل خلال الحقبة العثمانية)، وعن (النهضة الفنية المعاصرة للخط العربي في الموصل).

كان لقائي بالأستاذ **يوسف ذنون** متواصلا بالأخذ منه، والتحاور معه، واستشارته في الكثير من الموضوعات العلمية وغير العلمية، وكنت أتردد عليه بشكل دوري، عصر كل يوم جمعة، في بيته العامر، وكان له في بيت المجموعة الثقافية تفرغ لأشبه ما يكون بمجلس علمي، وكان الأستاذ يفتح للجميع قلبه ومعرفته وفنه ومكتبته.

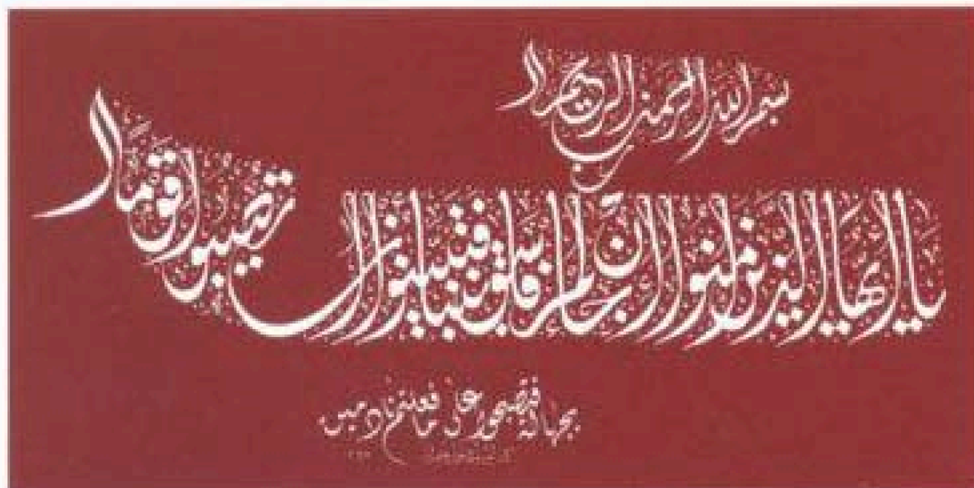
وعندما عرضت عليه ذات يوم عزمي المتواضع على التفرغ الأكاديمي لدراسة الخط في إشكالياته المعرفية المتعلقة بطبيعة التنظرية الفنية، ونشأتها، وتطورها، ومصطلحها، وخلفيتها الفلسفية والجمالية، من أجل تأصيل النوع المعرفي لفن الخط العربي، فرح كثيرا، ورأيت في وجهه ملامح أمل يتحقق بسد النقص الأكاديمي الذي يعاني منه هذا الفن على صعيد الفهم والعلم والتصنيف المعرفي، فشجعني بالقول: «إن سيرك في هذا الطريق هو أهم بكثير من أن تظل خطاطا، فلدينا الكثير الكثير من الخطاطين، ولكن ما يزال فن الخط بحاجة ماسة إلى علماء وباحثين ونقاد، وأرجو، بل آمل، أن تكون واحدا منهم».

ومن هنا كانت معاونته المفتوحة لي بالمشورة والرأي وإعارتي مراجع الخط الكثيرة من مكتبته، خلال إعدادي وكتابتي لأطروحتي لشهادة الماجستير عن (الخط العربي في الوثائق العثمانية) الموضوع الذي صدر كتابا رابعا لي عن دار المناهج في عمان عام ١٩٩٨م، وكذلك خلال إعدادي وكتابتي لأطروحة الدكتوراه عن (المصطلح الفني في الخط العربي: تاريخه ومعجمته).

ولعلنا نستطيع أن نخلص في خاتمة هذه الشهادة المتواضعة إلى أنه مثلما كان أستاذي باذلا نفسه وفنه أمام تلامذته، وأنا منهم، وأمام كل من يطلب الخط عنده ومنه، ساعيا إلى نشره بين الناس، كان عندي الأب والمعلم الذي رافقته على مدى مايزيد على ربع قرن من الزمان، وكان معيني المعرفي الرئيس في فن الخط العربي وثقافته.

«المنهج التعليمي والتدريبي الذي وضعه الأستاذ يوسف لدراسة الخط، يبدأ بخط الرقعة، ثم الديواني، ثم التعليق، ثم النسخ وصولاً إلى خط الثلث».

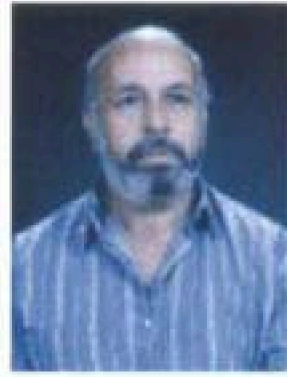
د. ادهام محمد حنش



• لوحة بخط الديواني الجلي – يوسف ذنون

الخطى الواثقة

باسم ذنون:



من عقم الأساليب وصعوبة التعلم إلى الأنانية في الفن، عزف الناس عن ممارسة الخط العربي وتعليمه وبقي حكراً على قلة قليلة من الذين يحسنونه، مما يتطلب حالة من التحريك وبالاتجاه المضاد لخدمة هذا الفن كي يقبل الناس على تعلمه.

فكانت حالة التفجير الأولى لدى **يوسف ذنون** وخاصة عندما طلب منه تدريس الخط العربي في معهد المعلمين عام ١٩٦٢م، وكان تركيز اهتمامه وقتها منصباً على التدريس في التربية الفنية وأصولها في آخر دورة لدار المعلمين والتي تداخلت مع افتتاح أول دورة لمعهد المعلمين في المجموعة الثقافية والتي أدرج ضمن مناهجها دروس الخط العربي فناً وأصولاً. فكانت المواقف أمامه غير ميسورة بقدر ما هي معقدة. غير أن عناده المزوج بالصبر والذكاء في اجتياز العقبات فتح أمامه آفاق الإبداع الخطي. فكانت المراجعة العلمية والفنية للخطوط العربية أساس انطلاقته وبخطى واثقة واضعاً في حساباته الأساسيات الآتية:

١- مراجعة طريقة التعلم الشخصية ووضع النقاط الإيجابية التي تحققت عبر تلك المراجعة موضع التطبيق.

٢- دراسة خطي الرقعة والنسخ ووضع دراسة جديدة لها.

٣- وضع مفردات لغوية واضحة ودقيقة لخلق لغة مشتركة بين المتعلم والأستاذ.

٤- تحديد دقيق لما يجب الاهتمام به لدى الطالب للوصول إلى نتائج سريعة في التعلم وكان من جراء ذلك الاهتمام باليد ومستوى المهارة ثم النظر ومستوى الدقة المعتمدة على المعرفة والتأكيد على القوى العقلية التي أساسها الجانب الإبداعي لدى المتعلم.

٥- التأكيد على الناحية الثقافية في الخط.

٦- الجوانب الفنية في الخط وتنمية التذوق الجمالي عند ممارسي الخط العربي والمحافظة على الأصول مع محاولة الابتعاد عن الغريب والاعتماد على التحليل والاستنتاج والحذف والاختزال والتبسيط.

«كان ليوسف ذنون فعل مؤثر باتجاه أفق الخط العربي ومن خلال برامج الدورات».
باسم ذنون

من الأساسيات الآنفة الذكر أقدم **يوسف ذنون** على تشكيل لجان فنية، منها لجنة الخط العربي وضمت البارزين من طلبة دار المعلمين في مجال التربية الفنية والأشغال اليدوية، والبارزين من طلبة معهد المعلمين في مجال الخط العربي، وحتى الذين غمرهم العمل من الطلبة الآخرين وجدوا في أنفسهم شيئاً يتميزون به عن الآخرين فعادوا وشاركوا في بداية الدورات الخطية المجانية، ولما كانت النتائج مشجعة فقد طبق الخط العربي في الدروس عامة باعتباره درساً منهجياً، وجرى التوسع في اللجان لاستيعاب أعداد أخرى من الطلبة، وأضاف **يوسف ذنون** إلى نشاط لجنة الخط العربي، الخط الكوفي باعتباره مجالاً للتنافس الإبداعي بعد أن أعد دراسة علمية لغرض تسهيل تعلمه فكان أن طبق ولأول مرة أسلوب المربعات الذي وصل به إلى درجة البساطة في التعلم حتى مستوى الأطفال، مستفيداً من مصدرين:

الأول: النماذج التاريخية على مر العصور.

الثاني: المحاولة التطويرية التي قام بها **يوسف أحمد** في مصر والوصول إلى معرفة الأسس والمنطلقات التي مر بها الخط العربي عبر رحلته التاريخية وتحديد أنواعه على هذا الأساس بشكل أدق مما طرح في الدراسات الفنية، وقد صحب ذلك دراسة دقيقة للزخرفة العربية والوصول إلى عناصرها الأساسية وهذه أدت إلى فهمها بشكل دقيق وسهل الانطلاق من زخرفة الخط الكوفي إلى رحاب الزخرفة المستقلة بأنواعها المختلفة وخاصة الزخرفة النباتية (التوريق).



• من اليمين: الخطاطون عامر الجميلي - باسم ذنون - يوسف ذنون وطالب العزاوي

في أجواء هذا المحور كان **ليوسف ذنون** فعل مؤثر باتجاه توسيع أفق الخط العربي ومن خلال برنامج الدورات. كانت التجربة المحدودة أولاً على عدد من الدارسين بداية الانبعاث الواسعة فألقت ظلالاً إيجابية حفزته على فتح دورة من خلال مديرية أوقاف نينوى عام ١٩٦٩م، أعطت ثماراً أولية مشجعة للذين استمروا فيها رغم دراستها الواسعة في مجال تخصصهم منهم الدكتور **ليث قاصد** والدكتور **هيثم الخفاف**، تلك التجربة وما سبقها من تعليم الخط في دار الخط العربي ومعهد المعلمين جعل التخطيط للدورات أمراً ميسوراً على الدارسين فيها. كما أنه أدرك بخبرة المربي إن لكل شيء عمراً لا بد أن يبلغه ويستوفي الشروط حتى يتحقق له النماء، فكان أن أصبحت شتلة الخط العربي فيما بعد شجرة وارفة.



• تركيب بالثلث الجلي - باسم ذنون

خطاطاً ومعلماً وباحثاً وناقداً

د. تحسين طه:



هو الخطاط المبدع والمتقن الذي يراعي قواعد الخط العربي ويحافظ على أصوله، وقد أجاد كل أنواع الخطوط وتفوّق في التراكيب الفنية التي ابتكرها في كتاباته. وصار لي فرصة الاطلاع على خطوطه المتنوعة خلال زياراتي الكثيرة لمساجد وآثار الموصل وذلك في فترة إقامتي في تلك المدينة العريقة بين عامي ١٩٧٠ - ١٩٧٧م. ويزيد عدد الآثار التي نقشت بخطوطه عن مئة أثر بين جامع ومقبرة وعمارة سكنية ودائرة حكومية في الموصل. وقد استخدم في كتاباته على هذه الآثار الثلث الجلي والمحقق الجلي والتعليق الجلي، كما استخدم الكوفي وشكل الطغراء. ونفذت كتاباته على الآثار بالرخام أو بالحجر. ومن أهم هذه الآثار جامع اليقظة، جامع **الحاج صديق رشان**، جامع **الخاتون**، جامع **الحاج عبد الله الحافظ**، جامع الشهيد **محمد نوري**، ومقبرة جامع **الزيواني**. هذا بالإضافة إلى الآثار العتيقة التي جددت ورممت مثل واجهة الجامع الكبير (النوري) وواجهة مرقد **يحي أبو القاسم**، وجامع النبي **شيث** عليه السلام.



• دكتور تحسين والأستاذ يوسف ذنون

كما أنه كتب خطوط أكثر من عشرين جامعاً في المدن الأخرى في العراق مثل البصرة والفلوجة وعانة والشرقاط والحضر وأربيل وعقرة وتلعفر. ومن لم يشهد خطوطه على الطبيعة في الموصل أو في المدن الأخرى المذكورة، يستطيع أن يطلع على بعض النماذج من كتاباته المنشورة ضمن لوحات كتاب «بدائع الخط العربي» الذي صدر ببغداد سنة ١٩٧٢م، للأستاذ **ناجي زين الدين المصرف**.

شاهدت كتاباته الرائعة على كثير من عناوين الكتب والمجلات التي صدرت في الموصل وفي أنحاء أخرى من العراق، وكتب شعار جامعة الموصل وشهادات التخرج الخاصة بها. وقد استخدم فيها النسخ والديواني والكوفي بأنواعه المختلفة والرقعة. وهو المعلم المربي والمرشد الذي يقوم بتعليم الخط العربي بطريقة سهلة ولينة كي يحبب هذا الفن الأصيل لتلاميذه ويرشدهم إلى الهدف المطلوب. والذي يطّلع على كراريسه التي نشرها عن الخطوط الرقعة والديواني والتعليق يتعرف مدى سهولة ورقة أسلوبه في هذا المجال مما أدى إلى كثرة تلاميذه في الموصل وفي جميع أنحاء العراق كما أنه نشر الخط العربي عن طريق الدورات التدريبية التي اشتهر بتنظيمها، وعن طريق تنظيم المعارض وإلقاء المحاضرات في الندوات والمؤتمرات في الأوساط العلمية والثقافية المختلفة. وقد نشرت نشاطات الأستاذ **يوسف** في الميادين المذكورة خارج الموصل حيث شملت جميع أرجاء العراق، وعرف أسلوبه وبرز اسمه بين الخطاطين وهواة فن الخط على أنه مؤسس مدرسة الموصل في الخط العربي ورائدها.

وقد شهدت على أسلوبه باحثاً متعمقاً ومتخصصاً حينما درّس لنا مادة الخط العربي في قسم الآثار بجامعة الموصل عام ١٩٧٢م، وكنت آنذاك طالباً في السنة الثانية. ولم تقتصر أبحاثه على فن الخط العربي فحسب إنما اشتملت التربية والرسم واللغة والعمارة والزخرفة والمسكوكات وقد نشرت أبحاثه التي تزيد عن أربعين بحثاً في المجلات التراثية والعلمية في العراق وفي دول أخرى. وتكفي الإشارة إلى بحثه الموسوم «خط الثلث ومراجع الفن الإسلامي» الذي قدمه إلى الندوة العالمية حول المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة في الفنون الإسلامية في اسطنبول في نيسان ١٩٨٣م. لنرى تعمقه في الموضوع من خلال المصادر العربية القديمة والحديثة والمراجع التركية والأجنبية التي اعتمدها وقام بدراستها. حيث نشاهد أن البحث يتضمن تسع صفحات ويشتمل على اثنين وأربعين هامشاً. وقد تشرفت بالاشتراك في إعداد أبحاث هذه الندوة للنشر في كتاب صدر عن دار الفكر بدمشق في عام ١٩٨٩م.

إن منهج الأستاذ يتأسس على التحليل النقدي الدقيق والاعتماد على المصادر الأساسية للموضوع، ويبين وجهة نظره ورأيه فيه أولاً لكاتب البحث كي يأخذ ذلك بنظر الاعتبار ويستفيد منه في الطبعة التالية لبحثه، ثم أحياناً ينشر انتقاداته في إحدى المجلات العلمية ليفتح باب المناقشة حول الموضوع، وهذا عمل صعب لا يجرؤ عليه سوى العالم الواثق من نفسه وثوقاً تاماً. وقد عشت معه هذه الظاهرة عندما صدر أول كتاب لي ترجمته عن اللغة التركية إلى اللغة العربية عام ١٩٨٨م، وهو كتاب «السيوف الإسلامية» وصناعتها وهو من منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية باسطنبول وطبعته وزارة الإعلام الكويتية، حيث أهديت له نسخة من الكتاب عند زيارته اسطنبول في عام ١٩٨٩م، وبعد أن عاد إلى العراق درس الكتاب بعين الناقد العالم وبعث لي بتصحيحاته المهمة القيمة، وإرشاداته التي استفدت منها في أعمالي المترجمة اللاحقة.

ونظراً للمؤهلات العلمية التي تميز بها فقد انتخب عضواً في كثير من اللجان والمجالس والمجتمعات العلمية والثقافية والفنية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديراً منا للمستوى الرفيع الذي بلغه الأستاذ يوسف ذنون الموصلي في الخط والعراق وتفوقه في أنواعه المختلفة فقد قررنا منحه هذا التقدير الممتاز إضافة إلى إجازته السابقة في هذا الفن الذي نرجو له دوام العزة والتأييد والازدهار.

اسطنبول في ٢١ جمادى الأولى ١٣٨٩ — ٥ آب، آغستس، ١٩٦٩

الخطاط
حامد عزمي الآمدي

• تقدير حامد الآمدي ليوسف ذنون

«لم تقتصر أبحاثه على فن الخط فحسب، إنما اشتملت التربية والرسم واللغة والعمارة والزخرفة والمسكوكات».
د. تحسين طه

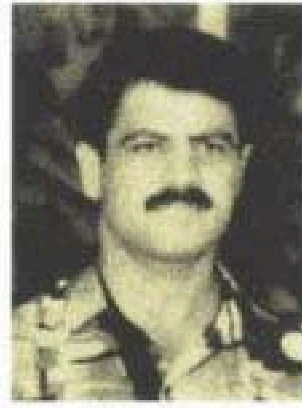
في الموصل وبغداد وغيرها من المدن العراقية، كما عين خبيراً في بعض المجلات التراثية في بعض الدول العربية كالكويت والسعودية، وعين عضواً في الهيأة التحكيمية في مسابقة الخط التي نظمتها اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي باسطنبول، ممثلاً عن العراق في ١٩٨٦م، إضافة إلى كل الصفات العلمية التي أشرت إليها أعلاه، فإن أستاذي الفاضل وصديقي الغالي وأخي الكبير **يوسف ذنون** حفظه الله وأطال عمره الذي تشرفت بمعرفته منذ عام ١٩٧٢م، يتسم بجميع الخصال الإنسانية السامية كالأخلاق الرفيعة والصبر والصدق وحسن المعاملة والتعاون مع الآخرين والتواضع والإيمان والتقوى، وهو حلو الحديث لطيف الصحبة، يحبه كل أهالي بلده الموصل ووطنه العراق وهو **أبو عصام**، ويقدره كل من يعرفه خارج العراق وهو دائم الزيارة لأصدقائه وتلاميذه داخل وطنه، كما أنه يراسل من هو في الخارج ويتابع أخبارهم وهو بذلك رمز الإخلاص والوفاء والأخوة والصداقة المتينة.

فألف تحية له أستاذاً جليلاً حباً وتقديراً ووفاءً، داعياً المولى العلي القدير أن يكتب له التوفيق وطول العمر، والقوة ليواصل مسيرته السامية في خدمة وإحياء التراث العربي الإسلامي المجيد، ونشره في أرجاء المعمورة.

«تعرفت على الأستاذ يوسف ذنون من خلال مشاركتي في مسابقة فنية» زياد حيدر

أنا وأستاذي

زياد حيدر المهندس:



من خلال دراستي في كلية الهندسة - جامعة الموصل ومن خلال مشاركتي في المسابقة الفنية التي كانت تقيمها الجامعة سنوياً تعرفت إلى الأستاذ الكبير **يوسف ذنون** حينما كان رئيساً للجنة التحكيم في مسابقة الخط والزخرفة، وتعمقت معرفتي به من خلال زيارتي له في منزله الذي كان قريباً من الجامعة وذات مرة سألته عن مستواي الفني في آخر مسابقة للجامعة قال لي: أنت خطاط جيد و لكنك بحاجة إلى التمرين الكثير والاستمرار، ولانشغالي بالدراسة لم أتمكن من مزاولة هوايتي المفضلة (الخط) يومياً مما أثر في لقاءاتي مع الأستاذ أيام الدراسة إلا من خلال زيارته في بيته فكنت أجلب معي مجموعة من اللوحات التي كان يناقشني فيها ويظهر لي أخطائي و يمدني بالمعلومات والملاحظات من كل النواحي.

وعندما تخرجت من الجامعة عام ١٩٩٢م، تفرغت نسبياً للخط، وكتبت عدة لوحات اشتركت بها في مهرجان بغداد العالمي الثاني عام ١٩٩٣م، وأشادوا بمستواي وحصلت من خلالها على جائزة الكوفة مما حفزني أكثر للتمرين حتى حصلت على الجائزة الثانية في خط الثلث في المسابقة الدولية الثالثة **ابن البواب** التي أقامها مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية باستطنبول.

و بعد تحقيق النجاح في المحفلين الكبيرين جاءت فكرة الحصول على إجازة الخط من خلال الأستاذ **يوسف ذنون** فكتبت إليه مشروع الإجازة فوافق على المسودة، ثم كررت اللوحة وكان يزودني بالملاحظات حتى تمكنت من الحصول عليها عام ١٩٩٥م، وبعد ذلك لم يحالفني الحظ في اللقاء به إلا مرتين الأولى في مهرجان أربيل الأول للخط والزخرفة، عندما كان ضمن لجنة تحكيم المهرجان وحصلت فيها على الجائزة الأولى مناصفة على المستوى المحلي و الثانية في مهرجان أربيل الثاني.

وختاماً لا بد أن أشير إلى أنه رغم قلة لقاءاتي بالأستاذ لكنني استفدت من علمه وخبرته الكثير.

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

• كتابة بخط الثلث - زياد حيدر المهندس

من الذاكرة

د. صلاح الدين شيرزاد:



الأستاذ **يوسف ذنون** - **أبو عصام** - أحد الأعلام المهمين في عصرنا في مجال الخط العربي، فهو خطاط وباحث متعدد الجوانب، حيث شملت اهتماماته العديد من المجالات، والكتابة عنه ينبغي أن تتجاوز الأسلوب الوصفي وكيل المديح، إلى دراسة تتناول مصادره ومنهجه في البحث والاستقصاء، لا سيما في الجانب البحثي الذي برع فيه. سأكتفي بذكر أهم العناوين في سيرته ومسيرته العلمية والفنية من خلال محاور أربعة هي: الريادة، والبحث، والتنوع، والتفعيل.

الريادة: للأستاذ **يوسف** ريادة في عدة ميادين، فهو أول من وضع صيغاً مختصرة لتعليم الخط،فقد اختزل مفردات الخط الكوفي إلى أشكال أولية، فإذا تعرفها المتعلم صار بإمكانه تعلم بقية الحروف. كذلك فعل في تعليم خط الرقعة وخطوط أخرى، فإن تعلم الطالب مفردات محدودة العدد، تمكن من كتابة بقية الحروف أيضاً.

البحث: إن الكتاب كانوا لا يزالون ينقلون المعلومات عمّن قبلهم دون بحث أو تمحيص، ولكن الأمر كان مختلفاً مع الأستاذ يوسف ذنون، فهو ليس من عادته القول بالمعلومة ما لم يبحث فيها ويتثبت منها إلى حد القناعة، فمن منهجه أن يرجع إلى المصادر ويتتبع خط سير المعلومة، مَن نقلها ممن، وبذا يتوصل إلى تمييز الصحيح من السقيم، مستفيداً مما حباه الله من ذاكرة قوية قادرة على حفظ كم هائل من المعلومات بأرقامها دون عناء.

ولم يكتف الأستاذ **يوسف** بالولوج في أعماق المصادر والمراجع، بل كان كثيراً ما يذهب بنفسه إلى المواقع ليطلع على الآثار والشواهد.

ويتفحصها. ولا أنسى أنني عندما كنت في منزلي ببغداد في أواسط السبعينات من القرن الماضي، وكان ليلاً ماطراً، إذ سمعت طرقاً على الباب، وإذا بالأستاذ **يوسف** يطل علي زائراً، وبقدر فرحتي بمرآه كانت دهشتي لما علمت أنه سوف يعود إلى مدينة الموصل التي تبعد حوالي ٤٠٠ كيلو متراً، رغم المطر الغزير والوقت المتأخر من ذلك الليل. وكان مجيئه إلى بغداد بقصد الاطلاع على آثار كتابية تم الكشف عنها في مدينة الحضر الأثرية، تحمل دلالات مهمة تسهم في تصحيح نظريات نشوء الخط. وبذلك أعاد كتابة تاريخ نشوء الخط من جديد داحضاً الكثير من المعلومات التي سادت بين الكُتّاب، وتناقلوها مسلّمين بها. إن إنشغاله في تصحيح كثير من الآراء والمعلومات عبر الكثير من المقالات والأوراق البحثية في المؤتمرات والندوات، أضفت عليه صبغة المصحح والمصوب، فغلب عليه هذا المنحى حتى في حواراته وأحاديثه.

ومن آرائه أن الأشخاص الثلاثة من **طيء، مرار بن مرّة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة**، ليسوا أشخاصاً من وضع الخيال كما يذهب إلى ذلك الكثيرون في عصرنا، مصغين إلى من بنى رأيه في أسطورية هؤلاء، على صيغة أسمائهم المسجوعة، ولم يكتف بتلقي أسمائهم كما هي بل راح يبحث عن معانيها في لغتهم حيث تكشف له أنها ألقاب تدور حول الكتابة، وهذا ما يجعل الأمر منطقياً لديه. وكذلك عاد إلى توضيح علاقة الخط (المسند) بالكتابة العربية من حيث التنقيذ بعد أن اضطربت أكثر الكتابات الحديثة في هذا الخصوص، وله قول آخر حول تسمية الخط الكوفي، نجد تفاصيله في مقالاته.

التنوع: الأستاذ **يوسف** أحد هؤلاء الذين تعدّت اهتماماتهم المحور الواحد، فهو في المقام الأول باحث في مجال تاريخ الخط العربي، كما أشرنا آنفاً، وهو أيضاً خطاط مجيد كتب جميع أنواع الخط، وزاد بأن أولى الخط الكوفي اهتماماً خاصاً، ففي الوقت الذي كان الخطاطون من جيلنا عندما يكتبون بالخط الكوفي يعمدون إلى اقتباس أشكال الحروف من النماذج القديمة دون تفريق بين نمط وآخر معتمدين على أهم المصادر في الكوفي والتي خلفها كل من **يوسف أحمد ومحمد عبد القادر**. لذا فلا نستغرب إن وجدناهم يجمعون بين أكثر من طراز في العبارة الواحدة، بل أحياناً في الكلمة الواحدة. ومرد هذا إلى أن الخط الكوفي قد أهمل من قبل الخطاطين العثمانيين والإيرانيين خلال العصور التي تلت عصر السلاجقة، حتى بعثه **يوسف أحمد ومحمد عبد القادر** في مصر من جديد، وأكمل **يوسف ذنون** مشواره في العراق، بأن اجتهد كثيراً في تعليمه، وبحث في تصنيفه وتسمية أنماطه. فانتشر الخط الكوفي في الموصل أولاً قبل أن ينتقل إلى أنحاء أخرى.

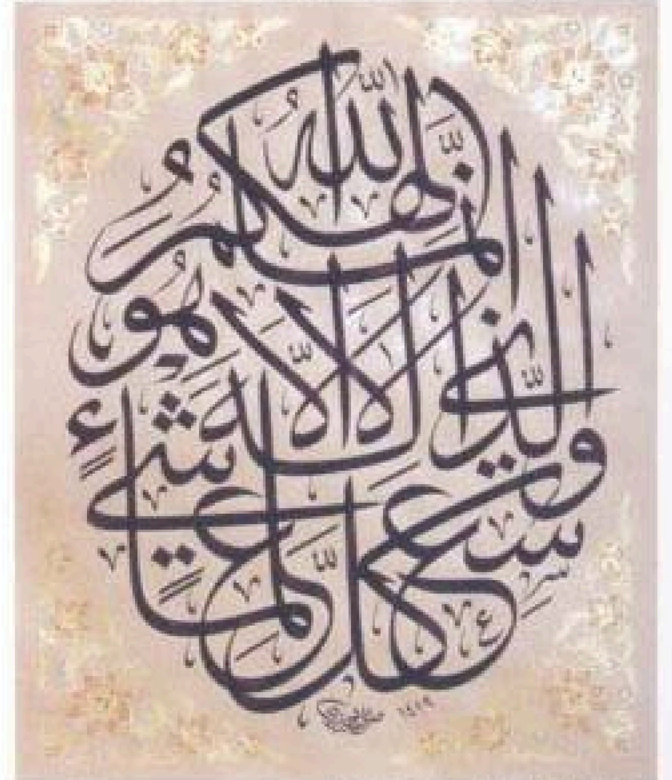


• معالجة مبتكرة للتركيب بخط الثلث الجلي - يوسف ذنون

"يوسف ذنون هو أول من وضع صيغاً مختصرة لتعليم الخط، فقد اختصر مفردات الخط الكوفي إلى أشكال أولية".
د. صلاح شيرزاد

وكتب بخط الثلث الذي يعد من أصعب الأنواع، حتى نال إجازة فيه من الخطاط الكبير **حامد الآمدي** رحمه الله، ونفذ به كتابات العديد من المساجد في مدينة الموصل وغيرها. ولو كان متفرغاً لكتابة الخط ومكرساً كل وقته لأصبح أقوى خطاط في جيله. وبالإضافة إلى إجادته رسم الحروف فإنه برع بالتكوينات التقليدية والحديثة في ذلك الوقت. إن اشتغاله بالتكوين الحديث الذي يدل على لطافة حسه الفني السليم يشهد له بالتنور والانفتاح على الآفاق الواسعة. في الوقت الذي كان فيه الخطاطون آنذاك يتحرجون من تخطي شكل التركيب التقليدي. ومن اهتمامات الأستاذ **يوسف** الأخرى، الكتابة في المواضيع التراثية، والمواضيع الأثرية، بل وقد ساهم في تصاميم معمارية لبعض المساجد أو أجزاء منها كالمنارة. كما نجد أن له مساهمة في تحديد القبلة للكثير من المساجد. وهذا أمر لم يكن بالميسور في حينه، أي قبل أكثر من ربع قرن.

ولج الأستاذ **يوسف** ميدان تحقيق المخطوطات أيضاً، ومن



• لوحة بخط الثلث الجلي - صلاح شيرزاد

المواضيع الأخرى التي نالت اهتمامه، الفنون الإسلامية، فكتب في مواضيع النقود، والتصوير، والزخرفة، والعمارة، ولم يكتف بالتعليم فقط بل كتب في موضوع طرق تدريس مادة التربية الفنية بما لا يقل عن خمس مقالات، وعدا عن هذا الفرع الأخير الذي هو مجال تخصصه الأساسي، فإنه لم يواصل بعد ذلك تعليمه ولم يتلق التعليم في أي من المجالات الأخرى، وحتى الخط فلم يتعلمه من أحد، فقد حاز على كل هذه الفنون والمعارف بجهوده الذاتية، بل وحرص على الاستزادة منها بشكل متواصل، حتى أننا لو قارنا بين كتاباته القديمة والحديثة من حيث المنهجية والقوالب الأكاديمية في البحث، بغض النظر عن المعلومات، لوجدنا الفرق جلياً، إذ صار يقدم أبحاثه بحرفية أكثر، ومستوفية للشروط الأكاديمية مما يدل على حرصه على عدم ترك ثغرة تقلل من جهوده ونتائج سعيه. وإن بدا له شيء من ذلك سارع إلى ضبطها بعصاميته المعهودة.

«إن يوسف ذنون لم يتعلم الخط من أحد فقد حاز على الفنون والمعارف بجهوده الذاتية وحرص على الاستزادة منها بشكل متواصل».
د. صلاح شيرزاد

التفعيل: إلى جانب علمه وفنه يشهد للأستاذ **يوسف** نشاط عملي واسع لتحقيق الطموحات التي يخطط لها ويتمناها، فهو إلى جانب أنه رب أسرة - بورك في أفرادها - وأن مورده المالي محصور بوظيفته بشكل عام، فإنك تجده دائب الحركة، كثير التنقل بين مدينته الموصل والعاصمة بغداد، بل حتى بين المحافظات والدول الأخرى، فكما أنه لم يهمل أسرته التي رعاها دون أي تقصير، فوجّه أبناءه خير توجيه، إذ صار منهم حملة الشهادات العليا، والتخصصات المرموقة، مزدانين بحسن الخلق والصيت، كذلك وفق في إنجاز الكثير من المشروعات والفعاليات المتعلقة باهتماماته، متسلحاً بحسن التنظيم، ولا سيما تنظيم وقته، فله جدول دقيق يوزع ساعات نهاره على إنجاز أعماله، وحتى كتابة الردود على الرسائل الكثيرة التي ترده، لها ساعة في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر، فلا يترك واجباً ولا يؤجل عملاً.

جمع حوله عدداً من التلاميذ ليقضي معهم الوقت في تعليمهم الخط، وبخاصة من خلال الدورات التي أقامها (النشاط المدرسي) للمعلمين، وكان هو يشرف عليها، ثم كان يقيم في ختام كل دورة معرضاً لنتاجات المتعلمين، وبسبب ما عرف عنه بحسن علاقاته الكثيرة مع مختلف المستويات من الناس، فقد انتقل بأحد تلك المعارض إلى العاصمة بغداد، فعرض الأعمال في صالة الأنشطة المدرسية ببغداد عام ١٩٧٢، ودعا إلى افتتاحه وزير التربية آنذاك المرحوم د. **عبد الستار الجواري**، وبعد أن نالت المعروضات إعجابه دعا بدوره رئيس الجمهورية المرحوم **أحمد حسن البكر**، وبزيارته تم تسليط ضوء إعلامي هائل على المعرض، ولقد كرم الرئيس المشرفين والمشاركين بعطاءات مجزية، كما كُلف بإقامة دورة في بغداد أيضاً، لتضم معلمي بقية المحافظات، وعُد ذلك المعرض انطلاقة كبيرة من ناحيتين: الأولى، أن الخط العربي أخذ نصيباً من الاهتمام، بدءاً بالاهتمام الإعلامي، وهذا ما حفّز بقية الخطاطين لإقامة المعارض، والثانية انتشار الخط بشكل أكبر في أنحاء العراق من خلال تلك الدورات التي توالت فيما بعد.



• لوحة على هيئة فرمان - يوسف ذنون

إن الأستاذ **يوسف** كان من اقترح على المرحوم **هاشم** إقامة معرض عام له وللخطاطين المجدين وبعض التلاميذ، لتعريف الناس بهذا الفن، ولرفع كيانه، ولإظهار إمكاناته، في الوقت الذي كاد أن يتلاشى أو ينحسر أمام فورة الفنون التشكيلية الأخرى، فعندئذ أدركت مدى تأثير الأستاذ **يوسف** في الساحة الخطية. وبعد وفاة الأستاذ **هاشم** رحمه الله بادر كل من الزميلين العزيزين المرحوم **محمد البلداوي** والسيد **عادل الهادي** لتأسيس جمعية للخطاطين، وجاءا إلي بالفكرة لأكون ثالثهما قبل أن نفاتح بقية الزملاء لتشكيل الهيأة التأسيسية، وكان المرجع في تقديم المشورة أيضاً فهو وإن لم يدخل في العضوية المؤسسة، إلا أنه كان داعماً كبيراً لا سيما أنه حاز على الخبرة في هذا المجال، حيث كان أحد المؤسسين لجمعية التراث العربي الذي أسس عام ١٩٧٣م، قبل أن يبدل اسمها إلى جمعية إحياء التراث العربي الإسلامي، فزودنا بنموذج من النظام الداخلي لها، وأرشدنا إلى الخطوات التي علينا أن نتبعها.



• صورة تجمع بين يوسف ذنون وصلاح شيرزاد عام ١٩٧٣م

وفي ندوة «المبادئ والأشكال والأفكار المشتركة في الفن الإسلامي»، كان الأستاذ **يوسف** أحد المدعوين لتقديم ورقة بحثه فيها، وكان له حضور كبير في صياغة البيان الختامي والتوصيات التي كانت المسابقة الدولية إحداها، وقد أنجزت المسابقة فعلاً وكانت الأولى باسم **حامد الآمدي**. وفي بغداد حيث أقيم مهرجان بغداد العالمي للخط العربي والزخرفة الإسلامية عام ١٩٨٨م، كان له دور رئيس في تحقيق إقامته، والمساهمة في تنظيمه ومتابعة سيره، وتكرر ذلك الدور في الدورات التي تلت في العراق وخارجه.

زار الأستاذ **يوسف** معظم البلدان العربية وبعض البلدان الإسلامية، ففي البداية كان يشد الرحال لغرض الالتقاء بالخطاطين الأساتذة في تلك البلدان، والاطلاع على ما فيها من شواهد وأعمال خطية، وفيما بعد زادت زياراته لتلك الدول وغيرها مشاركاً في الندوات والمؤتمرات، ولإبداء الخبرة والمشورة، بعد أن عرف في جميع الأوساط ذات العلاقة، بجدية أبحاثه وطروحاته، ولا يكاد نشاط ينتظم هنا أو هناك إلا وللأستاذ **يوسف** بصمة، سواء في الإعداد أم في تقديم الأفكار والمقترحات والملاحظات التصويبية في أغلبها.

مَوْسُوعَةٌ مُتَحَرِّكَةٌ

طالب أحمد العزاوي:

مهما دونت من كلمات حب ووفاء، ومشاعر صادقة عن أستاذي الفاضل **يوسف ذنون** فهي تبقى ناقصة لما أكنه من حب يتوهج في قلبي خلال معرفتي به، التي ستقترب من الأربعين عاماً لهذا الأستاذ المبارك الجليل الذي أعتبره أباً وأخاً كبيراً وأستاذاً وزميلاً. في الحقيقة لا أعلم من أين أبدأ بالكتابة عنه، هل أبدأ بخلقه الرفيع؟ فهو على درجة عالية من الخلق والأدب، أم أبدأ بفنه أو علمه أو ثقافته؟ فهو (موسوعة متحركة)، كم من باحث اغترف من فيض علمه ومعرفته في كثير من المواضيع التاريخية والآثارية، ناهيك عن علمه الموسوعي في تاريخ الخط وما يتعلق به من فنون. رجل متواضع لا تهمه الشهرة شأن العلماء العاملين الراسخين، حلو الحديث، لطيف المعاشرة، من عرفه أحبه وتعلق به. لقد علمنا نحن تلامذته أن الخط فن قدسي، ولذلك يجب أن يتصف صاحبه بالمثالية، ويكون النموذج القدوة في المجتمع، فيتسم بالأخلاق العالية، وأولها الإيمان الراسخ بالله والتوكل عليه والتجرد والتواضع.





• لجنة الخط العربي في الموصل عام ١٩٧٦م

تعرفت إلى أستاذي **يوسف ذنون** نهاية الستينيات من القرن الماضي، حيث كنت طالبا في معهد المعلمين بالموصل، وكان الأستاذ يزاول تدريسه وعرضه لمادته (الخط العربي)، إضافة إلى مهاراته الفنية في الأشغال اليدوية عامة والتي كان يعرضها علينا من خلال مادة التربية الفنية. كنت منتميا للجنة الخط العربي التي كانت تمارس أعمالها ضمن النشاطات اللاصفية في المعهد، وتركز اهتمامي في تلك المرحلة على الخط الكوفي، ثم استمرت صلتي بأستاذي بعد تخرجي من المعهد عام ١٩٦٨-١٩٦٩م، وتركزت العلاقة على متابعة الدروس التي كنا نأخذها عند التقائنا به في إحدى المقاهي الشعبية في الموصل، ونال الخط الديواني اهتماماً لدي، فرحت أدرسه عنده بشكل متأنٍ حتى تمكنت منه بصورة جيدة، ورحت أكتبه بأسلوب أستاذي، واتجهت كذلك في تلك الفترة إلى دراسة الزخرفة العربية وخاصة (التوريق)، واستطعت تحت إشراف الأستاذ وبالاعتماد على الخلاصة المبسطة التي كان قد وضعها لهذا الفن من إعداد كرّاس يصلح للتدريس في دورات الزخرفة العربية التي كنت أول من حاضر فيها، وكان ذلك عام ١٩٧٧م، وقمت بتطويرها لاحقاً فاعتمدها معظم الذين قاموا بالتدريس في معاهد الفنون



• من أعمال الخطاط طالب العزاوي

الجميلة بالموصل وكثير منهم من طلابنا.

في عام ١٩٨٠م، ذهبت إلى تركيا في سفرة سياحية مع زملاء لي من تلامذته، فأوصانا بضرورة الالتقاء بالخطاط التركي الكبير **حامد الآمدي**، وأخذ نماذج من خطوطنا لعرضها عليه وكان فيها تصليحات للأستاذ **يوسف**، وعندما علم **حامد** (رحمه الله) بأننا من تلاميذ الأستاذ **يوسف** فرح وأثنى عليه كثيراً وحينما شاهد مستوانا في الخط كان يردد (ما شاء الله جوك كزال) وقال إنكم تستحقون الإجازة فأجازنا أنا وزميلي الأستاذ **باسم ذنون**.

في عام ١٩٨٤-١٩٨٥م، عندما أرسلتني وزارة التربية العراقية في زمالة تدريبية إلى تركيا لدراسة فن الزخرفة والتذهيب كان أستاذي أول من شجعني، وكانت مراسلاته معي تحثني على الاستفادة القصوى وتسجيل وتثبيت كل معلومة أحصل عليها، وهذه ملاحظة مهمة أفادتني كثيراً في حياتي العملية والفنية لاحقاً.

في صيف عام ١٩٩٩م، رشحني أستاذي للتدريس في معهد الفنون الإسلامية التقليدية - جامعة البلقاء التطبيقية في الأردن - الذي كان الأستاذ **يوسف** قد ساهم في تأسيسه ووضع مناهجه التدريسية، وهو يعتبر أول معهد متخصص في الشرق الأوسط بتدريس الفنون الإسلامية التقليدية على أصولها الصحيحة. لقد انتسبت للتدريس في هذا المعهد بعد أن وردتني دعوة من جامعة البلقاء، التطبيقية، قمت خلالها بتدريس مادة الحرف اليدوية والخط والزخرفة والتذهيب، وكان الأستاذ ضمن هيأة التدريس، وكنت ملازماً له ومقيماً معه لفترة فصل دراسي، وكانت تلك مرحلة مهمة في حياتي العملية والفنية. وهذا القرب منه جعلني أكتشف فيه صفات كثيرة لا يعرف عمقها إلا القليل ممن عرف **يوسف ذنون**. لقد كان مخلصاً في عمله إلى حد التفاني، يحب تلاميذه ويسعى لإفادتهم بكل ما يحتاجون إليه. ولقد كنت حاضراً معه في كثير من دروسه الفنية ومحاضراته العلمية التي كان يلقيها في الجامعات الأردنية، وكنت ألاحظ أن أصحاب الاختصاص ممن يحملون الشهادات العليا مندهشون للطروحات العلمية التي يقدمها ومعظمها جديد ويسارعون للتعرف إليه والاستفادة من معلوماته.

انسحب من المعهد في بداية عام ٢٠٠٠م، عائداً إلى العراق، وقد طلب منه كثيراً وبإلحاح من كبار المسؤولين عن المعهد البقاء في

«أدهشت طروحاته العلمية في الخط والفنون الإسلامية أصحاب الاختصاص من حملة الشهادات العليا»

طالب العزاوي



• خط طالب العزاوي وتصحيح يوسف ذنون

الأردن إلا أنه أصر على أن يتفرغ للبحث والتأليف والكتابة. بقيت أنا في المعهد مكملاً رسالته بتدريس الخط والزخرفة حتى عام ٢٠٠٤م، وكان خلال مكوثي في الأردن يراسلني مشجعاً ومحفزاً لي على البقاء والعطاء، وكان يسأل عن مستجدات المعهد الذي أراد أن يكون اللبنة الأولى لنشر فن الخط والزخرفة الإسلامية على أصوله الصحيحة، وكانت ملاحظاته وإرشاداته علامات مضيئة لي ساعدتني في غربتي فاكتسبت الخبرة والمهارة الفنية والأكاديمية المهمة في حياتي.

حضرنا سوية في ملتقى الشارقة الدولي لفن الخط العربي في دورته الأولى، وكنت مقيماً معه في سكنه وملازماً له طوال فترة الملتقى الذي كان فيه عنصراً فاعلاً ومهماً جداً في نشاطاته.

«يوسف ذنون جميل النفس والروح والمعشر»
عبد السلام البسيوني

المَدرَسَةُ اليُوسُفِيَّةُ



عباس حسين الطائي:

يعتبر الأستاذ **يوسف ذنون** إنساناً من الطراز الذي لا يتكرر، وهو من الذين منّ الله عليهم بالمعرفة وسعة الاطلاع، متعدد المواهب في معظم حقول الثقافة، وهو العالم بالبحوث التاريخية والأدبية والفنية والتراثية بالإضافة إلى تخصصه في الخط العربي وتعمقه فيه من كل النواحي، يقضي أيامه ولياليه باحثاً ومنقباً في كيفية وصول هذا الفن (الخط العربي) إلى أكبر عدد من الناس حماية له من الضياع، يتميز الأستاذ عن سابقيه ومعاصريه بأنه مرب وتربوي يستطيع أن يوصل مادته إلى المتعلم في أسرع وقت وبأبسط الطرق، وبتقنية وعلمية بحتة، ومن مميزات هذا الأستاذ الجرأة في الكتابة وفي كتابة الأشرطة العملاقة لبيوت الله بخاصة.



• إجازة الخطاط عباس حسين الطائي

وعلى يديه انتشر الخط وفنونه داخل مدينة الموصل وخارجها من خلال دورات جماعية وفردية ومعارض مستمرة دون كلل أو ملل بالإضافة إلى ما قدمه من محاضرات وبحوث وندوات وحضور المؤتمرات والمشاركة الفعالة فيها. تعرفت إلى الأستاذ **يوسف** كأول تلميذ يدرس على يديه ١٩٦٢م، حينما كنت طالباً في السنة الثانية في دار المعلمين الابتدائية، وقد شجعني على أن أمارس الخط وأنفذ لوحات الخط والرسم، وبفضل الله وجهود الأستاذ استطعت أن أقدم لوحات خطية بالإضافة إلى اللوحات التشكيلية ومشاركتي في المعرض السنوي الذي كان يقام على أرض الدار والمعهد، وكانت اللوحات الخطية التي شاركت بها في المعرض السنوي كأول بادرة فريدة من نوعها في تاريخ الموصل، إذ دخل الخط العربي في المعرض السنوي جنباً إلى جنب مع الفنون التشكيلية الأخرى ولأول مرة.

مضت أكثر من أربعة عقود، ولايزال الأستاذ يعتبر معلماً وأخاً وصديقاً فهو لا يضجر من أحد ويتمتع بحسن الاستماع بشكل مذهل كما يعتبر بمثابة مدرسة، سميتها (بالمدرسة اليوسفية) فنحن بفضل الله وجهوده استطعنا أن يكون لنا تلاميذ ومنهم المتميزون وهؤلاء بعضهم الآن من أساتذة الخط وفنونه. وفي سنة مجيئه إلينا تغيرت مسيرة حياتي الفنية، صحيح أنني كنت أمارس الخط إلى جانب الرسم إلا أن البداية الصحيحة في الخط كانت على يديه. فنفذت لوحات خطية بالإضافة إلى مشاركتي باللوحات التشكيلية ونيلي الجائزة الأولى في الخط العربي في المعرض السنوي، والحديث يطول، وفي كلمتي الأخيرة نسأل الباري - عز وجل - أن يمد في عمر أستاذنا ويجمله بالصحة والعافية والمزيد من العطاء لخدمة هذا الفن الخالد.

رَجُلٌ بِعَشَرَةِ رِجَالٍ



عبد السلام البسيوني*:

من الناس خطاطون كبار، ميزهم الله تعالى عن سائر خلقه بالإجادة والإبداع؛ ومنهم باحثون جادون، يحيطون بالأمور إحاطة الحذق والإحسان، ومنهم مؤرخون دقيقون خبيرون، يعرفون موارد الأمور ومصادرها، ومنهم معلمون باذلون، لا يدخرون وسعاً، ولا يألون في نفع تلاميذهم ومن يسألونهم الرأي جهداً، ومنهم أناس ذوو آثار باقية، وعطاءات ميمونة، تطول بها أعمارهم، ويخلد بها ذكرهم، ومنهم من حباه الله تعالى أكثر من موهبة، ورزقه أكثر من ميزة، ومنهم من زانه الله تعالى بالفطرة القويمة، والطبع اللطيف، والخلق الدمث، ومنهم من تتفتح له القلوب، وتنشرح برؤيته الصدور، وتهش له المجالس، ومنهم من أكرمه الله بالتواضع الجم، وإنكار الذات، وعدم الانشغال بحظ النفس، ومنهم من طيب الله ذكره في الأرض، وحببه إلى الخلق، وكل واحد من هؤلاء بين الناس نادر، يحتاج لتفتش عنه، فالدر دائمًا عزيز، فما الحال لو طلبنا هذه الصفات كلها في شخص واحد؟!

هذا هو النادر الذي شح وجوده، وعز تكرره، لكنه في أستاذنا الكبير **يوسف ذنون** مجتمع كله، ظاهر كله، يُجمع على ذلك كل من عرفوه، واقتربوا منه، واستشرفوا أفقه، العبق بالفن والتاريخ والجمال، المشحون بإكبار المبدعين، والاعتزاز بعطاءات أساتذة الفن والخط والرسم والزخرفة والنسخ - قدامى ومحدثين - المليء بالذكريات النادرة، واللفتات الباهرة، والخبرات

* خطاط وباحث مصري - الموجه الشرعي لمركز قطر للتعريف بالإسلام

العاطرة، والتاريخ الممتد عطاءً، وتلاميذ وآثارًا وبركة.

أقول هذا، والله تعالى حسيبي وحسيبه، ولا أزكيه، ولا أزكي على الله أحدًا، إنما هي شهادة محب، اقترب، ورأى، وناقش، وتأمل، وفهم، فوجد رجلا متميزًا، جمع هذه الخصال كلها، في تواضع، وبساطة، وسمو نفس.

لطالما تمنيت أن أوثق جلسات متطاولة مع هذا الرجل الموسوعة، الذي سعدت بلقائه في بيوت أبنائه، الذين أصابتهم منه محبة الفن، والذي شرفني - مرات - بزيارتي في البيت والمكتب، فلم ألق إلا جمال النفس من إنسانٍ جميل الروح والمعشر، ورجل لقي خطاطي العصر، وخبرهم، وقدرهم فأحسن تقديرهم، ورصد ووثق المدارس الخطية والزخرفة، ومحطات تطور الفن الإسلامي، بذاكرة عجيبية سيالة، لا تفقد رقمًا، ولا تهم أو تعشى عن دقائق المعلومات، من خلال رحلاتٍ دؤوبة استمرت أكثر من نصف قرن، ودراسة وقراءة واقتناء وتعليم وإجازة، ما أهّله ليعرفه أهل هذا الفن، ويكتبوا عنه، ويقرّوا بريادته، وينزلوه منزلة هو بها جدير.

وإذا كان الواقع يقول إن حال شريحة الخطاطين أنهم بين متقنٍ للخط أو هاوٍ أو محب، فإن **يوسف ذنون** يحمل - بجانب ذلك - خصائص المؤرخ والبحاثة، والمتقن والمبدع، والمتابع والراصد، والمعلم والوالد، والمربي والمشجع.

سعيد أنا بمعرفتك سيدي، ومتشرف أنا بمخالطتك، وشاكر ربي الجواد الكريم، الذي أتاح لي فرصًا عديدة - أطمع في دوامها - للقياكم، والاستمتاع بمجالسكم الجميلة، والتزود من عطائكم الثر، وذخائركم النفيسة، وشاكر أنا لواحة الخط العربي الجميل (**حروف عربية**) في زمن القحط والحرب والبشاعة، وممتن أنا للقائمين عليها.

أستاذ القرن الماضي والحالي

عبد الله عبد الرزاق الصانع:

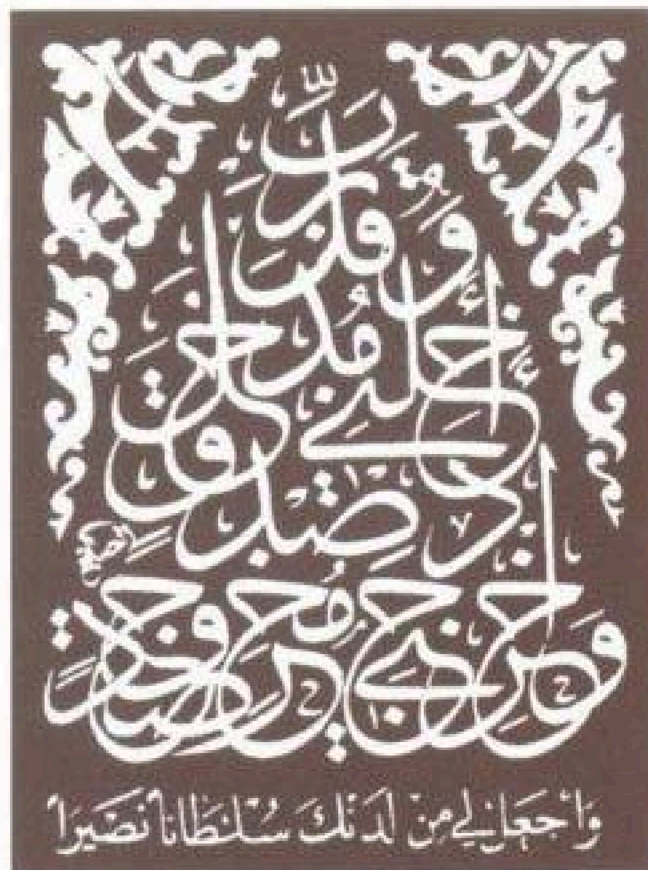


تحية لأستاذي الكبير **يوسف ذنون** - أستاذ القرن الماضي والحالي، وتحية إلى جميع خطاطي العالم من مشارق الأرض ومغاربها وكل الذين ساهموا في الحفاظ على هذا التراث الخالد وحرفه العربي الأصيل وأبارك لهؤلاء ولنفسي ظهور هذه المجلة الخالدة (حروف عربية)، وأحيي الأفاضل النابغين الأحياء وأدعو لمن خدم هذا الفن من الأموات بالرحمة والمغفرة.

لقد أنجب العراق والعالم العربي والإسلامي رجالاً نابغين أناروا الطريق لأجيال متعاقبة من الخطاطين هذبت مواهبهم وتوجت نجاحاتهم، وبحسن توجهاتهم طبعت مظاهر الفن في أكف المتعلمين.

كنت شرفت بالنجاح بدرجة امتياز في دورة الخط الشاملة التي جمعت كبار أساتذة الخط في القطر العراقي عام ١٩٧٢م، بإشراف الأستاذ وإمام مبدعي هذا الفن **يوسف ذنون الموصلي**، أطال الله عمره ليكمل هذه المسيرة التي تقترب من نصف قرن.

لقد كان لقائي الأول بهذا الأستاذ بعد تخرجي في معهد الفنون الجميلة بعام واحد، وذلك بعد دراستي للخط في هذا المعهد على يد الأستاذ المرحوم **هاشم محمد الخطاط**، ولكن بعد تخرجي كنت أحتاج في حينها إلى من يكمل الطريق، ويصقل هذا الفن الخالد ويعيد له بريقه،ويخرجه أحسن إخراج، كنت أحتاج إلى المخلصين والمبدعين في هذا المجال فهيأ الله لي الأستاذ **يوسف ذنون** في الدورة المذكورة أعلاه، ولن أنسى تلك الدورة ما حييت، فقد أعطتني سنوات من التعلم، وأدخلتني في مجال الفن من أوسع أبوابه بفضل أسلوبه المميز، وكان للأستاذ دور مستمر معنا فقد كان يتابع أعمالنا وإنجازاتنا ويحثنا على التدرب المستمر والاشتراك في المعارض.



لوحة بخط الثلث الجلي - عبد الله الصانع

رجعت إلى السعودية بعد الدورة، وكان الأستاذ يراسلني باستمرار ورسائله مشبعة بالإرشادات والنصائح فبدأت الطريق في وطني، في نشر دعوة تعلم الخط العربي، وأنا أحمل بصماته حيث علمني الصدق والأمانة والإخلاص، فحملتها إلى أبنائي وإخواني في وطني، فكتبت في الصحف عن الخط وتاريخه وأنواعه منذ عام ١٩٧٥م، وكنت أذكره في بعض مقالاتي وأنشر بعض أعماله، وأقمت الدورات الخاصة بالخط العربي لكثير من الشباب وقد أصبح منهم خطاطون على مستوى خليجي وعالمي والحمد لله. ثم تدرجت في بعض الوظائف ومنها أن كان لي شرف خط الكلمة السامية لجلالة الملك **خالد بن عبد العزيز** وولي عهده خادم الحرمين الشريفين بمناسبة الخطة الخمسية الثالثة عام ١٤٠٠هـ، حين كنت رئيس خطاطي وزارة التخطيط بالرياض.

«أهلني التدريب على يديه لأن أشرف على تدريس الخط في المملكة واختبار الخطاطين». عبد الله الصانع

أهلني التدريب على يدية لأن أشرف على اختبار المتقدمين لطلب رخص وكالات الخط في المملكة بوزارة الإعلام وأن أكون خطاطًا في الصحف والتلفزيون، ومنذ تخرجي من دورة الأستاذ **يوسف** لم انقطع عن المشاركة في المعارض المحلية والخليجية والعالمية للخط العربي، أشارك وأنا أحمل وسام أستاذي على صدري، والذي يزيدني فرحة حينما كنت ألتقي بخطاطي العالم وهم يثنون على الأستاذ ثناءً عظيماً، ومنهم الكثيرون ممن قد تعلموا



صورة تجمع بين يوسف ذنون وعبد الله الصانع في المدينة المنورة ١٩٩٤م

على يديه، ويذكرون نشاطاته واتصالاته معهم والتي تخطت كل الحواجز المادية والزمنية، وفي بعض المعارض العالمية والخليجية ألقيت كلمات الوفود المشاركة، وحرصت على أن أذكّر الخطاطين باللقاءات المتكررة، ومطالبة الدول بإقامة جمعيات للخطاطين ليحافظوا على هذا التراث الخالد من التغيير.

ما أقمت دورة أو درساً نموذجياً للمعلمين أو معرضاً إلا وكنت مستنداً على الطريقة (الذنونية) في البداية والاتجاه والمسافة، والآن وقد قاربت من العمر الستين اختارتني بعض دول مجلس التعاون محكماً في مسابقاتها. بعد هذا المشوار الطويل من العمر قضيته في خدمة الحرف العربي وقد سكنت المدينة المنورة وأستاذي **يوسف** لا ينقطع عن زيارتي، وكنت أجمعه عند زيارته في منزلي بخطاطين معروفين منهم **عثمان طه** خطاط المصحف النبوي الشريف، و**عبد الله رضا** خطاط الحرم النبوي الشريف سابقاً، والخطاط **أحمد ضياء** المقيم في المدينة، والخطاط **ناصر الميمون**، وخطاط الحرم **شفيق الزمان**، والخطاط **حسن جلبي** حينما كان يتواجد في المملكة. لقد كان شغف الأستاذ يوسف بالخط فوق الوصف، وعند زيارته لي كان يطلب مني أن أتركه ساعة أو ساعتين في مكتبتي ليطلع على كتب الخط فيها.

تمنيت أن تنجب هذه الأمة مجموعة من أمثال هذا الأستاذ الفاضل يطوفون هذا العالم حاملين أفكاراً عظيمة وأنامل بارعة ونفساً زكية وأخلاقاً متواضعة يحرقون أناملهم ليضيئوا الطريق للآخرين. سألته يوماً في إحدى زياراته الأخيرة لماذا لا تستريح وأنت في هذا العمر؟ فقال الأستاذ بكل فخر، أنا تقاعدت منذ عشرين عاماً وإن عملي الحقيقي بدأ بعد التقاعد. أسأل الله أن يطيل عمره ويجعله ذخراً لنا ولجميع الخطاطين في مختلف بقاع العالم والحمد لله رب العالمين.

«يوسف ذنون مكتبة ضخمة تحوي أكثر من أربعة آلاف وخمسمئة مصدر كلها في فن الخط وما يتصل به».
علي البداح

ثقافة موسوعية

علي عبد الرحمن البداح:

لم أعرف الأستاذ **يوسف ذنون** في البداية إلا من خلال ما نشر له من لوحات في كتاب بدائع الخط العربي حتى كان مهرجان بغداد العالمي للخط العربي والزخرفة الإسلامي، فكان لقائي الأول به شخصياً ولمست من خلاله ثقافته الموسوعية سواء في تاريخ فن الخط أو في أعلامه وتراجمهم أو في مجالات التراث والتاريخ والآثار بشكل عام، ووجدت فيه ضالتي التي كنت أبحث عنها منذ بدأت أقتني كتب فن الخط وأقرأ في تاريخه وعن أعلامه. ووجدت أن كثيراً من هذه الكتب مليئة بالغث والمكرر ولم أجد من يجيبني عن أسئلتي التي بدأت تزدحم في رأسي بالرغم من اتصالي بالكثير من الخطاطين.

فعزمت حينها أن أشد الرحال إلى الموصل لكي ألتقي بالأستاذ **يوسف** فكانت الرحلة الأولى في فبراير ١٩٨٩م، التي عرفت فيها الأستاذ عن قرب، أقمت في بيته ثلاثة أيام بعد إصراره على عدم إقامتي في الفندق، وكانت فرحة بالنسبة إلي أن أستغل كل دقيقة من فترة بقائي في الموصل لكي أستفسر عن كل ما كان



• صورة تجمع بين يوسف ذنون وعلي البداح

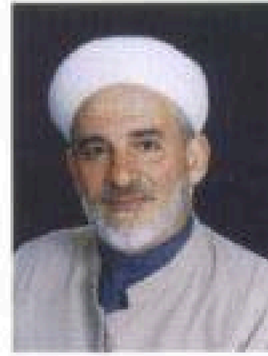


• من أعمال علي البداح بخط الشكستة

يدور في خاطري، فكانت زيارة مميزة وكان الرجل أكثر مما توقعت فكرمه وطيبته وأخلاقه وسعة صدره، كل تلك الصفات أضافت إلى علمه صفات العلماء. كنت أسأل كل ما بدا لي منذ الصباح حتى المساء ونحن نتجول بين آثار الموصل ومراكزها العلمية، فكان يجيبني مباشرة فإذا عدنا في المساء إلى البيت كان يخرج لي من مكتبته الضخمة والتي ناهزت الأربعة آلاف وخمسمئة مصدر كلها في فن الخط وما يتصل به، كما كنت أسجل له حديثه بالأشرطة الصوتية حتى تكون لي مرجعاً عندما أعود بها إلى الكويت. وعدت إلى الكويت وأنا سعيد بما حملته معي من كنوز هي بالنسبة إلي أثمن من كنوز الذهب والفضة. ثم كانت زيارتي الثانية والتي كانت بعدها بسنة تقريباً فبراير ١٩٩٠م، قبل حادثة الغزو الأليمة بشهور، وأقمت فيها أيضاً في بيته وكانت مرة أخرى جلسات مطولة بين الباحث والعالم وبين الظمآن والنبع لم يبخل علي بشيء كنت أسأله عن أصل الكتابة العربية ثم عن أعلام فن الخط سواء في عهد الدولة الأموية أو العباسية أو العثمانية أو غيرها من شرق العالم الإسلامي حتى غربه، وكنت أجد أن إجاباته تفجر عندي تساؤلات أخرى لأجد أن الرجل موسوعة متنقلة ووجدت عنده في الزيارة الثانية الكثير من اللوحات والمرقعات لكبار الخطاطين، كما أن الكتب التي لديه نادرة لا أتصور أن هناك نسخاً لها في مكتبة واحدة، والعجيب أنني عندما عرضت عليه أسماء الكتب التي عندي والتي لم تتجاوز الخمسين كتاباً حينها قال لي «إن مكتبتك نادرة يا **علي**»، وأذكر حينها أنني قلت له أتقول ذلك يا **أبا عصام** ومكتبتك قد جاوزت الأربعة آلاف كتاب، فرد علي: إنني أعرف الكثير من الخطاطين ولم أجد عندهم مكتبة غنية كمكتبتك، وأضاف مع الأسف إن غالب عموم الخطاطين في عصرنا لا يهتمون ببحث ودراسة هذا الفن بشكل علمي أو صحيح إن همهم هو تجويد الحرف. فوجدت أن إجابته كانت مطابقة لما كنت أعتقده ولا زال، وهذا ما دفعني إلى شد الرحال إليه فقناعتي أن معرفة ما قام به أعلام فن الخط يتحقق من خلال دراسة حياتهم وأسلوبهم في البحث والتجديد والتطوير والتبحر فيما عملوه، وكيف كانت حياتهم وأخلاقهم. كل ذلك سيوصلنا إلى المنهج الصحيح لمعرفة الأسس التي طبقها أولئك الخطاطون والتي لو فهمناها ستكون نبراساً لإكمال المسيرة وتقديم الجديد والمفيد لهذا الفن.

أُستاذي كما عرفته

الشيخ علي حامد الراوي:



قبل حديثي عن أستاذي الخطاط **يوسف ذنون** أودّ أن أتقدم بكلّ ما في الشكر من معنى إلى مجلتكم الغراء (**حروف عربية**) لما تقدمه لقرائها من أصالة تراثنا في الخط والزخرفة والأبحاث النفيسة، فتجعل من تلاقح الأفكار بين أعمال القدماء والمحدثين مدرسة متفاعلة نستلهم منها كل جديد ومفيد يرتقي بالفنون الإسلامية نحو الأفضل، ويحافظ على أصولها من كل غريب يدخل عليها. والموصل (الحدباء أم الربيعين)، ذات المكانة العالية في الفنون والآداب والتراث، برز فيها أعلام تحدث عنهم التاريخ كثيرا. ولها في رحاب الخط يد طولى، وحضور متميّز وأول هؤلاء: **ياقوت بن عبد الله الملكي الموصلي** (ت ٦١٨ هـ). وآخرهم نابغة زمانه (**صالح السعدي بن يحيى الموصلي**، ت ١٣١٥ هـ). ثم تدنى مستوى الخط حتى ظهر نشاط **يوسف ذنون** في أوائل الستينيات من القرن الماضي ولم يكن فيها وقت ظهوره من يحسن الخط وملحقاته كما هو الحال في بغداد والقاهره ودمشق وبيروت والأسكندرية واسطنبول سوى الخطاط **محمد صالح الشيخ علي الموصلي** (ت ١٩٧٥م). الذي اتخذ من بغداد محلا لعمله.

تعرفت إلى الأستاذ يوسف مدرساً للخط العربي في معهد المعلمين سنة ١٩٦٣م. ووقفت أمامه تلميذا لأخطّ أول الحروف على السبورة. بهرتني شخصيته وبهرني أسلوبه وذكاؤه وإلمامه بالفنون المختلفة. وبعد تخرجي عملت معلما في الأرياف، ثم جمعتني به العطلة الصيفية لسنة ١٩٦٦م. فكان أول سؤاله لي (هل أنت مستمر على الخط؟). فأجبته بالإيجاب فأهداني في وقتها كراريس بخط الرقعة للخطاط **نجيب هواويني** جلبها من مصر بعد رحلته الأولى إلى اسطنبول والشام.

إن **يوسف ذنون** كما عرفته رجل موسوعي يحب الموصل ويسعى إلى إعادة مكانتها الفنية، ويسعى إلى إحياء أصالتها



صورة تجمع بين يوسف ذنون وهاشم البغدادي وعلي الراوي عام ١٩٦٨م

من تمارين علي الراوي

وخصوصيتها، فكان يتابع آثارها ومخطوطاتها وتواريخ أعلامها وجوامعها وحتى عن الموروث الشعبي فيها: فألقى المحاضرات، وعقد الندوات ووضع للخط مناهج فبدأ بدورات للمعلمين والمدرسين والراغبين، وكان له في يوم الخميس مجلس يرعى فيه المتقدمين، وينمي مواهبهم، تنقل فيه بين (مقهى يحيى وجمعية التراث العربي ثم جمعية الخطاطين العراقيين)، كان بأسلوبه هذا رائدا ومعلما أحدث في الموصل ثورة خطية.

في صيف سنة ١٩٦٧م، تعرفت إلى الأستاذ **هاشم محمد** الخطاط البغدادي بواسطة عميد أسرتنا الشيخ خاشع الراوي، ذهبت إلى مكتبه في شورجة بغداد فرحب بي وسألني عن الخطاطين في الموصل فقلت له: لايوجد بالمعنى الذي تريده الا خطاط واحد اسمه **يوسف ذنون**. قدّمت له نموذجين من كتابتي بالرقعة والنسخ فصحح فيهما وقلت له إني تعلمتهما على أستاذي، وأخرجت له نموذجين بالثلث قلت له لقد تعلمت الثلث على كراستك فأعاد النص الأول (لاميراث كالأدب)، ووضع توقيعي عليه وقال هذا توقيع المستقبل، وصحح حواشي الثاني بالحبر الأحمر وقال خطك يشبه خط الحاج **أحمد الكامل**. وبعد ثلاثين سنة من ذلك اللقاء قارنت بين صورتي وصورته فوجدت الشبه كبيرا فعجبت من فراسة **هاشم**. وقبل أن أخرج من مكتبه نصحني قائلا: «ياولدي كل أمور الخط أصبحت مكشوفة ولم يبق من الخطاط لكي يصل، إلا المثابرة والسعي والصبر. فإن أتعبت نفسك فستكون بعد خمس سنين خطاطاً يُشار إليه بالبنان»، ثم أوصاني بتبليغ خالص تحياته إلى الأستاذ **يوسف**. وبعد شهر عدت إليه أحمل دروسي فوجدته قد كتب اسمي بخط الثلث وأهداني صورته بتوقيعه مع مشوقات نفيسة وقال لي: «ياولدي انتفع بكراستي فهي والله جهود عشر سنين من المتابعة والبحث وضعت فيها كل ما يحتاجه المتعلم». وفي صيف سنة ١٩٦٨م، حلّ الأستاذ **هاشم** ضيفا على الأستاذ **يوسف ذنون**، فاطلع معه على الآثار الخطية والأثرية في الموصل فزار الجوامع القديمة والمتاحف والأسواق، واطلع على المصاحف القديمة والآثار النفيسة في (جامع نبي الله **يونس**ﷺ)، وأبدى ارتياحه بكتابات الأستاذ **يوسف** في (جامع نبي الله **شيث**ﷺ) وقال لي: «لقد بذل **يوسف** فيه جهدا كبيرا وحقق مستوى طيبا، ولو راجعني سنة لكان شأنه أكبر».



لوحة بخط الثلث الجلي، والديواني الجلي - علي الراوي

وفي إحدى زياراتي **لهاشم** قال لي قل **لأبي عصام** أن يتفرغ ثلاثة أيام وليأت بغداد لأشرح له كيفية تحضير ماء الذهب والزخرفة فيه، ذلك أن **هاشما** كان يرى أن إمامة الخط من بعده محصورة **بيوسف** لما رأى فيه من قوة الحرف وسعة الاطلاع ومقومات الشخصية.

توالت زياراتي **لهاشم** فوصلت مكتبه صباح الجمعة في الوقت الذي قد خصصه لطلابه فوضعت أمامه لوحة **لحامد** أرسلها إليه **يوسف** نصها (الله ولي التوفيق نعم المولى ونعم

«يوسف ذنون رجل موسوعي يحب الموصل ويسعى إلى إعادة مكانتها الفنية».
علي الراوي

الرفيق) تأملها طويلا وقال لطلابه بكل تواضع ندعي أنفسنا من الخطاطين؟ هذا والله هو الخط. في صبيحة الخامس من شباط عرضت عليه لوحتي: (وأقم الصلوة لذكري)، فبشرني بتحسن خطي وبيّن لي طريقة تطوير اللوحة، وقال لي: لقد عزمت أن أعتمر وأبدأ بكتابة المصحف حيث نزل في مكة والمدينة. وفي مساء اليوم نفسه دخل مكتبه الأستاذان **يوسف ذنون الموصلي وعبد الكريم رمضان البصري** فداعبهما بقوله: الآن أجتمع وسط العراق بشماله وجنوبه، ثم قال إن الحرف العربي يتعرض اليوم لهجمات تشوّه معالمه فاعملوا على حمايته، ثم أخرج من مكتبته عشرات اللوحات الأصلية كالتي تزين جدران مكتبه لعمالقة الخط من أمثال **سامي وحامد وحليم وراقم وعزيز وشوقي ونظيف وعارف وعماد الحسني** وغيرهم، مما أثار الإعجاب بتلك النفائس التي لاتنسى.

ودعته في صباح اليوم التالي وكان الوداع الأخير حيث ووري الثرى في الأول من مارس سنة ١٩٧٣م، في مقبرة الإمام **أبي حنيفة النعمان**. وبعدها بسنتين نصحني المرحوم الشاعر **حسين الفخري**، بالعودة إلى ممارسة الخط على يد الأستاذ يوسف ذنون، فبدأت معه تجويد خط الرقعة إلى الخط الديواني، ثم إلى خط التعليق على كراسة **هواويني** ثم على كراسة **هاشم** فمشقت كلّ دروس النسخ والثلث فلما رأى إتقاني عرض علي الإجازة فأعددت نصوصها بإشرافه فأجازني بها في ربيع الثاني ١٣٩٨هـ، ثم رخص لي بكتابة خطوط الجوامع وكان يحوّل لي الكثير منها.

في صيف سنة ١٩٧٩م، توجه لزيارة **الآمدي** وعرض عليه صورة إجازتي فاستحسنها وأضاف إليها من دقائق خبرته فصحح بعض كلماتها توسعة لمداركي، وبعد عودته أرسلت **للآمدي** نصوص إجازتي مع المرحوم **زهير محمد صالح** الخطاط فكتب لي إجازة نفيسة ونبهني بالقلم الرصاص إلى تغيير بعض صور الحروف وأخيرا فإن ماقدمته من شهادتي لأستاذي ينصب معظمه فيما قدمه الأستاذ **يوسف ذنون** خلال مسيرته الطويلة.

وما ذكرته عن أساتذتي الآخرين لايخرج عن الطريق الذي سار عليه أستاذي، فأنا ثمرة من ثمراته، وحسنة من حسناته، وهاهي الموصل الحدباء قد أضحت بعد أربعين سنة من جهود أستاذنا قبلة لعشاق فن الخط، فقد تغير مسارها، وظهر فيها من أعلام الخط من حصل على المراتب العليا في المسابقات الدولية، وإضافة إلى ذلك وبفضل توجيهاته القيمة ظهر أعلام برعوا في الخط والبحث والنقد والتأليف.

أسأل الله تعالى أن يمدّ في حياته ويمتعه بسمعه وبصره وكيانه لكي يخّرج أجيالاً وأجيالاً، والله ولي التوفيق.

«إن الذي تعلمناه من أستاذنا الكبير تعدى علوم الخط العربي إلى الصبر والمثابرة والتواضع والأخلاق الكريمة» عمار الفخري

• إجازة الخطاط عمار الفخري من يوسف ذنون

مُرَبٍّ فَاضِلٌ وَقُدْوَةٌ حَسَنَةٌ

عمار الفخري: بدأت رحلتي مع الأستاذ الكبير سنة ١٩٦٦م، وكنت في التاسعة من عمري عندما قدمني المرحوم والدي الذي كان يشغل منصب مدير لمعهد المعلمين في الموصل إلى الأستاذ **يوسف ذنون** الذي كان مدرساً للفن في ذلك المعهد حيث قمت بكتابة بعض الكلمات والجمل أمامه ففرح بي وتوقع لي مستقبلاً جيداً في مجال الخط العربي مما شجعني كثيراً وجعلني أكتب وأقلد بعض اللوحات وكان يقوم بإعطائي النصح وتصحيح الأخطاء، واستمرت علاقتي به فترة طويلة وبشكل متقطع وأذكر انه في سنة ١٩٦٩م، قام الأستاذ **يوسف** بزيارتنا في هذه المحافظة التي تبعد عن الموصل أكثر من (٥٠٠كلم) وأهداني بعض قصب الخط وقلماً خاصاً لكي يشجعني على الاستمرار بتعلم فن الخط والتمرين المتواصل.

واستمرت العلاقة بين هذا المربي الفاضل والأستاذ الكريم الخلق المتواضع وبيني أنا الضعيف الجاهل علاقة أب وابن سنين طويلة، ابتعدت عنه خلالها فترات ليست بالقصيرة نتيجة للظروف التي مر بها العراق.

وفي سنة ١٩٨٧م، بدأت مع الأستاذ مرحلة جديدة جادة بالدراسة فبدأ معي من البداية من خط الرقعة والخط الديواني وخط التعليق ثم النسخ وأخيراً خط

• تمرين إجازة الخطاط - علي الراوي

الثلث، وكنت أزوره في داره لمرتين في الأسبوع ليصحح لي ما أكتبه، وفي نهاية عام ١٩٩٠م، أكملت دراسة خط الثلث ومنحني الإجازة في الخطوط المختلفة في حفل أقامته جمعية الخطاطين العراقيين فرع نينوى بهذه المناسبة، حيث ألقيت كلمات في هذا الحفل، وبعدها قام الأستاذ **يوسف ذنون** بتسليمي الإجازة.

إن الذي تعلمناه من أستاذنا الكبير، يتعدى علوم الخط العربي، منه تعلمنا وسنبقى نتعلم الصبر والمثابرة والتواضع والأخلاق الكريمة ونكران الذات.

يعجز القلم عن وصفه.. إنه قدوة، حفظه الله وأطال عمره، إنه سميع مجيب.

أيام من الذاكرة



• صورة تجمع بين يوسف ذنون ومحفوظ ذنون يونس

محفوظ ذنون يونس:

في صغري كنت أرى كتابات الأستاذ **يوسف ذنون** التي تزين جدران الكثير من الجوامع في محافظة نينوى لم أكن أتوقع يوما أنني سأكون أحد تلاميذه من الذين يلتقون به ويجلسون معه، وفي عام ١٩٨٦م، وقع بيدي كتاب **يوسف ذنون** مدرسة الإبداع في الخط العربي، لمؤلفه المرحوم د. **عبد العزيز عبد الله** فأثر في هذا الكتاب تأثيراً كبيراً، فمن خلاله اطلعت على نماذج كثيرة لأعمال خطية وعلى شخصية الأستاذ وتلاميذه وكتاباتهم وخاصة كتابات الخطاط **أحمد عبدالرحمن**، ثم كان لقائي الأول مع أستاذي من خلال إحدى جلسات جمعية الخطاطين العراقيين - فرع الموصل، التي كانت تعقد يوم الخميس من كل أسبوع على الأقل حيث أخذني شقيقي الخطاط **أكرم ذنون** إلى الجمعية وتعرفت إليه وأطلعناه على بعض الأمشاق والكتابات المتواضعة التي كنت أكتبها في البداية مقلداً كل ما يقع بيدي من كتابات ولوحات الخطاطين، وكان حضوري في جمعية الخطاطين يشعرني بالسعادة والسرور وأخذت أتردد عليها أحياناً وآخذ تماريني وكتاباتي وأريها للأستاذ قاطعاً مسافة ساعتين من الطريق بين تلعفر والموصل، فكان بحق القمر الذي ينير جلسات الجمعية، وكان مقر الجمعية يتغير من حين إلى آخر بين أماكن بسيطة ومتواضعة، ثم أخذت أزور أستاذي في بيته القريب من مكان دراستي في جامعة الموصل وآخذ له تماريني وكتاباتي في الخط فيبدي لي ملاحظاته القيمة والسديدة ونصائحه المفيدة، وكانت لقاءاتي معه تشحذ همتي وتجدد في روح العمل والاستمرار والتطور في الكتابة.

إنّ للأستاذ القدير دوراً كبيراً في نشر الخط وحركته في العراق وفي محافظة نينوى بشكل خاص فهو الذي يرعى الخطاطين هنا ويشجعهم ويوجههم ويحرص على اجتماعهم ويخلق الظروف والأجواء الفنية التي تساهم في دفع حركة الخط إلى الأمام كالمعارض الجماعية والدورات والندوات والمواسم الثقافية وأي سؤال يتبادر إلى ذهن أي خطاط أو تلميذ من تلاميذه ليس بوسعه إلا أن يطرحه عليه ليجد الجواب الشافي والكافي له، وكان ولا يزال يطلعنا على الجديد من أخبار الخط والخطاطين والمصادر الفنية الخطية التي يحصل عليها من هنا وهناك، وكان يساهم معه في تلك النشاطات نخبة من الخطاطين المخلصين لفن الخط، ولقد شهد العراق في السنوات الأخيرة ركوداً في حركة الخط والمعارض والنشاطات الفنية بسبب ظروفه غير المستقرة المعروفة للجميع فبعد أن كان مهرجان بغداد العالمي ومهرجان دار السلام القطري ومهرجان أربيل للخط العربي والزخرفة الإسلامية يقامان كل سنتين في أوقات مختلفة توقفت هذه المهرجانات وكان من الطبيعي أن يكون لمدينة الموصل حظها من هذا الركود، إلاّ أن هذه الفترة لم تخل من كفاءات جيدة وخطاطين واعدين بفضل نشاط بعض المؤسسات الفنية والثقافية في بعض الدول العربية والإسلامية التي مدت يدها لتحتضن الخطاطين ولتحيي مجد هذا الفن العريق ولتكون محافل دولية وعالمية ومناسبات طيبة لتحقيق نجاحات مهمة تتيح الفرص أمام كل خطاط أن يشارك في نشاطاتها، ونعرف أن للأستاذ يوسف مشاركة فاعلة في هذه المحافل. لقد عرفت أستاذي **يوسف ذنون** كريم الطبع حسن الخلق متعاوناً ومرشداً لمن حوله اجتمع تحت ظله كثير من الخطاطين ما كانوا ليلتقوا لولا حرصه على هذا الفن العظيم، وهو كثير العمل والنشاط والبحث والاهتمام بالتراث والثقافة والفنون.

فاتحته يوماً بشأن منحي الإجازة في الخط وكان ذلك في بيته فأجابني بأن الوقت لازال مبكراً وكان حاضراً معنا الفقيد الدكتور **عبد العزيز عبد الله** (رحمه الله)، وهو من الذين خدموا فن الخط واللغة العربية واهتموا بهما كثيراً وكان من المقربين جداً منه، وبعد مدة من الزمن طلب مني الأستاذ أن أكتب لوحة الإجازة وتم ذلك سنة ١٤٢١هـ، بفضل الله تعالى وبركته وكانت هذه الإجازة حافزاً لي للاجتهاد وأمانة تجعلني أبذل المزيد وأحافظ على هذا الفن الخالد.

حفظ الله أستاذنا وأطال عمره وأمده بالصحة والعافية إنه سميع مجيب.

> «يوسف ذنون كريم الطبع حسن الخلق متعاوناً ومرشداً لمن حوله اجتمع تحت ظله كثير من الخطاطين».
> محفوظ ذنون يونس



• لوحة بخط الثلث الجلي - محفوظ ذنون يونس

رمز من رموز التربية والخط

محمد الصادق عبد اللطيف:

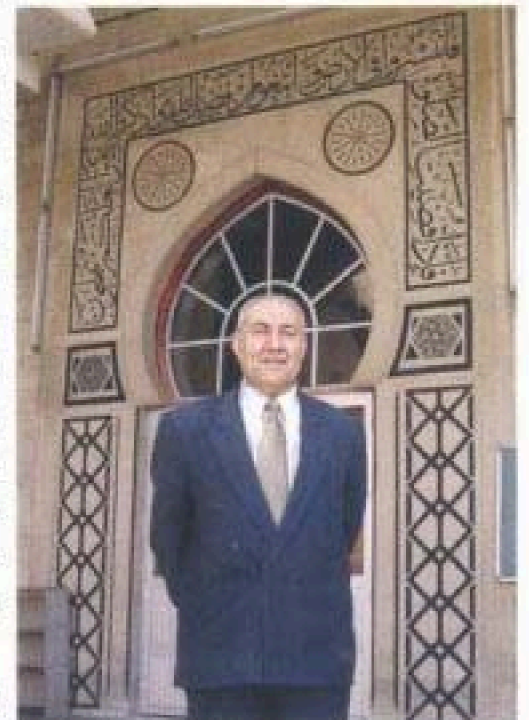
صورة صادقة انطلقت منها ذكرياتي عن عميد الخط العربي اليوم **يوسف ذنون الموصلي** أبقاه الله.

لقد عرفت الرجل من خلال كتاباته التي كان يُحلّي بها عناوين مجلة المورد العراقية، خلال العقد السابع من القرن الماضي، شدّتني خطوطه القوية المتنوعة التي كان ينشرها في كل عدد، توقفت أمامها كثيراً فاحصا متأملاً مقارناً خطوطه وما تحمله من إبداع وجمال، ببقية الكتابات التي تطالعنا في الدوريات العربية، فإذا أنا أمام رمز من رموز التربية والخط، وخلال الدّورة الأولى لمهرجان بغداد العالمي للخط والزخرفة الإسلاميةربيع ١٩٨٨م، حضر إلى بغداد جمع من الخطاطين في أكبر تجمع عرفه التاريخ للخطاطين العرب والمسلمين وغيرهم، وخلال مهرجان المغرب الأول للخط سنة ١٩٩٠م، كان اللقاء المباشر بيننا هناك بصفته منسقا عاماً ومحاضراً وبصفتي محاضراً عرفت الرجل عن قرب، فاكتشفت فيه الموهبة والصبرّ والقدرة والثقافة الواسعة والعميقة بالخط وأصوله ومدارسه وأعلامه وقضاياه، وأنه مؤهل فعلياً وعملياً لأن يكون واحداً من أبرز الباحثين المعاصرين المتخصصين في الخط العربي، وليس من السهل الحصول على هذه الكفاءات ليصل لتدريس الخط في المستوى الجماهيري والأكاديمي وأن يكون حاضراً بأبحاثه في الجامعات والكليات داخل العراق وخارجه والإشراف على دورات تكوينية تعليمية وقد حضرت خطوطه بقوة في فضاءات الموصل وجوامعها ومدارسها وتكوّن لديه جمهور كبير من تلاميذه الخطاطين ذكوراً وإناثاً.

«اكتشفت فيه الموهبة والصبر والقدرة والثقافة الواسعة والعميقة بالخط وأصوله ومدارسه وأعلامه وقضاياه». محمد الصادق عبد اللطيف

إنه لم يقتصر على الحضور الشعبي في وطنه العراق بل تعدّاه بالحضور في التظاهرات الثقافية العالمية بصفته باحثاً وفناناً، التقيت الرّجل مرتين في مهرجان بغداد العالمي للخط سنة ١٩٩٣م، وسنة ١٩٩٥م، فاكتشفت فيه الناقد الحصيف الذي أخضع الخطوط الكلاسيكية المتداولة إلى الاختبار والإضافة خاصة أشكال الحروف وإخراجها، ووضع الكلمات وتحليل النص الخطي إلى المكونات الأساسية للجملة الخطية في اللوحة وسطحها وتوزيع الكتل الكتابية عليها، إن النهضة الخطية المعاصرة مدينة للرجل بما أحدثه في سياقها من تطوير وانتشار، ولأنه عصامي التكوين فقد حرص طوال مسيرته على مبدأ التكوين الذاتي والاستزادة من تعرف دقائق الحروف العربية وجمالياتها في مختلف أنواع الخطوط وصولاً إلى إنتاج كراريس لعشاق الخط العربي، وبفضله انتظمت معارض الخط، وفي بغداد سنة ١٩٧٢م، فكان حقاً إجماعاً لا مثيل له حول الرّجل بحضور نخب الخطاطين ورئيس الدولة ووسائل الإعلام وتلاميذه الذين كوّنهم.

فليحفظه الله لمزيد العطاء والتكوين والحضور.



• الأستاذ يوسف ذنون أمام إحدى جدارياته الخطية

أستاذ فن الخط وباحث كبير

محمد إمزيل:

عندما نظم مهرجان المغرب العربي الأول للخط والزخرفة سنة ١٩٩٠م، بمدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية، سمعت خبر ذلك متأخراً أسبوعين عن يوم الافتتاح، وكان أهم ما في ذلك الخبر هو حضور خطاطين كبار في لجنة التحكيم ومن بينهم الأستاذ **يوسف ذنون** من العراق، وبالنسبة إلي شخصيا فقد كان ذلك الخبر جد مشوق لأنه يعتبر أول فرصة ومناسبة لي للتعرف المباشر إلى أحد الخطاطين المعروفين بالمشرق العربي، فاشتغلت في تلك الفترة الوجيزة جدا ليلاً ونهاراً لأنجز ثلاث لوحات لكي أغتنم هذه الفرصة الاستثنائية، خصوصاً بالنسبة إلينا نحن في المغرب حيث لم تكن عندنا مدرسة لفن الخط ولا أستاذ متمكن يمكن الاستعانة به.



• يوسف ذنون في المغرب بين مجموعة من الخطاطين

ورغم أن اللجنة المنظمة قد حددت المشاركة قبل شهر إلا أنه عند اطلاعهم على عملي الفني لأول مرة فوجئوا بمستوى خطي، فأدرجوني مع المشاركين، أما أنا فقد كانت فرحتي بلقاء الأستاذ **يوسف ذنون** واطلاعه على أعمالي أكبر من فرحتي بالمشاركة في هذا المهرجان الذي كان بصراحة أول مناسبة أنجز فيها لوحات خطية وأعرضها في المغرب.

بمجرد ما اطلع الأستاذ على أعمالي الفنية بمدينة الرباط سألني مستغرباً لماذا لم تكن من بين الخطاطين المغاربة الذين شاركوا في مهرجان بغداد العالمي الأول وأنت بهذا المستوى، فقلت له بصراحة لأنهم لا يعرفونني فهذه أول مناسبة لي، فوجه لي الأستاذ **يوسف** الدعوة للمشاركة في المهرجان في دوراته الجديدة، ومن حسن الصدف أن البنك الذي أعمل فيه كان هو المحتضن لمهرجان المغرب العربي ولم أكن أعلم بذلك إلا خلال الافتتاح حيث التقيت بالصدفة بأحد مسؤولي إدارة البنك الذي تفاجأ هو أيضاً بمشاركتي فأمر بحجز غرفة لي مع الضيوف، فكانت ثلاثة أيام من أسعد أيامي الأولى مع هذاالفن الجميل، لأجد

نفسي بجانب فنانين مرموقين أتبادل معهم الحديث حول فن الخط الأصيل وأسمع منهم التنويه والتشجيع، فقد كان من بينهم الأستاذ والباحث الكبير **يوسف ذنون** والفنان القدير **محمد سعيد الصكار** والدكتور **محمد الشريفي**، من الجزائر والأستاذ الباحث التونسي النشيط **محمد الصادق عبد اللطيف** بالإضافة إلى خطاطين من دول المغرب العربي الكبير.

وجاء مهرجان بغداد العالمي الثاني سنة ١٩٩٢م، وشاركت فيه كما وعدني بذلك الأستاذ **يوسف**، ومن بين اللحظات التي كانت شدتني في ذلك اللقاء هي تلك الجلسات الثقافية والحوارية المفتوحة التي كان يترأسها **يوسف ذنون** مع الضيوف والمشاركين بقاعة الاجتماعات لأحد فنادق بغداد، فإذا بنا جميعاً أمام عالم جليل موسوعة حية معتمداً على ذاكرة قوية وأسلوب ممتع.

إن الأستاذ **يوسف ذنون** الخطاط والباحث والمثقف لم ولن تفيه صفحات بذكر مزاياه وعطاءاته في هذه المجالات، وإنني لعلى يقين بأن هناك كثيراً غيري ممن احتكوا به عن قرب، يعرفون شخصيته الفذة المتنوعة وسوف يتطرقون لكل زواياه النيرة، لهذا أقول باختصار بأنه موسوعة ناطقة في مجال فن الخط والبحث والتراث والثقافة بشكل عام، وأي استفسار في هذه المجالات تجد عنده الجواب الشافي المنهج، بعيداً عن التعقيدات والمراوغات اللفظية. إن الأستاذ إذا تكلم يتمنى المرء في حضرته لو يصبح كل عضو فيه آذاناً صاغية. أما فيما يخص شخصيته الإنسانية ومعاملاته مع الآخرين فأقول: يكفيك فقط إلقاء نظرة عليه لتجد نفسك أمام وجه سموح يتجلى فيه حنان الأب ورهبة ووقار العالم الرزين وبشاشة الأخ والصديق الحميم. إنه فعلاً إنسان حضاري ابن حضارة عريقة جدير أن يتخذ قدوة علماً وفناً وأخلاقاً.



• لوحة بخط الثلث الجلي - محمد إمزيل

خطاط ومعلم ممتاز



محمد زكريا:

كان للكثير من الرجال المثقفين فضل في إرشادي نحو معرفة وممارسة فن الخط الإسلامي. **يوسف ذنون** كان واحداً من هؤلاء، لكن طريق تعارفنا كان طويلاً بعيد المدى.

بدأت القصة عام ١٩٦١م، في حي صغير في (لوس أنجليس)، كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية، كان عمري آنذاك تسعة عشر عاماً، وكنت أريد أن أتعلم شيئاً ما عن فن الخط الإسلامي، لم أستطع إيجاد أي شخص يعرف أي شيء عن ممارسة هذا الفن. وفي الواقع، معارفي الوحيدون الذين سمعوا عن فن الخط كانوا من أصدقائي الصينيين (عائلة **سليمان ما**)، وكانت هذه العائلة مثقفة وذكية، وعندما أجبروا على ترك الصين في الخمسينيات من القرن الماضي، جلبوا معهم الكثير من عينات النماذج الخطية المكتوبة بفرشة على ورق الأرز، وكان أسلوب الكتابة قريباً جداً من أسلوب الخط الصيني على الرغم من أن النصوص كانت بالعربية من القرآن الكريم الأمر الذي جعلها مفهومة بالنسبة إلي.

ومع ذلك فقد كنت مهتماً أكثر بالأعمال المكتوبة باستخدام القلم على الورق بالأساليب العربية والفارسية والتركية، ولأني لم أجد أية مساعدة فقد قمت بالارتجال، قمت بتقطيع أقلام من الخيزران بالصورة التي تخيل لي أنها يجب أن تكون عليه وحاولت نسخ أمثلة وجدتها في كتب عن الفن الإسلامي، ولقد وجدت القليل فقط من الأمثلة، ذلك لأن فن الخط الإسلامي كان يعتبر في تلك الأيام فناً ثانوياً ولا حاجة للقول إنني لم أنجح كثيراً ولكن الفشل جعلني أحاول بذل جهد أكبر.

في عام ١٩٥٤م، سافرت إلى المغرب والتقيت هناك **بعبد السلام علي نور**، وهو فنان مصري ورجل ظريف. كان **عبد السلام** قد أخذ بعض دروس الخط عند **نجيب هواويني** عام ١٩٥٥م، أراني بعض حركات الخط وطريقة أفضل لقطع وتجهيز الأقلام، وقدم لي بعض النصائح وبعض الأقلام المصرية الجيدة التي لا زلت حتى الآن أستعملها وأحتفظ بها كشيء ثمين على الرغم من مرور أربعين عاماً على ذلك. لقد علمني كيف أتذوق فن الخط. ولمدة عامين قضيتهما في المغرب ولندن، حيث تعلمت من المخطوطات القديمة في المتحف البريطاني، قام **عبد السلام** بإرشادي إلى فن خط أفضل، والأهم من ذلك هو أنه قد أطلعني على الأعمال الكلاسيكية الكاملة لكبار الخطاطين في هذا الفن من مثل **القلقشندي والطاش كوبرو زاده**. كان **عبد السلام** محباً للغة العربية الكلاسيكية وقد قدم لي فهماً وحباً أبدياً لهذا الفن الرائع. وقد كان رحمه الله معلماً ممتازاً وأدين له بالفضل الكبير على مساعدته لي.

نتيجة لهذه التجارب التي مررت بها، تعلمت الخط الموزون

«التقيت أول مرة بالأستاذ يوسف صدفةً وعن طريق المراسلة».
محمد زكريا

«إنه موسوعة ناطقة في مجال فن الخط والبحث والتراث والثقافة بشكل عام».
محمد إمزيل

• لوحة بخط التعليق الجلي - محمد زكريا

(الكوفي). ثم تعلمت بعد ذلك الخط المنسوب، وذلك وفقاً لابتكارات **ابن البواب**. ولقد قمت بممارسة هذه الخطوط القديمة الطراز لعدة سنوات دون معلم، ولذلك لم يتطور فن الخط عندي أكثر مما تعلمته من دراسة أشكال الخط في القرون الوسطى.

انتقلت في عام ١٩٧٢م، من كاليفورنيا إلى واشنطن العاصمة، وفي مكتبة الكونغرس هناك رأيت أول مرة نسخة من كتاب (مصور الخط العربي) **لناجي زين الدين**، وقد فتح هذا الكتاب عيني لأول مرة على العالم الأرحب لفن الخط المعاصر وعلى فنانيه، وقمت بالكتابة فوراً إلى **قاسم محمد الرجب** من **دار مكتبة المثنى** في بغداد للحصول على نسخة من هذا الكتاب لنفسي، وعن طريق الصدفة كان الأستاذ **يوسف ذنون** في مكتبة المثنى تلك عندما وصلت رسالتي، وهكذا التقينا لأول مرة عبر مسافة طويلة وعن طريق المراسلة.

أرسل السيد **رجب** لي الكتاب المطلوب وكان معه رسالة من الأستاذ **يوسف**، وقمت بالإجابة على رسالته بكتابة لفيفة (Scroll)، بالأسلوب القديم للخط الديواني على شكل الفرمان العثماني، كتب **يوسف** رداً لطيفاً على رسالتي الغريبة، وأرسل معها لفيفة مروسة بطغراء خطية، ثم بعدها بعض الأجزاء المكتوبة بالخط جلي الثلث والنسخ والديواني والرقعة والإجازة، كانت غاية في الجمال ولا زلت أحتفظ بها كشيء عزيز عليّ. وهكذا نشأت بيننا علاقة بسبب حبنا المشترك للخط واستمرت أكثر من ثلاثين عاماً. تبادلنا كثيراً من الرسائل وكانت الرسائل أحياناً تضيع في البريد، ولكن غالباً ما كان يصلني منه رسائل في أحد العيدين أو بمناسبة المولد النبوي، لعلمه بأن اللغة العربية لم تكن لغتي الأم. كان **يوسف** يكتب لي بوضوح كبير وبأسلوبه المميز في خط الرقعة وبلغة عربية بسيطة وواضحة. كان يحدثني عن حياته في الموصل وعن طلبته الذين كانوا يحصلون على إجازة في الخط منه. كان دائماً يخبرني عن أستاذه **حامد الآمدي** وعن سنوات عمره الأخيرة وعن تردي حالته الصحية إلى وفاته رحمه الله.



• عباس بومجداد، د.أكمل الدين أوغلو، وسام بخش، يوسف ذنون، أمير البناي، حسن جلبي - ملتقى الشارقة ٢٠٠٣م

أرسل لي الأستاذ **يوسف** نسخة نادرة من مصحف بخط الأستاذ **حامد**، وأرسل معه بعض المقالات له حول فن الخط وتاريخه، ولقد كنت معجباً جداً بشرح **يوسف** حول الفترة المبكرة لفن الخط، كنت في ذلك الوقت مغرماً بالأسلوب المغربي وغالباً ما كنت أكتب رسائلي به، كان **يوسف** رجلاً مهذباً دائماً ولكنني أستطيع القول إنه لم يحب ذلك الأسلوب كثيراً، وفي الواقع لقد كان **يوسف** هو من وجهني في النهاية بعيداً عن أساليب **ابن البواب**، وجعلني أفكر في استخدام الخط العثماني الذي نستخدمه جميعاً هذه الأيام، وأنا ممتن له بسبب ذلك.

«ساعدني يوسف في شرح بعض مصطلحات ومفاهيم فن الخط الصعبة».. محمد زكريا

ساعدني **يوسف** في شرح بعض مصطلحات ومفاهيم فن الخط الصعبة، ولقد كان في الواقع الشخص الوحيد الذي كنت أعرفه في عالم فن الخط في ذلك الوقت، وكان دائماً صبوراً في إجاباته عن أسئلتي وملاحظاتي، مثلاً في أحد الأيام ذكرت له القدرة الهائلة والاهتمام الكبير الذي وجدته لدى الإناث من طلابي في أمريكا، ورد علي بأنه لاحظ هذه الظاهرة عنده في الموصل.

في عام ١٩٨٤م، ذهبت إلى إسطنبول لأبدأ دراستي عند **حسن جلبي وعلي آلب أرسلان**، كان **يوسف** يرى أن تلك فكرة عظيمة وأنها ستجعلني أعمل بنجاح في الأساليب التقليدية (الكلاسيكية). وفي عام ١٩٨٨م، رتب **يوسف** لي زيارة إلى بغداد لكي أشارك في مهرجان حول فن الخط والزخرفة، وهكذا التقيت **بيوسف** لأول مرة بعد سنين من المراسلة في فندق الرشيد ببغداد حيث بقيت هناك لمدة أسبوعين، كان ذلك في شهر رمضان وكان الجميع يسهر لوقت متأخر، وهكذا تعرفت على كثير من الخطاطين من الدول العربية ومن تركيا والصين واليابان وباكستان، وبدأت صداقات استمرت حتى الآن، بعد أن عدت من العراق بقيت في اسطنبول إلى أن حصلت على إجازة في خط الثلث والنسخ من **حسن جلبي** في الإرسيكا، ساءت العلاقات بين بلدينا بعد حرب الخليج وشعرت أنه من غير المناسب **ليوسف** أن يتلقى رسائل من أمريكا، لذا توقفت عن الكتابة إليه، لكنني استطعت إرسال بعض الرسائل له بعد ذلك بعدة سنين.

عندما كنت في قطر في السنة الماضية دعاني صديقي الحميم الخطاط القطري **يوسف أحمد** لزيارته لرؤية مجموعة شهيرة من لوحات فن الخط وهي الآن جزء من مؤسسة قطر، أخبرني أن هناك مفاجأة تنتظرني، وعندما وصلت وجدت **يوسف ذنون** هناك بانتظاري وكان اجتماع شمل طيب، ولا زلت أشتاق للمزيد من التواصل حول فن الخط مع هذا الخطاط والمعلم الممتاز.

عالمٌ متواضعٌ وغيورٌ على تراثِ أمّتِه



منتصر الحمدان:

بعد مسابقة فن الخط العربي الأولى التي أقيمت عام ١٩٨٦م، برعاية (إرسيكا)، زودني الأستاذ العزيز **محمد التميمي** - مشكوراً - بعناوين المشاركين والمحكمين فيها بناءً على رغبتي الكبيرة في الحصول على ذلك. وقد راسلت حينها الكثير ممن حصلت على عناوينهم، ولم يخطر ببالي وقتها أنني سأجمع ثروة من العلاقات والصداقات الطيبة التي لا تقدر بثمن، وكان للأستاذ **يوسف ذنون** الذي كرمني بأول الردود على رسائلي بتاريخ ١٩٨٧/٦/١١م، الأثر الطيب والبالغ في نفسي، فقمت بالإجابة على الرد مباشرة، وكانت البداية. ثم تتابعت الرسائل والردود، وأصبح لأستاذنا حيّز في قلبي ووجداني تعدى علاقة الفن والخط إلى رابطة أبوية روحية فريدة عاطفية من نوع خاص يغبطني عليها حتى المقربون منه.

وبعدها كان اللقاء الأول في مهرجان بغداد العالمي للخط العربي والزخرفة الإسلامية عام ١٩٨٨م، حيث تكرم أستاذنا بإرسال دعوة لي مطوقاً عنقي بفضائله المتكررة، وكنت حينها أصغر المدعوين سناً، فلازمته وجالسته وتقربت إليه، ونهلت من نبعه الصافي الغزير، وعرفته عن قرب إنساناً قبل أن يكون عالماً وفناناً. وبعد عودتي من بغداد استمر التواصل بيننا عبر

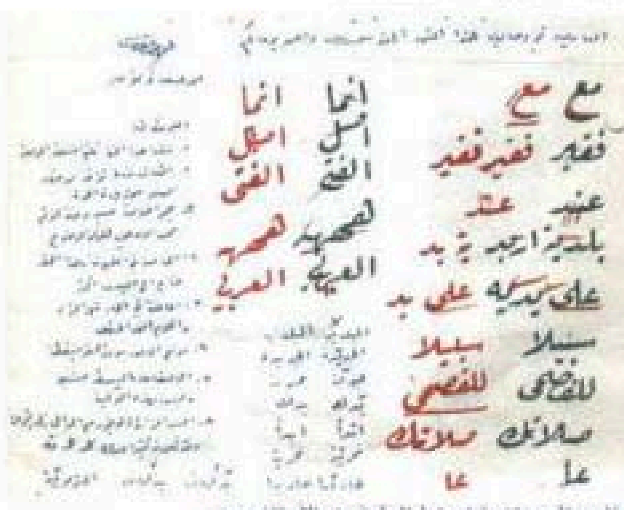


• رجب تمر، احمد الجوهري، يوسف ذنون، محمد الهندي، منتصر الحمدان، جمال الترك، يعقوب غاورية - في منزل المرحوم الخطاط هاشم البغدادي عام ١٩٩٣م

الرسائل البريدية والمكالمات الهاتفية، ثم تيسرت لنا فرصة لقاءات أخرى متعددة، حيث شرفنا الأستاذ الحبيب إلى الأردن ملبياً دعوات مختلفة للمشاركة في معارض وندوات ومؤتمرات وأنشطة كثيرة لها علاقة بالخط وتاريخ الكتابة، وكانت زيارته فرصة لاجتماع الخطاطين والمهتمين بفن الخط، يسألون ويستفسرون. ولقد حظيت بشرف عظيم حينما تكرم بزيارتي في بيتي بمدينة إربد أعوام ٩٥-٩٧-٩٩، أثناء وجوده في الأردن، وكانت تلك الزيارات مبعث فخر واعتزاز وتقدير، والحمد لله.

إن **يوسف ذنون** حالة مميزة لشخصية فريدة تأسرك بطيب المعشر وحلاوة اللقاء، شخصية العالم المتواضع، والفنان الغيور على تراث أمته، همه الوحيد تأدية رسالته بأمانة وإخلاص وتجرد، تلحظ فيه إنسانية الإنسان وتميز الباحث والفنان، إنه بحق منارة استضاء بها كل من عرفه.

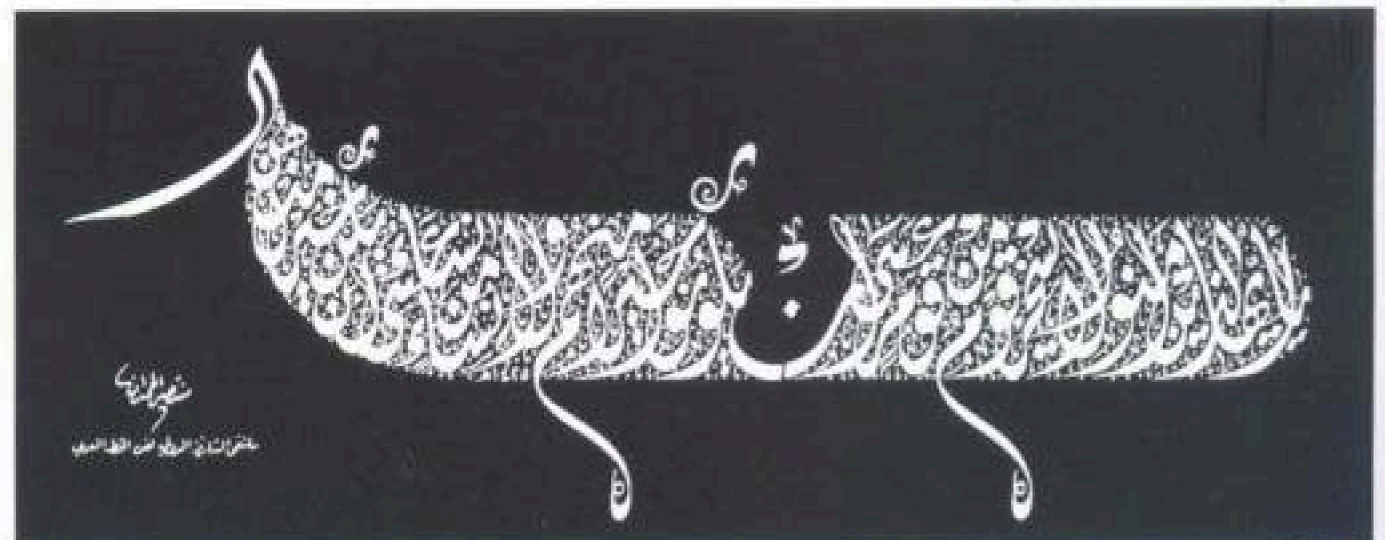
ورغم الوقت القليل الذي يتبقى له من يوم طويل في القراءة والكتابة العلمية والدراسات والأبحاث العميقة المتخصصة التي لا يجاريه فيها أحد، فهو عالم فن تاريخ الخط والكتابة، ومرجع مهم لكل الدارسين والباحثين في هذا المجال ولا بد من الإشارة إلى أن أستاذنا الكبير لم تتح له فرصة إنتاج لوحات أكثر بسبب انشغاله بالدراسات والأبحاث ومتابعة كل ما يصدر حول هذا التراث العربي الإسلامي الأصيل، ولولا ذلك لأمتعنا كل حين بروائع خطية تأسر الألباب وتسحر الأبصار، وتحاكي بروعتها وبهائها ما سطرته أنامل **سامي وحامد** وسواهما من عمالقة هذا الفن العظيم.



• منتصر الحمدان: تعلم خط الرقعة عند الأستاذ يوسف

هذا جانب يسير مما يجول في خاطري حول إنسان لم ولن نستطيع أن نرد له بعض ما قدم لهذا الفن وعشاقه. وإنني إذ ألبي نداء إخوتنا في مجلة فن الخط العربي **(حروف عربية)** لأدعو الله تعالى أن يجزيهم عنا خير الجزاء على جهودهم الكبيرة وعطائهم اللامحدود في إخراج هذه التحفة البديعة التي لا تضاهى.

> «إن يوسف ذنون حالة مميزة لشخصية فريدة تأسرك بطيب المعشر وحلاوة اللقاء، شخصية العالم المتواضع، والفنان الغيور على تراث أمته».
> منتصر الحمدان



• من الأعمال الحديثة للخطاط منتصر الحمدان

مدرسة شاملة



نصار منصور:

كان أول تعرفي إلى الأستاذ **يوسف ذنون** في أواسط الثمانينيات حينما كنت طالبا في الجامعة الأردنية ورئيسا لنادي الخط العربي فيها. كانت تلك الفترة من عمر (قسم الخط العربي) الذي كان حينها تحت إشراف صديقنا الخطاط **رائد عزت** زاخرة بالنشاطات والفعاليات المتواصلة فكانت تنظم لفن الخط الدورات التدريبية غير المنهجية والمحاضرات والندوات القيمة التي يقبل عليها الطلبة من مختلف التخصصات الأكاديمية في الجامعة بكل شغف واهتمام والتزام. كما كان قسم الخط في عمادة شؤون الطلبة آنذاك وطيد الصلة بمجتمع الخطاطين المحلي والعربي. فكان يفد إليه الكثير من أساتذة فن الخط من داخل الأردن وخارجه مما أتاح لنا الفرص المستمرة للالتقاء بالأساتذة والتعرف إليهم والإفادة من معرفتهم وخبراتهم وتوطيد الصلة بمجتمع الخطاطين المحلي والعربي.لقد كان أستاذنا الفاضل **يوسف** الذي ربطته بالقسم علاقة حميمية متميزة، يتوقع الكثير من المواهب التي رآها وتابعها وأنها ستثمر وتزدهر، وقد كان.

«انفرد الأستاذ يوسف بالكثير من المزايا التي جعلت منه علما من أعلام فن الخط في تاريخنا المعاصر».
نصار منصور

استمرت صلتي بالأستاذ **يوسف** حتى بعد تخرجي في الجامعة الأردنية، وكانت مع مرور السنين تقوى وتزدهر عبر الكثير من المناسبات التي يسرت لي أن أعرفه بشكل خاص، من بينها مصاحبتي له في السفر عدة مرات فكان من خيرة الصحبة علما وخبرة وذوقا وأخلاقا كريمة.

كما عرفت الأستاذ **يوسف** أثناء اشتغالي على أطروحة الإجازة في فن الخط العربي لنيل درجة الماجستير في الفنون الإسلامية، فكان لي مصدرا غنيا بالمعلومات التي افتقرت إليها الكتب والمخطوطات وكان لا يتوانى عن تزويدي بما يثري الدراسة في مختلف جوانبها، وقد تيسر لي أن أعرفه زميلا، فحينما كنت أعمل مع زميلي الدكتور **منور المهيد** على تأسيس معهد الفنون الإسلامية التقليدية في جامعة البلقاء في الأردن، قبل الأستاذ **يوسف** دعوتنا إليه لتدريس مادتي فن الخط العربي وأصول الزخرفة الإسلامية في المعهد الناشئ آنذاك، فكان انضمامه إلى أسرة المعهد كسبا كبيرا ليس للطلبة وحدهم فقط بل للزملاء العاملين في المعهد الذين وجدوا فيه مرجعا ثريا زاخرا بالخبرة والمعرفة أيضا. وكانت دروسه محط إقبال الطلاب لما له من أسلوب جميل وجذاب في تدريس الفنون، وبخاصة الخط والزخرفة. فهو علاوة على قدرته الواضحة على تبسيط الأمور إلى مرحلة يسهل هضمها وإدراكها فهو يعيدها إلى جذورها. لقد انفرد الأستاذ **يوسف** بالكثير من المزايا التي جعلت منه علما من أعلام فن الخط في تاريخنا المعاصر، وفي شهادات زملائي في هذا الملف الخاص به ما يؤكد ذلك. والمشتغل بالبحث الأكاديمي في مجال فن الخط يدرك حقيقة الفجوة التي تملأ الكثير من مؤلفات هذا الفن التي يتصدى لوضعها بعض المؤرخين الذين لم يمارسوا الخط ويتعرفوا أسراره. إن المطلع على أبحاث الأستاذ **يوسف** يدرك أن مثل هذه الفجوة غير موجودة، كما أن المشاهد لأعماله الفنية أو التعليمية يرى فيها تمكنه من الجانب الأكاديمي بوضوح فاللوحات الخطية عنده أشبه ما تكون (بأبحاث فنية بصرية).

أتمنى للأستاذ **يوسف** وافر الصحة ومستمر العطاء. كما أتمنى أن يتيسر لفن الخط العربي باحثون راسخون ينهجون على خطاه فهو مدرسة شاملة، ينهضون لسد الكثير من الفجوات في تاريخ هذا الفن الأصيل، كما يهذبون أقلامهم لالتقاط مواطن خافية من الجمال يزخر بها فن الخط ■



• لوحة بخط الثلث الجلي - نصار منصور

هكذا نكون..

تشكر هيئة تحرير مجلة **حروف عربية** الأستاذ الدكتور إدهام حنش على تفعيله الاتصال بالخطاطين في العراق، ومتابعته لنا في وصول شهاداتهم، كما تشكر له كذلك تقديمه لهذا الملف عن الأستاذ الكبير يوسف ذنون.

الشكر موصول كذلك لكل الخطاطين الذين خبروا الأستاذ على كريم استجابتهم في المشاركة بتكريمه الذي يستحقه، وقد بذلت هيئة التحرير جهدا كبيرا في المحافظة على علمية ودقة المعلومات الواردة في الشهادات وفي التقديم، وكذلك في مراعاة عدم التكرار في المعلومات بإعادة الصياغة ما لزم تبعا لمنهج المجلة.

الحرف العربي طباعيا

(نماذجه وتطوره) ٦

تاج السر حسن

بهذه الحلقة من السلسلة نختتم الجزء الأول الذي يُعرف برحلة الحرف العربي الطباعي في أوربا، وجهود الأوربيين في إنتاج طباعة بالعربية، أي في التاريخ الممتد إلى نهاية القرن التاسع عشر. ولا ندعي شمولية هذا التعريف لكل ما أنتجته أوربا من مطبوعات بالعربية، ولكنه تعريف يأتي بنظرة كلية إلى ما انتج من حروف طباعية وابراز أهم ما تم توثيقه من معلومات نادرة عنها.

> تأسست الطباعة العربية وتطورت في أوربا، ولذلك يفتقر الباحث العربي في موضوعها وتاريخها إلى المصادر النادرة التي بقيت رهن مكتباتها.

ألمانيا:

على الرغم من أن الطباعة بالحروف المتحركة بدأت في ألمانيا إلا أن استخدام الحروف العربية في هذا البلد جاء متأخراً كثيراً عما حدث في إيطاليا على سبيل المثال.

• شكل رقم (١): من كتاب النحو العربي.

ومع ذلك فقد عرفت الجامعات الألمانية اهتماماً بدراسة اللغات الشرقية منذ أواخر القرن الخامس عشر بداية بالعبرية، ومن ثم العربية التي خصّصت لها كراسي في هذه الجامعات منذ منتصف القرن السادس عشر. وقبل ذلك نجد أقدم أثرين تضمنا حروفاً عربية طبعا بطريقة القوالب المحفورة (Woodbloks). الأول عبارة عن أبجدية عربية ترجع إلى عام١٥٨٢. وقد قام بنشرها **جاكوب كريستمان** في **نيوستاد** Neustad. والثاني ترجمة لرسائل إنجيلية طبعها في هايدلبرج **جاكوب مبليوس** (Jacob Mylius) عام ١٥٣٣م. ونشرها العالم الألماني روتجيروس سباي (Rurgerus Spey).

ومن الاجتهادات المهمة والناجحة ما قام به الطبيب **بيتر كريستين** (Peter (Kirsten في براسل (Bresle) الذي اهتم بدراسة اللغة العربية كجزء من رغبته في دراسة مخطوطات **ابن سينا** الأصلية في الطب، وقد تكللت جهوده بالنجاح في تمويل تجهيز حروف عربية خاصة به أتت على شاكلة حروف الفرنسي روبرت **قرانجون** التي تعرفها في رحلة له إلى فرنسا.

تمكن **كريستين** في عام ١٦٠٨ من نشر كتاب في النحو العربي، أعقبه كتاب **ابن سينا** عام ١٦١٠. ونشر بعدها الجزأين الثاني والثالث من كتابه في النحو العربي ليبلغ جملة ما طبعه عشرة كتب ثنائية اللغة (عربي - لاتيني) ما بين الأعوام ١٦٠٨- ١٦١١م. شكل رقم (١)

• شكل رقم (٢): أسطر من أول قرآن طبع في البندقية بإيطاليا، ويلاحظ فيه أخطاء الضبط.

الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ

• شكل رقم (٣): سطر من ثاني قرآن يتم طبعه في أوربا في هامبورغ بألمانيا.

ولما كان الهدف من طباعة الكتب بالعربية هو تعرف العلوم العربية الإسلامية وإتقانها، نجد أن التركيز كان على كتب اللغة والدين - وقد توّج هذا المجهود بطباعة أول قرآن في عام ١٦٩٤م، في مدينة هامبورغ، وهو الثاني بعد قرآن البندقية **لباجانيني** ١٥٣٧ - ١٥٣٨م، شكل رقم (٢)، وشكل رقم (٣).

أشرف على هذه الطبعة من القرآن المستشرق البروتستانتي إبراهام هنكلمان ١٦٥٢ - ١٦٩٥م، وساعد في طبعه



Aus dem 6. Gedichte des Motenabbi

• شكل رقم (٤): شعر المتنبي.

اثنان من أشهر المطبعيين هما غوتر فرايد شولتز (Gottfried Shultze)، وبنجامين شيلر (Benjamin Schiller)، وتتميز هذه الطبعة عن قرآن البندقية بحروفها الكاملة الضبط حسب تقاليد نسخ القرآن، ويرجح أن تجهيز الحرف أتى مستفيداً من التجربة المتقدمة للهولنديين في ليدن، ومع ذلك لم تخلُ الطبعة من الأخطاء الكثيرة والنقص في بعض الآيات.

ومن أمثلة النشر العربي الأخرى في ألمانيا، ما قام به المستشرق **جوهان هنري كالنبرج** (Johann H.Callenberg ١٧٢٩ - ١٧٤٠)م، وبحروف خاصة به من طباعة لكتاب أسماه (المقالة) يشرح فيه طريقته في تعليم التحدث بالعربية. كذلك تمكن المستشرق **البرت شولتنز** (Albert Shultens) في فرانكفورت عام ١٧٣١م، من طباعة ثلاث من مقامات الحريري البصري، ونشر أيضاً سيرة صلاح الدين بعد طبعه في ليدن بهولندا.

مجهود آخر كلله نجاح **جوهان جاكوب ريسكس** (Johan Jacob Reiske) البروفيسور المتخصص في اللغة العربية بجامعة ليبزج في نشر مجموعة من المقالات عن شعر **طرفة ابن العبد والمتنبي**، شكل رقم (٤). أمثلة أخرى من الطباعة في ألمانيا: عام ١٧٨١م - كتاب في النحو - **ميخاليس ديفيد** (Michaelis Johan David)، الحرف المستخدم نسخي صغير، شكل رقم (٥)، والكتاب الأخير - معجم (عربي لاتيني) - **فريتاج جورج وليهام** (Freytaj, Georg wilheelm) عام ١٨٣٠م، ويعد ثالث أكبر معجم بعد معجمي **جيجس وغوليوس**، شكل رقم (٦). لقد تطور النشر العربي في ألمانيا وتحقق وجوده عبر سبعة عشر مركزاً في أهم المدن الألمانية حتى نهاية القرن التاسع عشر.

النمسا

ترجع أولى محاولات النشر العربي في هذا البلد إلى عام ١٥٥٤م، وإلى صاحبها **مايكل زيمرمان** (Michael Zimmermann)، حيث طبع في فينا تراتيم مزمورية من التوراة (Verses of Psalms). أما الأهم في المنشورات الأولى فقد كان من نصيب **فرانز مينسكي** (Franz Miniskis)، بعنوان كنوز اللغات (Linguarum)، الذي طبع بالتركية والعربية والفارسية بحروف يملكها المؤلف وعلى نفقته الخاصة. ونظراً لقرب الإمبراطورية التركية من النمسا فقد كان التركيز في الطباعة والنشر على اللغة التركية. ونجد مع ذلك أن النشر العربي لم يعرف مستوى معتبراً إلى أن جاء عهد البارون **جوزيف فون همر** ١٧٧٤ - ١٨٥٦م، وإنشاء مؤسسة ستاتسد ركري، وتمكن في عام ١٨٣٨م، من طبع كتاب **الغزالي** (أيها الولد) بحروف جهزت على نموذج خط التعليق، شكل رقم (٧).

مثال آخر للطباعة العربية في النمسا شكل (٨)، ما اضطلع به **زيشوكي هيرمانو** (Hermanno) من معهد دراسات اللغة العربية في أكاديمية جوفنتيوتس (Juventutis)، عام ١٨٦٩م ونشر كتاباً في النحو تم تنضيده في ليبزج، وقد أصبح هذا الحرف فيما بعد وإلى عام ١٩٢٩م، نموذج الطباعة في مطبعة جامعة شيكاغو.

آخر الأمثلة من النمسا حرف نسخي جميل طبع به بدءاً من عام ١٨٩٤م، وقد وصفه **همر** بأنه مرن ويشمل عدداً كبيراً من الحروف التي تقربه من خط النسخ اليدوي، شكل رقم (٩).

أما أوائل الطباعة في أوربا الشرقية فقد ظهرت في دير سناجوف (Snagov) في بوخارست، ومن أمثلة هذه الطباعة الباكرة كتاب القداسات الثلاثة (عربي /أغريقي)، والذي تم طبعه عام ١٧٠١م، ويلاحظ على الحرف أناقته العالية حيث يرجح أن علاقة ما ربطت بين هذه التجربة الطباعية ومطبعة **عبد الله زاخر** الشرقية، شكل رقم (١٠). تبعت بلدان أخرى حذو بوخارست في محاولات الطباعة بالعربية عبر روسيا وفي البلقان في البلاد التي انتهجت الإسلام بعد الاحتلال التركي لها مثل البوسنة وبعض الأجزاء من بلغاريا ■

المصادر
(١) ميروسلاف قرك، Typographia Arabica.
(٢) Huda S.Abifares, Arabic Typography, (A Comprehensive Source Book), Saqi Books, 2001.
(٣) د. وحيد قدورة وآخرون، دراسات في الصور الخطية العربي الأوربي: الكتب العربية الأولى المطبوعة بأوربا، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية، زغوان، ومكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٩٩٣.

استنصلحا ظاهرا أنكم ارسلنا

• شكل رقم (٥): سطر من كتاب النحو لميخاليس.

زَرًا F. i. n. a. زرى، زربان، زراية، ة

• شكل رقم (٦): سطر من معجم فريتاج.

الصلوة على نبيه محمد و آله اجمعين * اعلم

• شكل رقم (٧): سطر من كتاب الغزالي.

وَعَدَانِ تَقْرَءَانِ تَسْأَلَانِ تُوَمِّلَا

• شكل رقم (٨).

نلرده هر اخشام غوغا بانيردى وار، آنده بو كوا

• شكل رقم (٩).

قد طبع الان حديثا في اللغة اليونانيه والعربيه ٥

• شكل رقم (١٠): سطر من مطبوع القداسات الثلاثة.



تقييم الزخرفة في معرض أونجاي

بقلم أ. د. فاطمة جيجك درمان *

سنحت لي الفرصة لحضور المعرض خلال الأيام الأخيرة من إقامتي في دبي، وبالتحديد في ١٤ يناير ٢٠٠٤م، فشاهدت أعمالا زخرفية على قدر من الروعة يمكنها من منافسة فن الخط، وكما أن المعرض، تضمن أعمالا خطية دون زخارف فقد شاهدنا أعمالا زخرفية دون أن يصاحبها الخط. وزاد من سروري أن الذين قاموا بزخرفة لوحات المعرض أربعة منهم من تلاميذي ومعهم تلاميذهم أيضا، فشعرت بسعادة عارمة، وأنا أشاهد نتاجاتهم بفخر.

ترجع أصول العناصر الزخرفية إلى الطبيعة، ولكنها لم تنسخ منها كما هي.

إذا استرجعنا تاريخ الزخرفة فسنجد أن الأتراك قد مارسوها قبل ممارستهم لفن الخط بوقت طويل، ولكن بعد دخولهم الإسلام تسارع تطور الزخرفة مع تسارع ازدهار فن الخط جنباً إلى جنب.

تتألف عناصر الزخرفية من أشكال كائنة في الطبيعة، ثم تمت (أسلبتها)، وحتى يومنا هذا احتفظت الزخارف بهذه الميزة بكل دقة، وهنا تكمن أهمية كبيرة، حيث ترجع أصول العناصر الزخرفية إلى الطبيعة، ولكنها لم تنسخ منها كما هي، وعلى الرغم من أن الأتراك قد توخّوا البساطة في الأعمال الزخرفية الجميلة إلا أنهم حرصوا على أن يكونوا مبدعين حتى عندما يبدون اهتماماً ملحوظاً بالحفاظ على قيمة قياسات العناصر في طبيعتها قبل أن تحوّر، وإن استيحاء المزخرف عناصره مما هو كائن في الطبيعة والوصول إلى أشكال ترتبط في خطوطها الرئيسة بجذورها، قد أدى إلى تنوع الطرز وفق لمسات كل مزخرف، وهذا أهم مظهر من مظاهر الثراء في هذا الفن.

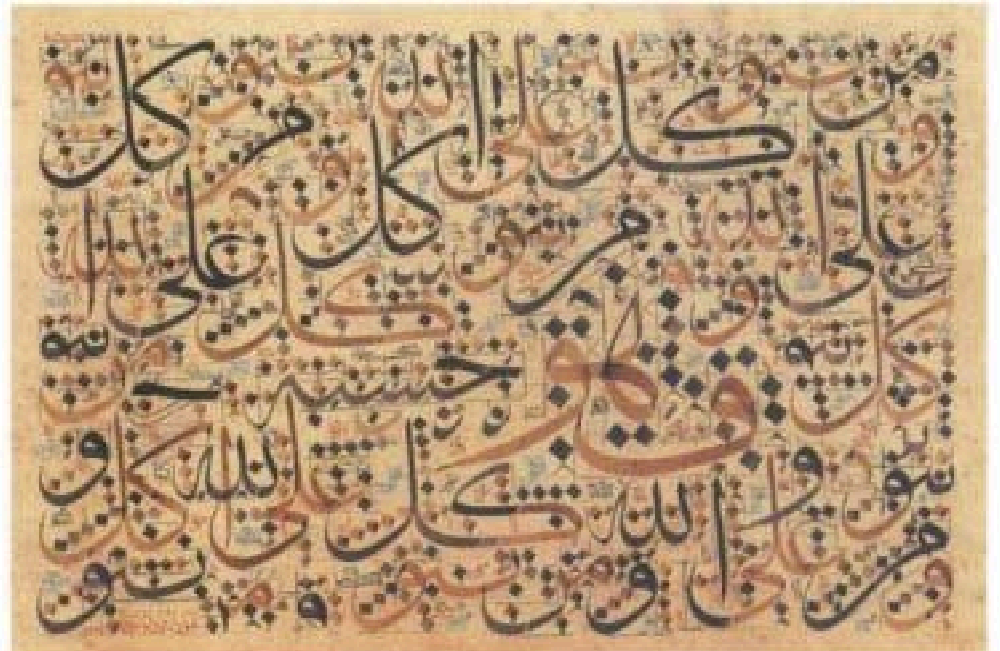


* د. فاطمة جيجك درمان

عبر تاريخ فن الزخرفة نجد أن ألوان الزخارف التركية قد تم انتقاؤها بعناية في مختلف المراحل الزمنية، فاللون الأزرق الذي كان الغالب في جميع هذه المراحل إلى جانب الذهبي وهو اللون الأساسي، فإن اختلاف درجات الأزرق عبر العصور قد أعان على تحديد تاريخ الأعمال غير المؤرخة، ومثال ذلك اختلاف درجة اللون الأزرق المستخدم في عصر **فاتح** عما كان مستخدماً في عصر **هراة**.

وإلى جانب الأزرق استخدمت ألوان أخرى ولو بقدر قليل، مثل **الليموني، والنارنجي، والأخضر**، وكما أشرنا فإن المزخرف التركي كان يتوخى البساطة في تصاميمه، فيجعل الناظر حيال مشاهد مستقرة ومتوازنة، بخلاف ما كان متبعاً في الأقطار الأخرى، وبقدر نفورهم من التصاميم المعقدة والخشنة، كان اهتمامهم ينصب على تحقيق التوازن بين الكثافة والفراغ.

بعد هذه المقدمة فإني سأعتمد على كتالوج المعرض الذي جاء



* شكل رقم (١) اللوحة رقم (٢٤)

* عضو الهيئة التدريسية بكلية الفنون الجميلة - جامعة مرمرة - تركيا
ترجمة المقال من التركية: د. صلاح الدين شيرزاد

باسم **أوزجاي**، في تناولي الزخارف الموجودة في الأعمال المعروضة وتقييمها. فالأرقام التي أشير إليها هي أرقام اللوحات في الكتالوج وليس ترقيم المعرض.

ففي اللوحات المرقمة (٢٤، ٢٥، ٢٦)، نجد أعمالاً خطية فنية رائعة من حيث التمازج اللوني الثري، بحيث لم تعد الحاجة قائمة إلى وضع زخارف لها، شكل رقم (١). كذلك على الصفحات (٨٤، ٨٥،٨٦، ٨٧)، من الكتالوج التي لم أجد لها ترقيماً، نجد أعمالاً زخرفية رائعة، هي الأخرى لا تحتاج إلى الخط، وهذا دليل على أن الزخرفة فن قائم بذاته لا يشترط اقترانه بفنون أخرى كالخط والمنمنمات، وإلى هذا أشرت في مقدمة هذا التحليل، شكل رقم (٢)، وشكل رقم (٣).

عندما تقترن الزخرفة بالخط فينبغي مراعاة الأمور التالية:

١- يقوم الخطاط بإنجاز الخطوط في اللوحة أولاً ثم يعهد بها إلى المزخرف لوضع الزخارف والألوان المناسبة فيما بعد، وقبل أن يشرع المزخرف في التصميم يضع في حسبانه عدة أمور منها: معنى النص، ونوعه ، والحجم، وحتى لون الورق، وكذلك يحسب المسافة التي ستفصل بين اللوحة والمشاهد، بهدف جعل الزخرفة مرئية من تلك المسافة. ولنوع الخط دور في تصميم الزخرفة، فإذا كانت الكتابة من النوع الذي لا تستخدم فيها الحركات والإشارات كالتعليق مثلاً، فتكون الزخرفة ذات تفاصيل أكثر، وأما إذا كانت بخط الثلث ذي الحركات والإشارات، فيعمد المزخرف إلى جعل زخرفته أكثر بساطة، وينبغي أن لا يغيب عن البال ظهور الخط والزخرفة بالدرجة نفسها من مسافة ما، ولا سيما أن عنصري الخط والزخرفة يشكلان فناً واحداً. وفي رأيي أنه كان ينبغي أن تكون زخارف اللوحات (٢، ٤٢، ٤٥، ٥٦، ٥٨)، ذات تفاصيل كبيرة، شكل رقم (٤). على المزخرف أن يتحاشى الزخارف التي تغطي الخط وتضغط عليه، لأن وظيفة الزخرفة إضافة جمالية إلى جمالية الخط، وإظهاره، وقد تحقق هذا في أعمال المعرض.

٢- أول ما يقوم به المزخرف قص الورقة والبدء بلصق المساحات المخطوطة على الورق المقوى، ولطريقة قص الورق حول الكتابة أهمية كبيرة، إذ ينبغي أن لا يكون القص قريباً من الكتابة، ولا بعيداً عنها فتبتعد الزخرفة آنذاك عن الكتابة بشكل غير مريح، ويمكن تحديد المسافة المناسبة وفق ما تعلمناه عن أساتذتنا، وهو كالتالي: ترك مسافة بين الكتابة والزخرفة بمقدار نقطة ونصف أو نقطتين من نقط الكتابة.

وقد لاحظنا الالتزام بهذا القياس بدقة في أعمال المعرض وتم تحديد قياس الإطار الخارجي والداخلي نسبة إلى الكتابة أيضاً.

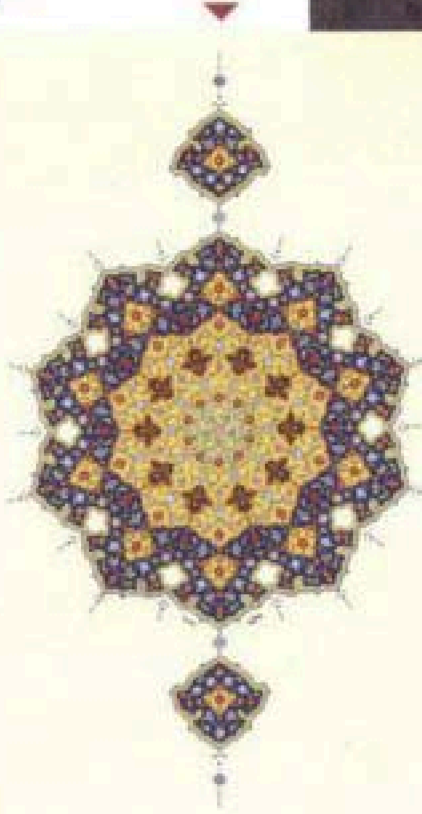


• شكل رقم (٤) اللوحة رقم (٢)، زخرفة فاطمة أوزجاي



• شكل رقم (٢) اللوحة صفحة (٨٤) تذهيب بأسلوب هلكاري زخرفة فاطمة أوزجاي

فالإطار الذي يقترب كثيراً من الكتابة يجعلها تبدو محملة بالأثقال. وقد نشاهد اللوحات (٣٢، ٣٥، ٤٠، ٤٣)، من بين اللوحات التي نفذت فيها الأطر الداخلية بشكل جميل من حيث التصميم والألوان. وفي هذا الصدد لا تفوتني الإشارة إلى اللوحة ٤١ أيضاً، شكل رقم (٥).



• شكل رقم (٣) اللوحة صفحة (٨٦) زخرفة صدر المصحف زخرفة فاطمة أوزجاي

زخرفة الهلكاري

هي إحدى أشكال الزخارف التقليدية الجذابة تنفذ بالذهب المحلول بطريقة التظليل، وهي من الزخارف المحببة في كل العصور، فأنتج المزخرفون أجمل النماذج. ومن أهم مميزاتها قوة ضربات الفرشة والتمكن من انحناءاتها، ومن أكثر تطبيقاتها ما نجدها على أرضيات ملونة حول الكتابات الجلية. أما إذا كانت أرضيتها فاتحة اللون فتستخدم عندئذ الهلكاري المحزّر، أو الملون.

إن عملية التظليل في زخرفة الهلكاري تتطلب مهارة فائقة، ويمكن تحسسها في اللوحات ٥، ١٢، ٢٨، ٣٢، ٤٣، ٤٨. وكذلك الموجودة على الصفحتين ٨٤، ٨٥. وهي أمثلة من نماذج كثيرة أعجبتني، ولكنني أعد اللوحة ٣٠، فيها أضعف عمل هلكاري في رأيي. عندما يكون على المذهّب أن ينجز عمله في وقت قصير، فإنه يلجأ إلى طريقة (نثر الذهب) التي تنجز بسرعة كبيرة، ويكون بأن يطلى السطح بماء يذاب فيه الجيلاتين، ثم ينثر الذهب المحلول عليه، وأجمل نموذج لهذه الطريقة نراها في اللوحة ٣٣، حيث زين إطارها الخارجي بها، شكل رقم (٦).

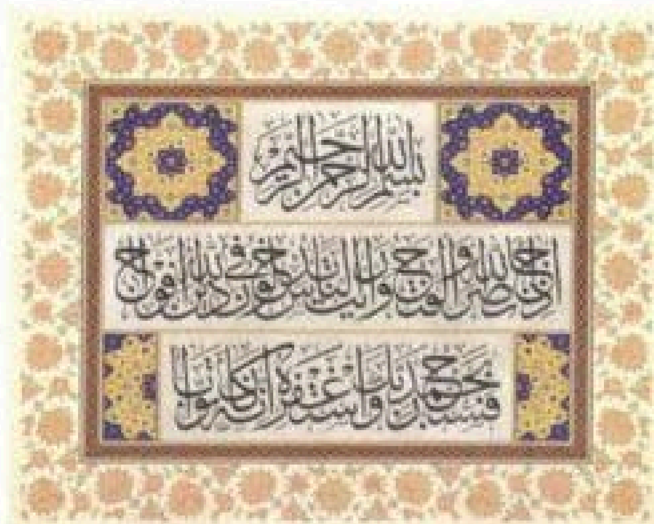
والأسلوب الذي يسمى (Zer - Ender - Zer)، يعد من أساليب التذهيب التقليدية الصعبة، وهو يعتمد على اختلاف درجات اللون وتباين لمعانه وبالرغم من أن هذا الأسلوب لا يتحقق إلا ببذل جهد كبير ولكن هذا الجهد لا يمكن ملاحظته في النتائج!.

إن اللوحات (٢٢، ٤٦)، أمثلة على الأعمال الجميلة المنجزة بهذا الأسلوب، ونجد في المعرض أعمالاً موفقة، سواء أكان الذهب مشغولاً في الأرضية أم في الأشكال، أم حتى في التحرير، انظر شكل رقم (٥).

الزخرفة فن قائم بذاته لا يشترط اقترانه بفنون أخرى كالخط والمنمنمات.

ومن الأساليب الزخرفية التي وجدناها في المعرض المسمى بالتحرير المزدوج الذي يسميه الأتراك (Havali)، ويتميز هذا الشكل برسم حواف الأشكال على نحو مزدوج ثم يملأ الداخل، وهذا الرسم يعتمد على يد متمكنة، ومسيطرة على الفرشة، وعين ثاقبة، ولذلك يمكن تمييز اليد الخبيرة بسهولة في هذا النمط من العمل. واللوحات (٣، ٤٤)، أمثلة جميلة على هذا الأسلوب، وتعد اللوحة التي في الصفحة (٨٤)، المنفذة بالتحرير المزدوج والهلكاري ذي التظليل المخطط إحدى الأعمال المتميزة، وكان أستاذنا الدكتور **سهيل أنور** كثيراً ما يقول خلال دروسه: «الوصول إلى التكامل في الزخرفة باستخدام أقل عدد من الألوان يعد من الأمور الأساسية»، وحين شاهدت هاتين اللوحتين تذكرت مقولة أستاذي.

أثناء استعراض الأعمال استوقفتني اللوحتان (٨٤، ٨٥)، طويلاً، فمن شدة تأثري بهاتين اللوحتين المزخرفتين بالهلكاري سارعت عند عودتي إلى اسطنبول إلى الاتصال **بفاطمة أوزجاي** مهنئة إياها وقائلة لها: لو أن الأستاذ **محسن دمير أوناط** كان حياً لتوهّم أنهما من عمله ولكن نسي وضع توقيعه عليهما. ومثلما يمكن استخدام الأبرو مع الخط يمكن استخدامه مع الزخرفة أيضاً. ففي اللوحة (٣٣)، نجد أن الأبرو المحيط باللوحة من طراز (الخطيب) قد انسجمت ألوانه الزخرفية فأضفى على اللوحة جمالاً وبهاءً. شكل رقم (٧). ومن المعروف أن الخطاط يوقع في مكان ظاهر على عكس توقيع المزخرف الذي لا يكون ظاهراً، حتى أنه بالكاد يمكن العثور عليه، وهذه علامة صحيحة في اللوحة المزخرفة.

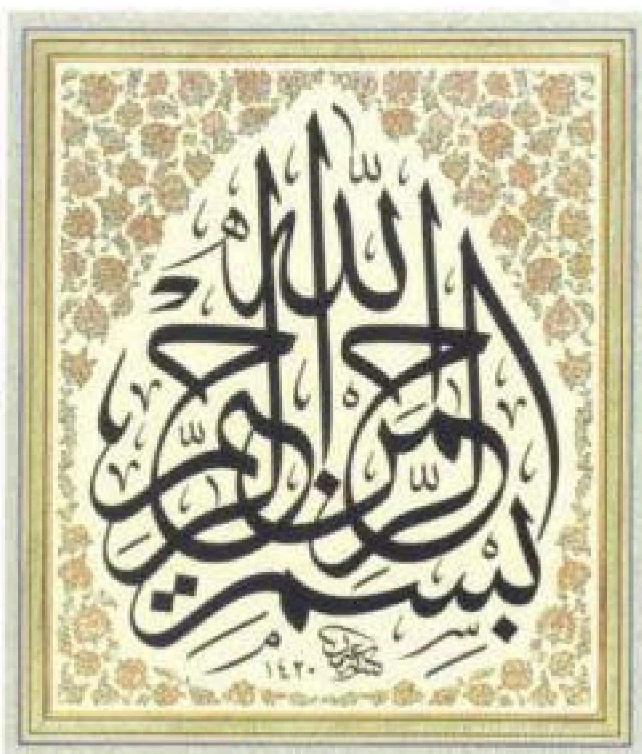


• شكل رقم (٥) اللوحة رقم (٣٦)، زخرفة فاطمة أوزجاي.

وقد أولى المزخرفون هذه الناحية اهتماماً على مرّ التاريخ، بل كانوا يفضلون عدم وضع تواقيعهم في كثير من الأحيان، فوفق هذا المفهوم يعدّ تجاهل المزخرف نفسه نوعاً من الشكر لله على أن مكنه من القيام بهذا العمل، وليس من السهل طرح هذا المفهوم في الوقت الحاضر، وأكثر لوحة أعجبتني في هذا المجال المرقمة (٢٨).

وتستخدم الشراشيب كعناصر مساعدة، وإن موقعها في نهاية الأشكال الزخرفية يعد معبراً من المساحة الزخرفية إلى الفضاء، مما يعين على بلوغ نهاية الزخرفة بشكل متدرج مريح. إن التسمية التركية لها (تغ - Tig)، مأخوذة من التسمية الفارسية (تيغ - Tig) والتي تعني السيف، وغالباً ما ترسم هذه العناصر التي تتدرج في الصغر في اتجاه النهاية بأسلوب التحرير المزدوج، وإذا تفحصنا الزخارف القديمة نجد أن الشراشيب تتألف من موتيفات الزخارف نفسها، كما أن اللون المستخدم في الغالب كان الأزرق، وفي المعرض نشاهد أن سماكات الشراشيب وأطوالها جاءت متجانسة مع الزخرفة، ولا يمكن إخفاء إعجابي بتلك التي نجدها في اللوحات (٢، ٧، ٣٩، ٤٥). انظر شكل رقم (٨).

وأقول ختاماً لو أن الأساتذة **سهيل أنور** ١٨٩٨ - ١٩٨٦م، **ومحسن دميرأوناك** ١٩٠٧ - ١٩٨٣م، **ورقت كونت** ١٩٠٣ - ١٩٨٦م، قد قُدر لهم مشاهدة هذا المعرض بعد هذه السنوات من وفاتهم لاطمأنوا إلى أن هذا الفن الذي ناضلوا كثيراً من أجله قد بلغ المكانة التي يستحقها. وبمناسبة هذا المعرض أذكر أساتذتي هؤلاء بخير، وأدعو الله أن يسكنهم الجنة.



• شكل رقم (٦) اللوحة رقم (٣٣)، زخرفة نسليهان جاقماق

إن أي عمل خطي مهما كان جميلاً، سيتأثر سلباً إن لم يقم بزخرفته مزخرف بارع وواع لما يفعل. بالرغم من احتفاظ اللوحة بقيمتها. كذلك لو أن زخرفة جميلة وبديعة زينت خطاً غير جيد، فستكون النتيجة مؤسفة. وهكذا فإن أية زخرفة جيدة إذا رافقت خطاً جيداً فسيكون العمل ناجحاً بالنتيجة. وهذا ما شاهدته في أعمال المعرض. وإني أقدم تهنئتي للمزخرفين الأساتذة **فاطمة أوزجاي، وأيتن ترياكي، ونجاتي سنجاق توتان، ومصطفى جلبي**. وأبارك لهم آملاً أن نرى لهم أعمالاً رائعة أخرى. وهذه الأمنية أوجهها أيضاً إلى كل من: **أردا نسليهان جاقماق، وأورهان داغلي، وغمزة بوغانجي، وكلسم كوكرجين، وأسوده أوران، وحسن تركمان**، وأدعوا الله أن يسلم أيديهم ويجلي نواظرهم وقلوبهم. كما أهنئ الفنان **محمود شمس الدين عبو** الذي أخرج كاتالوج المعرض بهذا الشكل الرائع، وأبارك له من كل قلبي ■



• شكل رقم (٧) اللوحة رقم (٣٣)، زخرفة فاطمة أوزجاي.



• شكل رقم (٨) اللوحة رقم (٤٦). زخرفة نجاتي سنجق طوطان

مؤتمر الأسكندرية
نحو خط عربي أفضل

أ. يوسف أبو صبيح *

في الإسكندرية ذات التاريخ الحضاري العريق، وفي ظلال مكتبتها الشهيرة أقيم مؤتمر ذو أهمية خاصة شعاره «نحو خط عربي أفضل». وذلك في الأيام من ٢٠- ٢٢ يوليو ٢٠٠٤م. وتشير مجمل البحوث والدراسات والأوراق التي قدمت في هذا المؤتمر إلى دورانها في فلك واحد كبير هو كيفية الوصول إلى تحسين الخط والكتابة والارتقاء بهما إلى مستوى عال يليق بأهمية اللغة العربية ودورها في تأصيل الهوية الثقافية للأمة وانفلاتها من إسار العولمة وتحدياتها التي يحاول المنادون بها طمس هذه الهوية وإلغاء دور الأمة وإسهاماتها في بناء الحضارة الإنسانية المعاصرة.



• جانب من جلسات المؤتمر

فلقد حاولت هذه النخبة من المشاركين في المؤتمر أن تجلو الصدأ الذي تراكم على مأثور الكتابة العربية وفنية الخط بفعل سياسات خاطئة ومناهج تربوية لم ترق إلى مستوى الطموحات التي تليق بهذا الفن الجميل، ولذلك حاول هؤلاء المشاركون - على وجه العموم - البحث عن المشكلة وبيان واقعها وتحديد أسبابها واقتراح الحلول المناسبة التي يمكن بها استعادة هذا الفن لبريقه المعتاد ومجده التليد الذي كان له عبر التاريخ.

قدمت في هذا المؤتمر سبعة وثلاثون عنواناً لدراسات وبحوث تهدف جميعها إلى استعادة الخط لدوره الريادي في عالم الفن، والارتقاء به إلى آفاق جديدة مصطنعاً ما توصل إليه العقل الإنساني من وسائل جديدة دون أن يكون بينهما صراع وتنافر بل مصالحة وتلاق واستثمار لهذه المعطيات الحديثة على الرغم من الحلكة الشديدة التي رانت على هذه الأمة وما يراد لها من تذويب لهويتها ووأد لطموحاتها المشروعة في المشاركة الحضارية الفاعلة. ولكن من المعروف أنه عندما يشتد الظلام تزداد النجوم لمعاناً، فخلال هذا الضعف المشهود تظهر بين الفينة والأخرى أنوار باهتة في سمائها لا تلبث أن تتألق وتسطع لتنير دروب الغيورين على مجدها، وتكون مؤشراً إلى انبلاج الصباح وإشراقة الشمس من جديد.. وكان من أهم هذه الأنوار - بلا شك- فن الخط العربي المتشبث بجذوره الحضارية الأصلية، والمنبعث من أعماق قيم الأمة وهويتها المتفردة، والمتصل - مع ذلك - بالتطورات الحضارية والتقنية الحديثة. وبإلقاء نظرة متفحصة على ما ألقي في هذا المؤتمر المهم من دراسات وبحوث يمكن وضعها جميعاً في إطار مجال واحد هو مجال التعلم والتعليم تحقيقاً لشعار المؤتمر آنف الذكر، وتندرج في أفق هذا المجال أربعة محاور رئيسية هي:

١- محور الخط: وتغطيه أغلب أوراق المؤتمر وبحوثه التي تصل إلى خمسة وعشرين عنواناً قد يتداخل بعضها في محاور أخرى، ولكنها تظل تصب في نهر الخط العريض، ويتفرع عن هذا المحور ثلاثة فروع هي:

أ- **فن الخط**: ويتمحور حول فنية الخط وتجويده تذوقاً واصطلاحاً وخصائص وتمييزاً بين مفهوم الخط ومفهوم الكتابة، وأبرز ما قدم في هذا الموضوع الفني الخالص كان ما كتبه كل من أ. **عبد الرزاق النعماني الفقي** وأ.**محمد أحمد الجوهري** وأ. **محمد حسب الله**، وأ.**هدى عبد العال شرف**.

ب- **تعلم الخط وتعليمه**: وتلتقي فيه مجموعة كبيرة مما قدم في المؤتمر لأنه يحقق شعاره المكتوب وينفذ أهدافه التي سعى إلى تحقيقها، فقد دار بعضها حول تدريس الخط في الجامعات ووضع مفردات لمنهجه ومقرراته لطلبة هذه الجامعات، ومن ذلك ما كتبه أ. **إبراهيم الدسوقي عبد الغفار**، والأستاذ **حسن الباتع عبد العاطي**، ود. **رجب أحمد الكلزة** ود. **صفاء حمد**



• الأستاذ خالد الجلاف ممثل حروف عربية يخاطب المؤتمر

محمود إبراهيم ود. **عبد الفتاح غنيمة**، والأستاذ **مجاهد توفيق الجندي** ود. **محمد صقر**، والأستاذ **محمد رطيل**، والأستاذ **منير الشعراني**.

وتناولت بعض الدراسات قضايا الخط في المدارس والمعاهد الفنية المتخصصة، ومن مثل ذلك ما قدمه كل من الأساتذة: **أحمد البشلي**، و**أحمد سلطان**، و**عصام الدين عبد الواحد**، و**فكري سليمان**، و**محمد المغربي**. ويتبع هذا المحور أيضاً ماتعلق بشؤون معلمي الخط ومتعلميه وما يستشعرونه من مشاكل في هذا السبيل التعليمي وممن كتب في هذا الموضوع إضافة إلى بعض من ذكروا سابقاً كل من الأساتذة **سامي منير عامر**، و**عبد العزيز محمد شرف الدين**، و**فوزي تاج الدين**، و**ياسر موسى بطيخ**، وغيرهم.

ج- الخط والتقنيات المعاصرة: ولا شك في أن أهم هذه التقنيات هوالحاسوب هذ التقنية الحديثة التي أثرت تأثيراً كبيراً في مهنة الخط والخطاطين، وأحدثت انقلاباً في التعامل مع هذا الفن، فانصرف عنه بعضهم، ونهض بأعباء الدفاع عنه آخرون، وحاول التوفيق بين الأداء اليدوي المعهود والأداء الآلي الحاسوبي الحديث فريق ممن وعى أهمية التحديث والتطوير وضرورة استمرار جماليات فن الخط، وأبرز هؤلاء د. **أحمد الدجوي**، ود. **محمد جبر سلوقة**، والأستاذ **حسن الباتع عبد العاطي**.

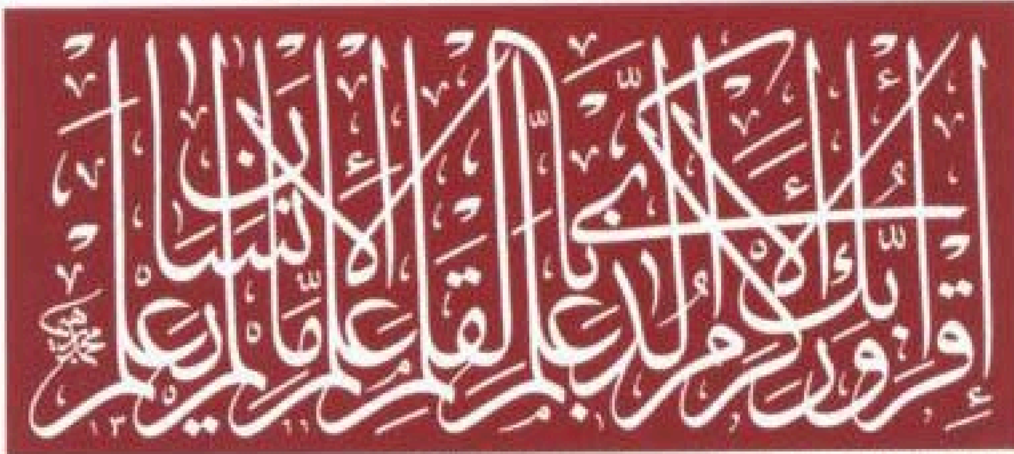
٢- محور الكتابة: وتتعلق أوراق هذا المحور بالكتابة على وجه العموم أي محاولة تحسين الكتابة لدى المتعلمين، ولدى المعلمين أيضاً، وليس المقصود بها هنا إنتاج خطاطين يجيدون فن الخط وإنما رفع مستوى الأداء الكتابي بالحرف العربي، وأهم هذه الأوراق المتخصصة في هذا المحور ما قدمه الأساتذة **أحمد البشلي**، و**سماح صبري**، والخطاط الباحث **يوسف ذنون**، ود. **صلاح شيرزاد**، ود. **عزت جمال الدين**، و**فوزي تاج الدين**، و**فوزي فتح الله**، ود. **محمد جمال صقر**، و**محمد عبد الدايم**، ود. **مصطفى رجب**، ود. **هدى مصطفى محمد**، و**ياسر بطيخ**.

٣- محور اللغة والخط والهوية الثقافية، وتبرز في هذا المحور بعض الأوراق التي أثرته، وأماطت اللثام عن دور الخط واللغة في تأصيل هوية الأمة الثقافية وربطها بتاريخها واعتبار ذلك من أشد مقومات الأمة وأحد الأذرع الأمنية في تصديها لمشاريع العولمة، وممن تعرض لهذا الموضوع **السيد القفطانجي**، و**سماح صبري**، و**علي عمر الرميصي الإبراهيمي**، والفنان **علي البداح**، و**محمد البغدادي**.

٤- محور الأخطاء اللغوية: رصد بعض المشاركين في هذا المحور الأخطاء اللغوية التي يكثر وقوع من يتعاطى الكتابة فيها سواء على مستوى العامة أم على مستوى الخطاطين، وحاولوا في هذه البحوث وضع الأخطاء بين أيدي المعنيين لتلافيها وتنظيف ما يكتبون أو يخطون مما يعكّر الذوق اللغوي العام ويشيع فيها نوعاً من الازورار، وقدراً من الأسى في نفوس أصحاب اللغة من متخصصين ومهتمين، ومن أبرز ما كتب في هذا المحور بحوث كل من **فوزي فتح الله**، والباحثين د. **محمد أحمد العمروسي** وشريكه في البحث د. **محمد يحيى عقل**، ثم ما كتبه د. **مصطفى رجب**.

يلاحظ على مجمل البحوث والدراسات التي قدمت في هذا المؤتمر أنها تتناول موضوع الخط والكتابة بالجدية المطلوبة التي تجمع بين علمية المنهج وقيمية الموضوع انطلاقاً من مبدأ الدفاع عن أبرز مكونات الأمة وتعضيدها في وجه موجات العولمة العاتية حفاظاً على هويتها وأمنها القومي، وهو مما يحسب لهذا المؤتمر الذي احتضنته مصر الكنانة، ولعل انعقاده في الإسكندرية، وفي ظلال مكتبتها بالذات إشارة إلى الدور الحضاري البارز الذي ينهض بأعبائه الشعب العربي في مصر، وما تشير إليه مدينة الإسكندرية من انفتاح واقعي مقبول على حضارات الآخرين عبر الحوار وتبادل الأفكار بعيداً عن التصادم والعدوانية.

كما يلاحظ أن غالبية من شاركوا في هذا المؤتمر المهم هم من الأكاديميين والتربويين والخطاطين في مصر إضافة إلى قلة تدعو إلى الدهشة من بلدان عربية أخرى تمثل فيها الجانب الفني من هؤلاء د. **صلاح الدين شيرزاد**، و**علي البداح**، و**منير الشعراني**، و**يوسف ذنون**. ومن الجدير بالذكر هنا أن **مجلة حروف عربية** قد أوفدت السيد **خالد الجلاف** عضو هيئة التحرير في المجلة مندوباً عنها لحضور فعاليات هذا المؤتمر ورصد ما تحقق فيه من أهداف في سياق خدمة فن الخط العربي التي تلتقي مع أهداف المجلة، وقد لوحظ أيضاً تركيز معظم البحوث على تحقيق هدف تحسين الكتابة عند جمهرة المتعلمين سواء على المستوى الجامعي أم مستوى المعاهد المتخصصة أم مستوى مدارس التعليم العام وهو الهدف الذي يتضمنه شعار المؤتمر نحو خط عربي أفضل ■



• من أعمال الخطاط محمد إبراهيم مؤسس مدرسة تحسين الخطوط بالإسكندرية



• جانب من حضور إحدى الجلسات في المؤتمر

من أوراق المؤتمر



• الافتتاح الرسمي للمعرض المصاحب للمؤتمر

متابعة/ فوزي تاج الدين محمد- الإسكندرية:

فن الخط العربي فن تميزت به الحضارات الإسلامية، وقد أصبح هذا الفن يمثل هوية ثقافية مميزة للعرب وللمسلمين، وذلك لارتباطه الوثيق باللغة والدين. وقضية الخط العربي قضية حائرة ومحيرة، الأمر الذي دفع مركز الخطوط بمكتبة الإسكندرية إلى عقد مؤتمر دولي بعنوان «نحو خط عربي أفضل» شارك فيه سبعة وثلاثون باحثاً يمثلون مصر، والإمارات، وسوريا، والعراق، والكويت، وممثل عن مجلة **حروف عربية**، والمنظمة الإسلامية.

أتاح المؤتمر الفرصة لكل عاشق ومحب للخط العربي من الباحثين والفنانين ومديرية التربية والتعليم بالإسكندرية وجمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية، والجمعية المصرية العامة للخط العربي، وجاءت توصيات المؤتمر مؤكدة لآمال الباحثين في إنقاذ الخط العربي مما يعانيه والعودة به إلى سيرته الأولى، وذلك من خلال الاهتمام بجماعات تحسين الخطوط وإقامة الورش والمعارض والمسابقات ونشر الثقافة الخطية وإحياء تراث الخط العربي.

تناولت بعض الأبحاث قضية الخط العربي باعتباره هوية وأمناً قومياً واعتباره ملكاً للجميع مما يقتضي استخدامه استخداماً أميناً يصونه ويحفظ له صورته التي توارثناها، ومن ثم ضرورة وجود رعاية للخط العربي والذي يمثل الركيزة الأساسية لها والوعاء الذي يحتويها، مع الحذر الواجب من تلك الأصوات التي تنادي اليوم بتطوير اللغة العربية وتعديل وسائلها من خط وكتابة، ولعل في ذلك ما يشير إلى قيمة التدخل التشريعي لحماية اللغة العربية والخط العربي لأنه يحقق أكبر قدر من الاطمئنان في نفوس مستعملي اللغة.

وانطلاقاً من أهمية التركيز على الجانب التطبيقي فقد تبنى المؤتمر بعض البرامج والمشروعات ومنها: مشروع تنمية قدرات المعلم



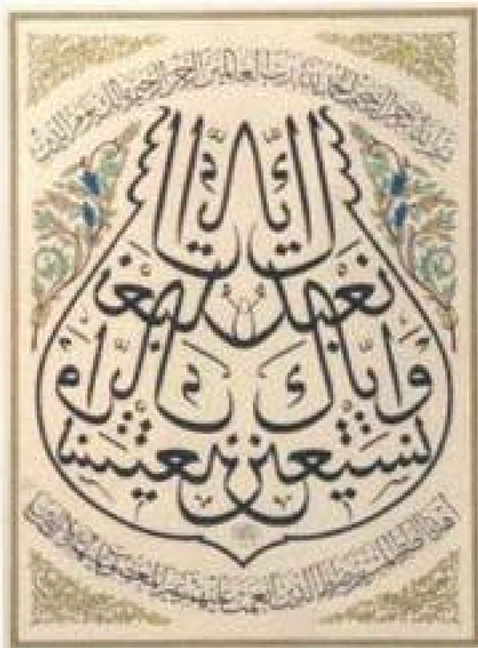
• لوحة بالثلث الجلي - الخطاط عمران

في تجويد الخط العربي وتحسين الكتابة بمرحلة التعليم الأساسي، الذي قدمته جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية، ويضم جانباً نظرياً هدفه تعميق الولاء للخط العربي ومن ثم ربط التراث بالحاضر والدفاع عنه حماية للمستقبل من خلال دراسة تاريخ الخط العربي وتطوره ومدارسه، وجانباً عملياً لتدريس قواعد وقضايا الخط واستخدام التقنيات الحديثة في تدريسه.

وكذلك مشروعات حول إعداد مقررات دراسية لطلاب الجامعات للأستاذ **إبراهيم الدسوقي** مدرس الخط بكلية التربية بجامعة الإسكندرية، ومشروع استخدام الوسائط التعليمية لطلاب شعب التعليم الابتدائي بكليات التربية الذي أعده **حسن عبد العاطي** بتربية الإسكندرية.

هذا إلى جانب مشروعات تناولت وسائل تحسين أوضاع مدارس الخط في مصر والتركيز على الكيف وليس الكم. وشهدت الساحات عشرات المقترحات، حيث دعا د. **مجاهد الجندي** جامعة الأزهر إلى تكوين مجلس أعلى للخط وإعادة نظام الكتاتيب، وطالب فنان الخط **محمد رطيل** بالمشاركة المجتمعية في الكشف عن مواهب الطلاب في الخط العربي. واقترحت **هدى عبد العال** مدرس أول لغة عربية إلغاء القلم الجاف في الكتابة والعودة إلى أقلام البسط. ودعا كل من د. **محمد سلومة**، د.**أحمد الدجوى** إلى الاستفادة من الكمبيوتر وإمكاناته.

ومن المهم الإشارة إلى ما رافق دراسات المشاركين ومداخلات الجمهور من فعاليات ذات ارتباط وثيق بفن الخط من معارض وورش وعروض فقد أقيم على هامش هذا المؤتمر معرض للخط العربي ضم لوحات خطية جميلة لكل من **سيد إبراهيم**، و**كامل إبراهيم**، وورشة عمل لطلاب الخط العربي وتكريم لأربعة من الفائزين في مسابقة الخط في تركيا، إضافة إلى مشاركة الأستاذ **خالد الجلاف** من دبي، وعرض أعداد من مجلة **حروف عربية** التي لقيت ترحيباً حاراً وتشجيعاً كبيراً لخط سيرها العلمي والفني، ولابد من التنويه هنا بالدور الكبير الذي قامت به إدارة مكتبة الإسكندرية ممثلة بالدكتور **إسماعيل سراج الدين** مدير المكتبة، وإدارة مركز الخطوط الذي ترأس مديره السيد **عبد الحليم نور الدين** فقرات المؤتمر وتنظيم فعالياته العديدة ■



• لوحة للخطاط إبراهيم المصري

البيان الختامي والتوصيات

على مدار ثلاثة أيام من الثلاثاء ٢٠/٧ حتى الخميس ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٤م عقد مؤتمر «نحو خط عربي أفضل» الذي نظمته وحدة الخط العربي بمركز الخطوط بمكتبة الإسكندرية بالتعاون مع الجمعية المصرية العامة للخط العربي ومديرية التربية والتعليم، وبعض كليات جامعة الإسكندرية تحت رعاية أ.د/ إسماعيل سراج الدين مدير مكتبة الإسكندرية، وصاحب المؤتمر معرض «الخط العربي بين التردي والإبداع» ضم أعمال رواد الخط العربي الثلاثة **سيد إبراهيم، ومحمد إبراهيم، وكامل إبراهيم**، ثم أعمال الخطاطين الفائزين من جمهورية مصر العربية في المسابقة الدولية السادسة لفن الخط العربي التي نظمها مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ونماذج من كتابات طلاب مدارس الخطوط ونماذج من كتابات الطلاب في جميع مراحل التعليم وبعض المؤسسات، ومع المعرض أقيمت ورشة عمل للطلاب الموهوبين في الخط العربي.



• لوحة بخط محمد رطيل

وقد جاء المؤتمر محصلة لجهود كبيرة دامت عشرة أشهر، عقد المركز خلالها حلقتين نقاشيتين لبحث مشكلة سوء الكتابة وعدم الاهتمام بفن الخط العربي لدى الطلاب في جميع المراحل بصفة خاصة وجميع الناس بصفة عامة، واستضاف فيهما نخبة من كبار المتخصصين في الخط واللغة العربية والمناهج وطرق التدريس وأساتذة الجامعة، ومسؤولي التربية والتعليم ورجال الإعلام، ونتج عن هاتين الحلقتين مجموعة من الرؤى والأفكار بلورتها في محاور محددة لجنة من أساتذة المناهج وطرق التدريس واللغة العربية بكليتي التربية والآداب، وخبراء التعليم والخط العربي، وقد دعي إلى المشاركة في هذا المؤتمر بالإضافة إلى المذكورين سابقاً نخبة من الباحثين والخطاطين المشهورين من البلاد العربية ومن خارجها فقدموا تجاربهم وخبراتهم في هذا الميدان، وكانت الحصيلة سبعة وثلاثين بحثاً تناولت جميع محاور المؤتمر، وبعد عرض الأبحاث والمناقشات والمداخلات التي قدمها الحاضرون بالمؤتمر اجتمعت لجنة صياغة البيان والتوصيات وبعد استعراض كل ما دار، أوصت بما يلي:

١- تشكيل لجنة لتحديد الجهات المعنية بالتنفيذ ومخاطبتها سواء كانت حكومية أو أهلية في الوطن العربي وغيره، في الموضوعات الآتية:

أ- إعداد البرامج التدريبية العاجلة والآجلة لمعلمي الفصل الواحد ومعلمي اللغة العربية في المرحلة الابتدائية وباقي المراحل.

ب- تطوير مدارس الخطوط من حيث المناهج وأساليب التدريس واختيار الطلاب والمعلمين..الخ

ج- تحسين أوضاع المعلمين في مدارس الخطوط من الناحية المادية والأدبية.

د- اعتماد خريجي مدارس الخطوط للعمل بتدريس الخط العربي بالمدارس الابتدائية والإعدادية (المتوسطة).

هـ- وضع مقررات مقترحة لتدريس الخط العربي بالكليات التي يتخرج فيها معلمو اللغة العربية.

و- العمل على إنشاء أقسام متخصصة في الخط العربي بكليات الفنون.

٢- الاستفادة من برامج الحاسوب «الكمبيوتر» فيما يلي:

أ- البرامج التعليمية.

ب- التصميمات والزخارف.

ت- اعتماد برامج الخطوط التي تراعي قواعد الخط العربي المعروفة في جميع أنواع الخطوط ولا سيما الخطوط الموجودة الآن البعيدة عن القواعد والذوق الفني.

٣- الاهتمام بالوسائل التعليمية المعينة على تعليم الخط العربي في المدارس ونشاطاته المختلفة.

٤- التشجيع على استخدام اللغة العربية الفصحى والالتزام بها والاهتمام بقواعد الإملاء ومعالجة الأخطاء الشائعة ولا سيما في وسائل الإعلام.

٥- نشر التوعية بأهمية الخط العربي باعتباره تراثاً ورمزاً للهوية وفناً أصيلاً ودعوة كل أسرة إلى التعاون مع المدرسة في حث أبنائها على الاهتمام بالخط والتدرب عليه.

٦- الاستفادة من المنجزات العلمية في التكنولوجيا والحاسبات الآلية بتخصيص موقع على شبكة الإنترنت لوضع الدراسات والبحوث والنماذج الخطية وبرامج تعليم الخط العربي بطرق حديثة ليكون متاحاً لكل الراغبين في الاطلاع على أحدث تطورات الاهتمام بالخط العربي.

٧- الاهتمام بمستوى الإخراج الفني للكتب المدرسية تصميماً وخطوطاً وطباعةً سعياً إلى تنمية الذائقة الفنية لدى طلابنا والأجيال القادمة.

٨- عقد المؤتمر كل عامين، وتناوب عقده في أكثر من مؤسسة ترعى الخط العربي في البلاد العربية والإسلامية، والبدء في الإعداد له من الآن.

٩- المبادرة إلى الدعوة لإنشاء جمعية دولية للخط العربي وتشكيل لجنة للتنفيذ والمتابعة.

١٠- الاستعانة بالجمعيات والمؤسسات والمنظمات الأهلية في الدول العربية والإسلامية بالتعاون معها في دعم البرامج التدريبية وتنفيذ توصيات المؤتمر لحل المشكلة، وتشكيل لجنة للتنفيذ والمتابعة.

١١- تشكيل لجنة من كبار المتخصصين لاختيار الأبحاث الجيدة التي قدمت ملخصاتها في المؤتمر ليتولى المركز طبعها ونشرها.

هذا وقد لقي المؤتمر اهتماماً كبيراً لدى الأوساط العلمية والفنية والإعلامية، إذ حضره عدد كبير من محبي الخط العربي والمهتمين به وأثروا الجلسات بمداخلاتهم المهمة.

رئيس المؤتمر:

أ.د/ عبد الحليم نور الدين مدير مركز الخطوط

مقرر المؤتمر:

محمد رطيل رئيس وحدة الخط العربي ■

الخطّ العربي في فرانكفورت

حروف عربية

ساد كثير من النقاش قبل وأثناء وبعد معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الذي أقيم في شهر أكتوبر الماضي، حيث كان العالم العربي هو «ضيف الشرف» لهذه الدورة. ومن المعروف أن هذا المعرض من أهم التظاهرات الثقافية السنوية المتعلقة بالكتاب، فهو أكبر سوق للنشر حيث يضم (٦٦٣٨) من الناشرين ويبلغ عدد زواره مئة وثمانين ألف زائر من حوالي مئة دولة ويقوم بتغطية فعالياته ١٢ ألف صحفي من ثمانين دولة، ويزيد فيه عدد الفعاليات الثقافية عن ثلاثمئة فعالية ويعرض فيه سنويا ثمانون ألف عنوان جديد.

وعلى الرغم من كثرة النقاشات التي دارت حول المساهمة العربية في هذا المعرض من حيث الإعداد والتنظيم والتمويل ونوعية المساهمة وغيرها من الموضوعات إلا أننا إذا أخذنا بعين الاعتبار الأسباب الموضوعية والذاتية لحال الثقافة العربية فنجد أنه ليس بالإمكان أفضل مما كان.



* وفد دولة الإمارات المشارك برئاسة سعادة صقر غباش وكيل وزارة الإعلام والثقافة بحضور سفير الإمارات في ألمانيا.

المساهمة العربية

شاركت في هذا المعرض الكثير من الوفود العربية، وبلغ عدد الأدباء والكتاب والمفكرين ثلاثمئة مشارك. وكان للموسيقا والغناء دور واضح حيث شارك الفنان **مارسيل خليفة** وعازف العود **نصير شمه** في إحياء أمسيات موسيقية وغنائية. وجاءت المساهمة التشكيلية في إقامة معرض للفن العربي المعاصر لكبار الفنانين العرب بالإضافة إلى معرض لرسوم الأطفال العرب ومعرض آخر للأيقونات القبطية.

وكان الجناح الذي أعدته مكتبة الإسكندرية من الأجنحة المميزة، حيث عرضت فيه صور لكثير من الآثار المصرية القديمة، ومنها صورة لواحدة من أطول وأقدم البرديات الفرعونية التي تحتوى على كثير من المسائل الرياضية الدالة على الريادة المصرية في هذا المجال العلمي المهم.

الخط العربي

الإبداعات الخطية العربية والإسلامية ظهرت في أكثر من موقع، فقد زينت الواجهات العلوية للجناح الرئيس للمشاركة العربية بجداريات حروفية تبرز جمال حروف الخط العربي بالإضافة إلى المشاركات المهمة التي نذكر منها الجناح الذي أقامه معهد العلوم الإسلامية في فرانكفورت الذي يشرف عليه الدكتور **فؤاد سيزكين**. واحتوى هذا القسم على نماذج صغيرة لكل المخترعات التي توصل إليها العرب والمسلمون في مجالات الطب والفلك والري والزراعة والرياضيات وغيرها من العلوم، وقد قام هذا المعهد المتميز بتصوير العشرات من المخطوطات العربية والإسلامية المهمة بطريقة «الفاكسميلي» في طبعات ممتازة بحيث تستطيع الأجيال الصاعدة الاطلاع على هذه المخطوطات التي كان الاطلاع عليها حكرا على الباحثين والمختصين . ويمكن للباحث في هذه الطبعات أن يدرس تطور استخدام الخط في المخطوطات العلمية.

ومن الأقسام التي أثارت الانتباه قسم جمعية «المكنز الإسلامي» التي قامت بإصدار طباعة فاخرة استخدمت فيها أحدث التقنيات لصفحات مذهلة في جمالها الفني من سبعة مصاحف مملوكية محفوظة في دار الكتب المصرية وتعد من روائع فن الزخرفة والكتابة العربية والإسلامية. وكان للخط العربي وجود واضح في معرض فرانكفورت حيث أقيم معرض لفن الخط العربي تحت إشراف كل من الأستاذ **محمد بغدادي**، والفنان الخطاط

ناصر الميمون، وعلى الرغم من احتوائه على كثير من اللوحات الخطية لمجموعة كبيرة من الخطاطين العرب الرواد والمعاصرين من مختلف الأقطار العربية، إلا أنه كان متواضعاً، ولم يعكس مستوى فن الخط العربي المعاصر الذي تطور كثيراً في العقود القليلة الماضية، وقد عوض عن ذلك معرض آخر أقيم في متحف برلين للفنون التطبيقية حيث احتوى ذلك المعرض على أعمال خطية كلاسيكية من متحف قطر للفنون الإسلامية، والمتحف الإسلامي في القاهرة كما احتوى أيضا على أعمال لفنانين معاصرين نذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر: **منير الشعراني، وتاج السر حسن، وخالد الساعي**، وقد شاركت دولة الإمارات العربية المتحدة ببعض الأعمال الخطية في الجناح العام والجناح الخاص بها للأنشطة الثقافية المصاحبة، حيث شاركت بالأعمال الفائزة بجائزة العويس للدراسات والابتكار العلمي فرع مسابقة أفضل عمل فني «الخط العربي».



• جانب من معرض الكتاب.



• صفحات من مخطوطات عربية قديمة.

محمد مندي

الفنان الخطاط الإماراتي **محمد مندي** كان ضمن وفد دولة الإمارات العربية المتحدة، وخلال أيام المعرض الخمسة كان الزوار من الألمان والعرب يتحلقون حول طاولة الفنان **محمد مندي** حيث كان يشرح لهم أساسيات فن الخط العربي وسحر الحروف العربية ، وكان يقوم بكتابة أسماء بعض الزوار بأسلوب الخط الديواني الزخرفي مما جعل له شعبية كبيرة إلى أن نفد كل مخزونه من الأحبار والأوراق، فكانت فرصة للجمهور لكي يشاهد بشكل تطبيقي وعملي فنون الخط العربي على يد فنان عربي مميز وكان لمجلة حروف عربية حضورها المميز من خلال جناح الكتب الذي أقامه وفد الإمارات العربية المتحدة ضمن مشاركة الناشرين العرب.



• جانب من معرض الخط العربي.

ملاحظات أخيرة

فن الخط العربي والزخرفة العربية من أجمل وأعرق الفنون العربية، ونتمنى حين تسهم الدول العربية منفردة أو مجتمعة مستقبلا في معارض وتظاهرات ثقافية في مختلف دول العالم أن تقوم بالإعداد لها جيداً بحيث يتم عرض أفضل النماذج الفنية الخطية الكلاسيكية والحديثة مع إعداد كتالوجات جميلة وذات محتوى أكاديمي يمتاز بالعمق لكي يتمكن الجمهور من تذوق هذه الأعمال الفنية الراقية التي تعكس إبداع المخيلة الفنية العربية عبر العصور الماضية وفي العصر الحديث ■



• الخطاط محمد مندي في معرض الخط - فرانكفورت.

تعريف كتاب

بقلم: يوسف أبو صبيح *

برديات قرة بن شريك العبسي

«البردية» نسبة إلى «البردي» وهو نبات كالقصب ينمو في المستنقعات المائية، صنع المصريون القدماء منه ورقاً استخدموه في كتاباتهم، واستمروا في ذلك أيام الفتح الاسلامي وما تلاها، فقد استخدمه ولاة الدولة الأموية في مكاتباتهم ومن هؤلاء قرة بن شريك والي مصر في عهد الوليد بن عبد الملك في الفترة بين ٩٠-٩٦ للهجرة، وذلك قبل شيوع صناعة الورق الصيني في مستهل العصر العباسي الأول مع نهاية القرن الثاني للهجرة.

لقد اكتشف بعض العلماء الباحثين في التراث مجموعة من أوراق البردي تلك، كان قرة بن شريك قد استخدمها في مكاتباته، وهذه الأوراق هي موضوع هذا الكتاب التراثي المهم الذي أصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات في العام الهجري ١٤٢٥ - ٢٠٠٤م. واجتهد في تحقيق نصوص هذه البرديات ودراسة



• غلاف الكتاب

مضامينها الباحث المحقق د. **جاسر أبو صفية** أحد المختصين بالدراسات التراثية في كلية الآداب بالجامعة الأردنية.

اكتملت مادة الكتاب في ٣٩٠ صفحة من القطع الكبير اشتملت على أربعة فصول وملاحق تتضمن لوحات البردي لمكاتبات هذا الوالي وعددها ٥٣ لوحة إضافة إلى بعض الصور والخرائط والكشافات ذات الصلة بموضوع البحث. وقد تناول الباحث في الفصل الأول حياة قره بن شريك، كما أوردتها الروايات الأدبية في المصادر الاسلامية والنصرانية التي نسبت إليه أفعالاً وأقوالاً تشير إلى مزاعم عن فساده وسوء أخلاقه وغلظته، ودرس في الفصل الثاني حياة هذا الوالي «المظلوم» من داخل نصوص البرديات نفسها، فرد عنه التهم الملفقة عليه بأدلة استقاها من تلك النصوص، واستخلص في الفصل الثالث، المصطلحات التي اشتملت عليها مضامين البرديات مما يتعلق بشؤون الحياة العامة في الولاية من إدارية وضريبية ومالية وأبنية وقضائية وعسكرية ذات ارتباط بالأسطول الحربي، وغير ذلك مما له صلة بصميم عمل الوالي. أما الفصل الرابع فتضمن

• رسم الحروف في برديات قره بن شريك

نصوص البريات بلغتها العربية الأصلية، وعدد المقروء منها ٣٩ لوحة، أتبعها بنصوص البرديات اليونانية التي ترجمها المحقق إلى العربية، فوصل عد دالبرديات إلى ٦٧ لوحة بعضها - وهو قليل - متكرر، وأرفق الباحث صوراً عن البرديات شاب بعضها الطمس والتخريم والنقص فجاءت مشوهة لا تصلح للقراءة والترجمة.

لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ
عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ
يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ
عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ

• سطور من مصحف بالخط المغربي.

الكتابة والنصوص

يهمنا هنا في هذا الكتاب أمران أولهما ما ورد بشأن الكتابة والخطوط في نهاية الفصل الثالث تحديداً، وثانيهما لوحات البرديات ونصوصها المحققة في الفصل الرابع، والحقيقة أن ما تناوله الكتاب في موضوع الخط والكتابة قليل قياساً إلى حجم الكتاب، ولكنه دالّ ومفيد على أية حال، وأبرز القضايا التي تطرق إليها هي نوع أو أنواع الخط الذي كتبت به البرديات، ثم الظواهر الإملائية التي سادت فيها، وأخيراً مسألة الإعجام ومدى تمسك كتاب هذه البرديات بها.

أنواع الخط

إن المدقق في خطوط لوحات البرديات يلحظ ثمة اختلاف فيها، وهذا قد يعني أنها كتبت بأيدي أكثر من كاتب واحد، وهو أمر طبيعي في دواوين الدولة التي يتعدد فيها الكتاب، وتبعاً لذلك فإن اختلاف الخطوط أمر مفهوم، ويؤكد ذلك الصورة المرفقة صفحة ٣٢١ من الكتاب، التي استنطقها الباحث من مجمل البرديات، وسميت فيها الحروف بأشكال متعددة من الخط.

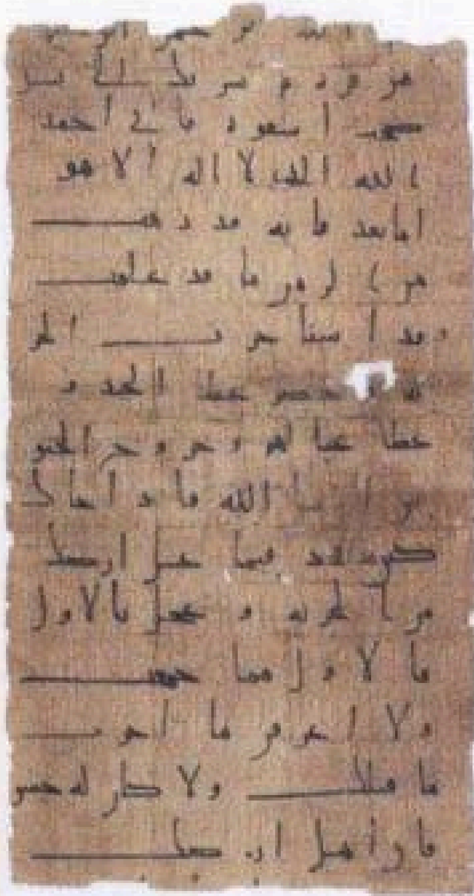
ويذكر د. **جاسر أبو صفية** نقلاً عن المستشرقين أو المستعربين كما يحلو له أن يسميهم، أن سمات الخط الغالبة عليها هو الخط المكي، ويرى بعضهم أنه خط كوفي يميل إلى النسخي، في حين أن آخرين يرون أن هذه الاختلافات مردها إلى اختلاف الكتاب أنفسهم من حيث قدراتهم الفردية.

وترى **تبيهة عبود** الباحثة في البرديات مناط الدراسة أنها تشتمل على مجموعتين: الأولى يغلب عليها الخط المكي، والثانية يغلب عليها الخط الكوفي، وتنتهي إلى أن المجموعتين لم يخلص أو يصف الخط في كل منها سواء المكي أم الكوفي، فجمعتا بين سمات كلا الخطين المكي والكوفي، وبخاصة أن هذه البرديات ذات طابع مدني لا تصل إلى مرتبة القداسة في الكتابة القرآنية التي تدعو الكاتب إلى الالتزام بخط واحد واضح السمات لاتصاله بالتقوى والورع، وقد أطلقت الباحثة اسم (الخط المؤلف) عليه، وكان من أسباب ذلك - كما أشرنا آنفاً - تعدد الكتاب إضافة إلى اختلاف جلفة القلم وكثافة الحبر ونوعه.

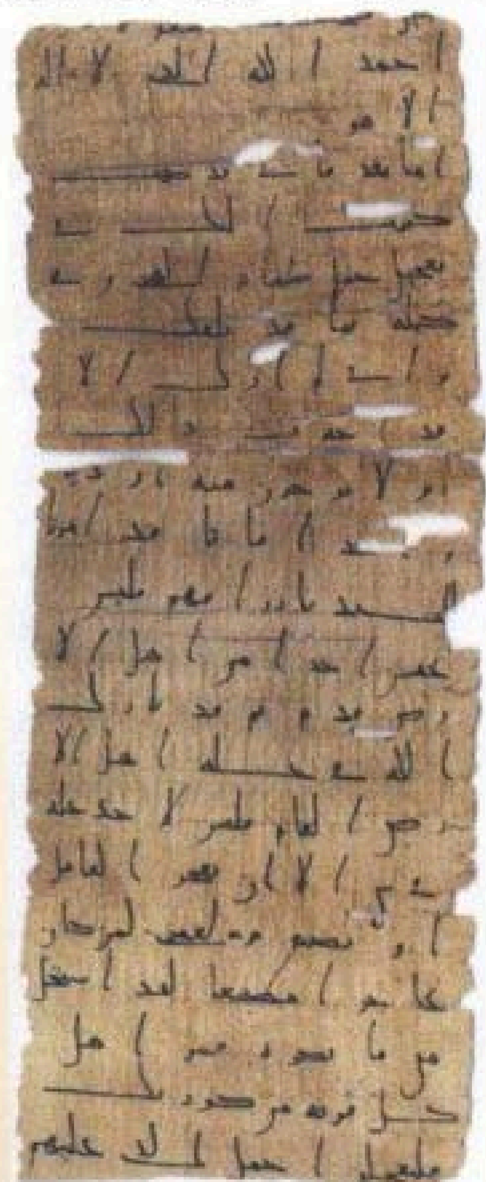
وحصر د. **جاسر** التغيرات في كتابه الحروف مستفيداً مما كتبه أحد المستشرقين ونسقها في مصفوفة لشتى الحروف، والواقع أن الوصف الذي ثبته الباحث في كتابه كان فيه اختصار وإيجاز ملموس يمكننا إضافة المزيد إليه، وإن لم تسعفنا به هذه العجالة، وقد ذكر في وصف كتابة الألف ملحوظة مهمة يقول فيها: «كما هو الحال في الخط السوري والمغربي...»، ولست أدري ماذا يعني بالخط السوري؟ ولكنني أدرك عبر المقارنة أن اقتراب هذه الخطوط من الخط المغربي أمر فيه كثير من الصحة، وبخاصة إذا علمنا أن القيروان كانت قاعدة ثقافية مرموقة في شمال أفريقيا أو ما يسمى اليوم المغرب العربي، وكان لها خط خاص قد يكون مستنداً إلى الخط الكوفي والخط المكيّ، ولعلي أرى تشابهاً - إلى حدٍّ ما - بين الخط المغربي الحالي، وما كتبت به البرديات.

إن مما يؤكد الصلة بين خط البرديات والخط المغربي ما ورد فيها من إعجام لحروف العربية، والواقع أن الإعجام يتفاوت من بردية إلى أخرى، فبعضها تندر الإعجام فيها إلى حد خلوها تماماً منه، وبعضها ظهر فيها بوضوح وجلاء، ولكن اللافت في هذه المسألة أن الحروف المعجمة اتبعت الأسلوب الذي يكتب به القرآن الكريم حالياًفي منطقة المغرب، وأبرز ما فيه هو وضع نقطة تحت رأس الفاء، ونقطة فوق رأس القاف، وهو من خصائص الخط المغربي والأندلسي كما أشار إلى ذلك محقق البرديات.

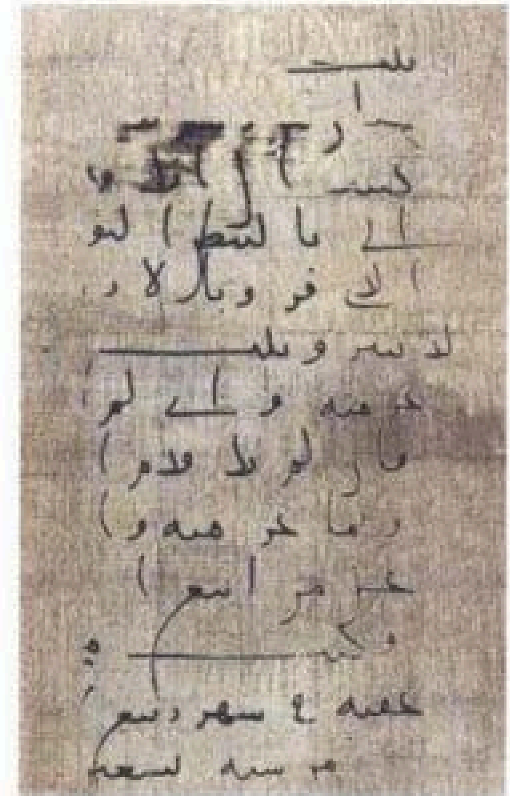
ويلاحظ هنا أن ذكر الخط المغربي تكرر أكثر من مرة، مرة مع الخط السوري، ومرة مع الخط الأندلسي، وهذا يعني - وأنا أميل إلى ذلك - أن خط البرديات في مجمله كتب بالخط المغربي المستند إلى الخط الكوفي، ولا فرق يذكر بين



• بردية محفوظة في هايدلبرج - من كتاب برديات قره



• بردية محفوظة في هايدلبرج - من كتاب برديات قره



• بردية محفوظة في دار الكتب المصرية - من كتاب برديات قرة

الخط المغربي والخط الأندلسي للصلات القوية التي كانت تجمع بين هاتين المنطقتين، إضافة إلى أن أهل الأندلس نقلوا الخط المغربي بدليل أن فتح الأندلس تم في عام ٩٢ للهجرة أي في الوقت الذي كان فيه قرة بن شريك والياً على مصر، فلم يكن للأندلس آنذاك خط متميز ينسب إليها، وإنما لحقت به التسمية بعد استقرار الحياة السياسية والمدنية فيها.

ويعني حال الإعجام في هذه البرديات أيضاً أن الإعجام نفسه كان في بدايات تطبيقه في الكتابة العربية، فلو كانت حالة مستقرة آنذاك لما وجدنا اختلافاً في إعجام البرديات تراوح بين الانعدام والندرة والالتزام.

وحتى تستكمل صورة الاعجام في هذه البرديات ذكر الباحث إضافة إلى ما سبق عن شكل الإعجام في حرفي الفاء والقاف أن حرف الياء كتبت تحته نقطتان رأسيتان مع ميل إلى اليسار، وكذلك الشأن فوق التاء، كما كتبت نقطة فوق رأس حرف النون، ونقطة فوق كل سن من أسنان حرف الشين، وأحياناً كتبت على شكل شرطة (-) فوق حرف الشين أو الثاء.

الظواهر الإملائية

يلحظ قارئ برديات قرة بن شريك بعض الظواهر الإملائية التي تحتاج إلى تأمل وتدبر من أبرزها:

١- إسقاط الألف المتوسطة من مثل (دينار = دينر، كتابي = كتبي)، وتكرارها لافت للنظر، ويستحضر ما يشيع في كتابة المصحف الشريف الذي يدل عليه بخط عمودي صغير فوق الحرف، ويغلب هذا الإسقاط في أكثر البرديات، وإن ظهرت الألف - على ندرة - في بعض الألفاظ من مثل: (كان - الأنباط - رمضان).

٢- حذف الهمزة أي إسقاطها من الكتابة والنطق إذا وقعت في آخر الكلمة من مثل (غلاء = علا، عطاء = عطا، الأهراء= الأهرا)، وإن وقعت الهمزة متوسطة باتصال الكلمة مع كلمة أخرى كالضمير من مثل: (عطاؤهم = عطاهم، جاءك = جاك)، ومثل هذا الحذف شائع في اللهجات العامية المعروفة في عصرنا الحاضر كقولنا (إن شا الله) التي استخدمت كثيراً في البرديات.

٣- إبدال الهمزة حرفاً من حروف المد من مثل (سأل = سال، تسيئْنَّ = تسيينٌ، تؤخرنَّ = توخرنَّ، مئة= مية، تلجئني = تلجيني)، وهو ما يعرف بالتسهيل، وهو شائع في كتابة القرآن الكريم بالخط المغربي على قراءة ورش، ويلاحظ أن هذا الإبدال في البرديات لا يتبع قاعدة ثابتة، فالأولى أن يبدل بالهمزة حرف مد مناسب لحركتها أو حركة الحرف الذي يسبقها، وهذا ما لا يطرد في البرديات (لإن = لان)، وقد يبدل بالهمزة حرف من غير حروف المد من مثل (يأتمنونه = يتّمنونه)، فأبدلت بها تاء ثم أدغمت في تاء افتعل، ومن الأخطاء الإملائية المتكررة كتابة (سوى) بالألف الممدودة (سوا) مما يخالف كتابتها الصحيحة المعروفة.

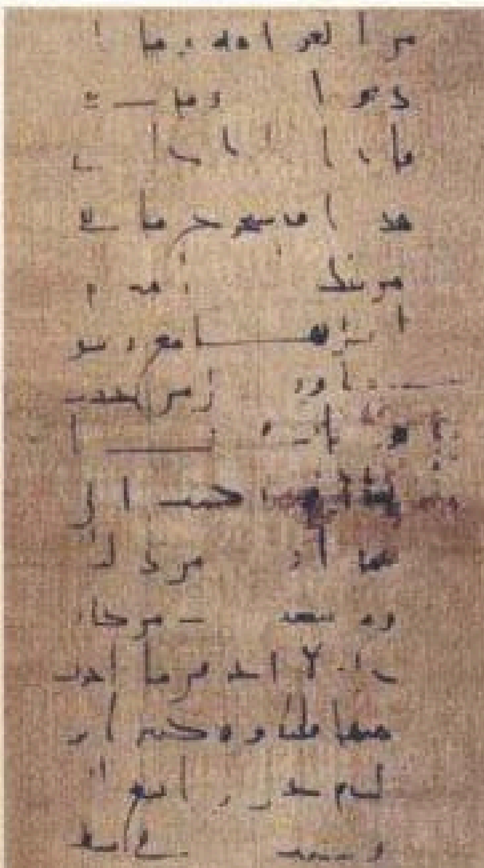
أخطاء نحوية

يجد المتتبع المدقق في البرديات بعض الأخطاء النحوية التي قد يكون مردها جهل الكتبة باللغة، وبخاصة إذا عرفنا أن بعضهم كان أعجمياً ومن أمثلة ذلك قوله (فليس نحبس أحداً من أهل الأرض قدم)، ولفظة (قدم) تعني الرجل الشجاع المقدام، والصواب أن تأتي منصوبة باتباعها (أحداً)، على سبيل النعت، وكقوله: (حتى يدفعونه)، والصواب: (حتى يدفعوه)، بحذف النون في الفعل المضارع المنصوب، وكقوله: (وليكتال القبّالين من أهل الأرض بالكيل العدل)، واللام في كلمة (ليكتال) هي لام الأمر، فالمضارع بعدها مجزوم يحذف فيه حرف العلة والصواب هو (ليكتل)، وفي العبارة نفسها لفظة (القبالين) وردت منصوبة بالياء والنون في حين أنها في موقع الفاعل الذي يرفع فيه جمع المذكر السالم بالواو والنون، وقد ورد هذا الخطأ في اللفظة نفسها، وفي عبارة أخرى هي: (يستوفي القبالين من أهل القرى)، وهي هنا أيضاً في موقع الفاعل.

ويشيع أيضاً استخدام الاسم الموصول (ما) وهو لغير العاقل في مكان (من) التي تستخدم للعاقل كقوله: (واتق الله فيما تلي) و(فاكفني أمر ما قبلك)، في حين استخدمت صحيحة في البردية نفسها في قوله: (وإذا أتى أهل الأرض الظلم والإضاعة من قبل (من) يلي أمرهم)، وهذه العبارات كلها جاءت في بردية واحدة هي اللوحة الثانية من اللوحات التي أدرجت في الكتاب، وهذا يعني أن اللحن كان شائعاً في نهاية القرن الأول الهجري على الرغم من قرب عصر الفصاحة زمن نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، ومما يخالف المعهود في كتابتنا هذه الأيام أن الكلمة الواحدة قد تجزأ في سطرين متتاليين، وهو شائع بلا تحفظ في نصوص البرديات.

الخاتمة

إن برديات قرة بن شريك، التي بذل الدارس المحقق د. جاسر أبو صفية جهوداً مضنية في جمعها وتحقيقها والتعمق في دراسة مضامينها توضح لنا بأن مثل هذه الكتابات التراثية ذات فوائد جمة في إعادة الاعتبار لبعض الشخصيات التي مسّت صدقيتها في الروايات التاريخية، إضافة إلى أهميتها الخاصة في دراسة الواقع السياسي والاجتماعي والعسكري في الفترة التي تمثلها، علاوة عما لها من أهمية في دراسة تطور الخط العربي والكتابة العربية عموماً في العصور السالفة ■



• بردية محفوظة في المكتبة الوطنية - فينا - من كتاب برديات قرة

الشارقة



• صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي يفتتح معرض المرئي والمسموع في دورته السابعة

المرئي والمسموع في دورته السابعة

الخط العربي رحلة إبداعية متجددة

في يوم مبارك هو مساء الأحد ١٠ رمضان ١٤٢٥هـ، الموافق ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٤م، قام صاحب السمو الشيخ الدكتور **سلطان بن محمد القاسمي** عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة بافتتاح معرض المرئي والمسموع في دورته السابعة، والتي جاءت تحت شعار (بدايات الأصول إلى حسن الوصول).

شهد حفل الافتتاح سمو الشيخ **سلطان بن محمد بن سلطان القاسمي** ولي ونائب حاكم الشارقة، وسعادة الشيخ **عصام بن صقر القاسمي** رئيس دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة، و**عبد الله بن محمد العويس** مدير عام الدائرة، وعدد من الشيوخ وكبار المسؤولين ومحبي فن الخط العربي.

وعلى هامش الافتتاح وفي حديث للإعلام أكد صاحب السمو حاكم الشارقة على ضرورة بذل مجهود أكبر يتولاه كل المثقفين والكتاب العرب في شتى بقاع الأرض لإرساء حوار ثقافي مبني على رؤية استراتيجية عميقة، وتقديم كل ما يعرف بنا



• في جناح الخطاطة فاطمة محمد عبد الرحيم

وبثقافتنا كعرب وبقيمنا وإسلامنا. وفي حديثه ما يؤكد أن فن الخط العربي العريق يلعب دوراً مهماً في هذا الاتجاه.

يبرز هذا المعرض كواحد من أهم معارض الخط العربي في دولة الإمارات العربية المتحدة التي تستمر دوراته الرمضانية على الرغم من انبثاقه نواة للفعالية الكبرى في الخط (ملتقى الشارقة الدولي لفن الخط العربي).



• الخطاط شكري السويداني يقدم أعماله

المعرض كما هو معروف من تنظيم إدارة الفنون بدائرة الثقافة والإعلام في إطار مهرجان الفنون الاسلامية السنوي، وقد ضمّ بين جنباته لوحات الخطاطين المقيمين في الإمارات واستضاف الخطاط السوري المعروف **أحمد الباري** في معرض خاص بأعماله، وكذلك جامع المخطوطات العراقي الأستاذ **طارق جلال** المقيم في لندن.

شارك في المعرض ٣٦ خطاطاً وخطاطة، كلهم من المقيمين في دولة الإمارات العربية المتحدة، ومن الأسماء المعروفة بنشاطها في الخط العربي

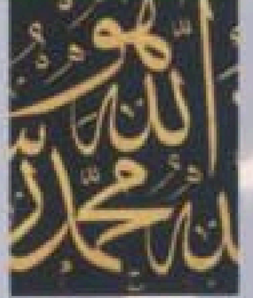


• الخطاط محمد علان يشرح بعض من أعماله

وقد تميز هذا المعرض بدعوته للخطاطين للمشاركة بتخطيطاتهم التي تمثل مراحل تطور اللوحة الخطية إلى جانب المشاركة بلوحات مكتملة الإخراج. وتميّزت الأعمال بتمثيلها لكافة أساليب الخط العربي التراثية، وشملت تجارب إبداعية حديثة تزاوج الخط والرسم.

بلغ عدد المخطوطات القديمة المعروضة ٨٥٩ عملاً، شكلت ذخائر ونفائس ثمينة للثقافة العربية الاسلامية عبر القرون. ومن أهم المخطوطات الجزء الثالث من قرآن كتب بخط المحقق منسوب إلى الشيخ **السهروردي** أبرز تلاميذ الخطاط العباسي **ياقوت المستعصمي**، ومخطوط آخر هو مصحف صغير بخط **أبي بكر أحمد القلانسي** واحد من كبار علماء بغداد، كذلك كان من ضمن المخطوطات أخرى باللغة الفارسية منها روضة الصفاء في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، من تأليف **محمد بن خواندشاه بن محمود** المتوفي سنة ٩٠٣هـ مكتوب بخط النستعليق ■

فرجينيا - أمريكا



الخط الإسلامي من دولة قطر

٥ نوفمبر - ٥ ديسمبر ٢٠٠٤م
- ريجموند - فرجينيا

معرض نوعي أقيم احتفاءً بالهدية القيمة من المخطوطات والتي قدمها سعادة الشيخ **حسن بن محمد آل ثاني** إلى المؤسسة القطرية للتعليم والعلوم وتطوير المجتمع. تم المعرض بالتعاون مع المؤسسة القطرية بمناسبة السمنار الدولي للفنون الإسلامية الذي نظمته جامعة الكومونولث بفرجينيا، ومتحف فرجينيا للفنون الجميلة.

أشرف على تنظيم المعرض القيّم الباحث والخطاط المعروف **محمد زكريا**، وبعون من الفنان القطري **يوسف أحمد** والباحث العراقي **يوسف ذنون**، **وريتشارد توسكان** من جامعة الكومونويلث بفرجينيا وآخرين. أقيم المعرض في قاعة أندرسون التابعة لمدرسة الفنون وحوى مجموعة نادرة وقيمة من اللوحات الخطية من مختلف البلدان الإسلامية مبرزة للمواهب والقدرات الفذة لخطاطي العالم الإسلامي.

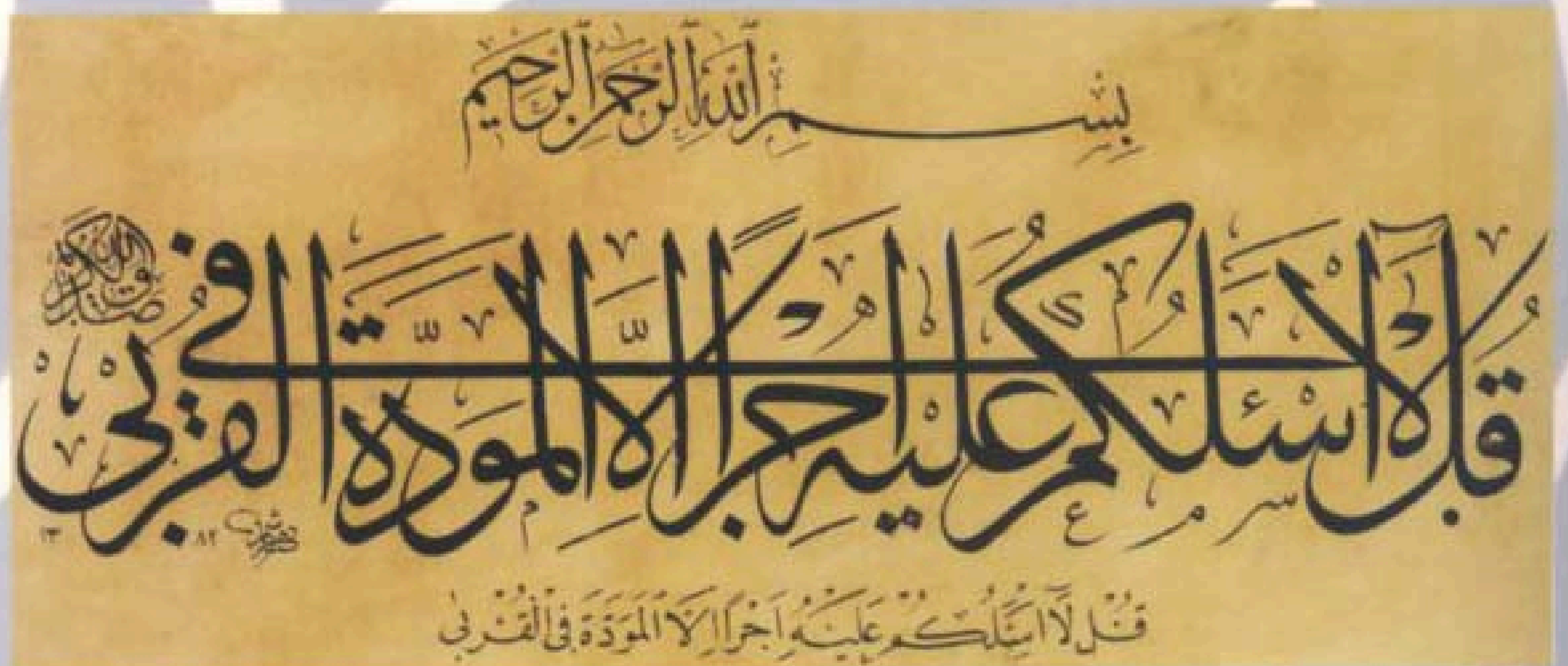
الأعمال المختارة للمعرض توضّح الأفق الواسع لتصور الخط عبر أعمال الخطاطين المسلمين من بقاع وشعوب مختلفة. وترجع في تاريخها من القرن التاسع إلى منتصف القرن العشرين لتمثل الشرق العربي حيث ولد هذا الفن إلى آسيا والهند وتركيا العثمانية والصين. هذه الأعمال تبرز بعض أهم تطبيقات فن الخط، يأتي في أولها المخطوط القرآني، ومن بعده لفائف (Scrolls)، المعاملات المدنية وغيرها كما جاء في مطبوعة التعريف بالمعرض والتي حوت كذلك معلومات ضافية عن تاريخ الخط ومواده وأدواته.

من اللوحات القيمة التي عرضت واحدة بخط الثلث الجلي نصها (رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين)، للخطاط **حافظ محمد راسم أفندي** يرجع تاريخها إلى ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م، وأخرى **لسامي أفندي** (دخيلك يا رسول الله)، بخط التعليق الجلي مؤرخة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ولوحة أخرى للخطاط **هاشم البغدادي** (قل لا أسئلكم عليه أجراً)، بخط الثلث الجلي والنسخ مؤرخة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

حروف عربية تحيي وتهنئ القائمين على أمر هذا المعرض والذي يعرف المشاهد في الغرب بروائع فن الخط، ويعزز من الصلات الثقافية والمعرفية بين مختلف الثقافات ■

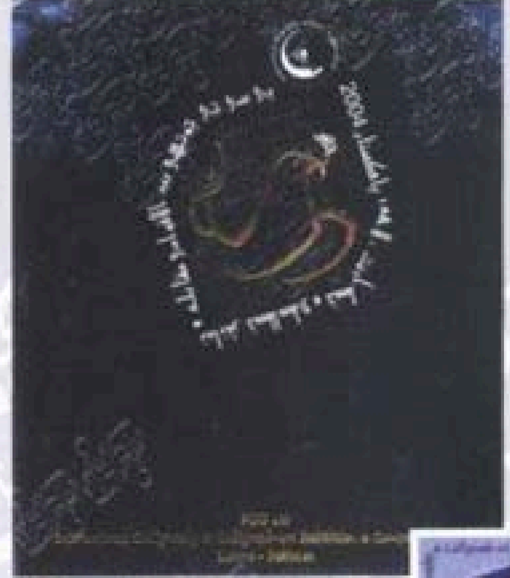






أخبار وفعاليات

باكستان



• غلاف الكتالوج المعرض



• طابع البريد التذكاري

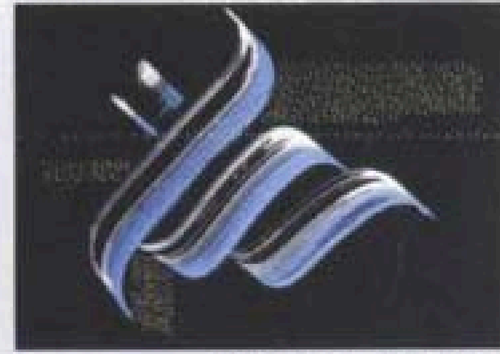
كنا قد نشرنا في العدد العاشر من حروف عربية يناير ٢٠٠٤م، تعريفا بجمعيةباكستان لفناني الخط والتي مقرها مدينة لاهور، وتوجيهها الدعوة للخطاطين للمشاركة في معرضها الدولي الرابع، الآن وقد أنجزت الجمعية هذه الفعالية بشكل متطور وكبير مقارنة بالدورات السابقة، وأصدرت دليلاً (كتالوج) بحجم كبير يوثق للمشاركين في المعرض من خطاطي العالم الإسلامي وطابع بريدي يحمل شعار المعرض، نمديد التحية والتهنئة لهذه الجمعية الفتية على هذا الإنجاز ونلقي مزيد من الضوء على مجريات المعرض والمشاركة فيه مستقبلاً. شارك في المعرض عدد كبير من الخطاطين الباكستانيين بجانب واحد وثلاثين خطاطا آخر من الدول الاسلامية ومشاركين من كندا وايطاليا، بأعمال جاوز عددها ثلاثمائة عمل بمعالجات متمايزة توزعت بين أعمال تقليدية وأخرى حديثة منها الخط على الورق والكتابة على الجلد والطرق على النحاس.

استخدم الخطاطون مواد وأدوات مختلفة شملت الأحبار والألوان الزيتية وسطوح الورق والجلد والعاج والنسيج والمعادن وانتهاءً باستخدام الكمبيوتر والطباعة النقطية والنفاثة. رعى الاحتفال وحفل الافتتاح معالي وزير الثقافة الباكستاني **أجمل خان** ومعالي وزير العدل **أظهر طاهر**، وقد صاحب المعرض محاضرات وورش عمل وعروض لانتاج الأطفال. وجاءت نتيجة المسابقة كالتالي:

الخط التقليدي: حاز على المركز الأول **منيب أوبرادوفيش** من البوسنة، وعلى المركز الثاني **عبد الاله أبو جيش ومحمد إبراهيم** من سوريا، وعلى المركز الثالث **ذو الفقار علي ومحمد أشرف هيرا** من باكستان.

الخط الحر أو الحديث: حاز على المركز الأول **ماسيمو بوليلو** من إيطاليا، وعلى المركز الثاني **عارف خان** من باكستان، وعلى المركز الثالث مناصفةً كل من **حكيم ينغ جون** من منغوليا **وحميد رضا أكبريان** من إيران. يذكر أن لجنة التحكيم في المسابقة الأولى تشكلت من الأساتذة **محمد علي زاهد وعرفان أحمد خان واكرام الحق**، وفي المسابقة الثانية من الأساتذة **أحمد خان وذو القرنين حيدر ومرتضى جعفري**. شارك في هذا المعرض الفنان **فريد العلي** من الكويت بأعماله وبمحاضرة عن مجموعته (محمديات) ألقاها في كلية الفنون والتصميم بجامعة البنجاب، وتميزت مشاركته باختياره عضو لجنة تحكيم في المعرض في دورته الخامسة الذي سيقام عام ٢٠٠٧م، بلاهور في باكستان، وللتواصل مع فعاليات هذه الجمعية ننشر مجدداً عنوانها:

Pakistan Calligraph - artists, Gulid
6 - Cultural Complex - Gaddafi Stadium - Lahore - Pakistan
E-mail: calligraph_artists@hotmail.com ■

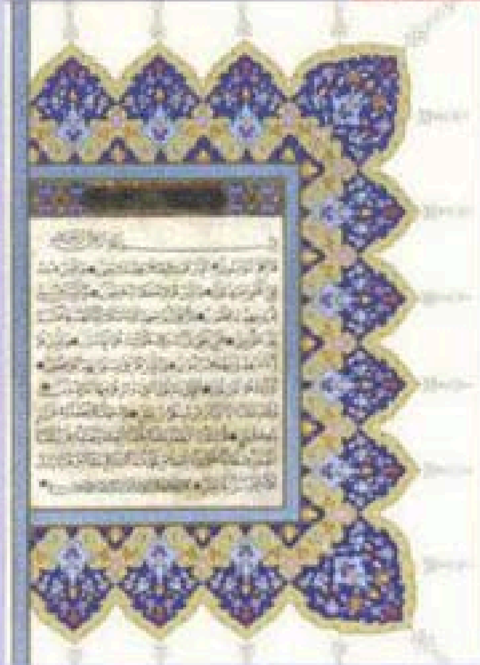


• من أعمال ماسيمو بوليلو - ايطاليا



• لوحة خطية لعارف خان

إيران



• صفحة مزخرفة بخط عدنان الشريفي

مسابقة خط المصاحف الشريفة

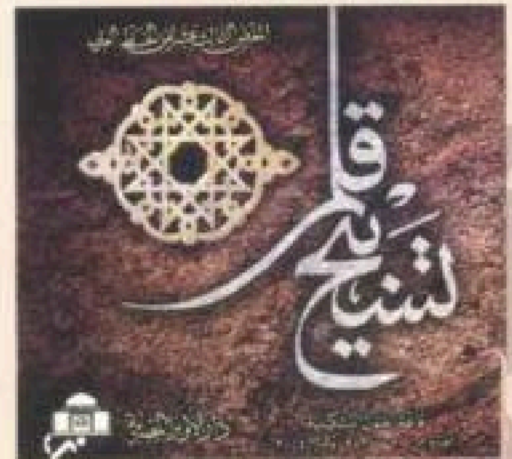
تحت رعاية فخامة الدكتور **محمد خاتمي** رئيس الجمهورية الإيرانية الإسلامية أقيم مهرجان القرآن الكريم الثالث عشر في العاصمة الإيرانية طهران من ١٠/٢٧ - ٢٠٠٤/١١/٧م، الموفق ١٦-٧٢ رمضان ١٤٢٥هـ. وقد تخلل المهرجان معرض للخط العربي والزخرفة حيث ضم العديد من الخطاطين والمزخرفين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وقد أقيم على هامش المعرض مسابقة خط القرآن الكريم، وضمت عدداً كبيراً من خطاطي المصاحف الشريفة وقامت هيئة التحكم بانتقاء الأعمال الفائزة، وكان من بين فائزين التكريم بكتابة المصحف الشريف الخطاط العراقي **عدنان الشريفي**، المدرس بمركز الشارقة لفن الخط العربي والزخرفة، حيث قام الرئيس **محمد خاتمي** بتقليده الدرع الذهبي ولوح الافتخار ضمن حفل بهيج أقيم في ختام المهرجان بحضور وزير الثقافة الإيراني وسفراء الدول الإسلامية ■



• الخطاط عدنان الشريفي أثناء تكريمه من الرئيس خاتمي



غلاف مطوية معرض صدى التراث



غلاف مطوية معرض تسبيح قلم

مصر: عودة الخط في أصالة

كتب تاج السر حسن:

في مصر الآن جيل جديد من الخطاطين يعيدون للخط العربي عهده الزاهر وبهائه التاريخي الذي ارتبط برواده أساتذة مدرسة تحسين الخطوط في النصف الأول من القرن العشرين في معرضهم الثاني (صدى التراث)، الذي أقيم بدار الأوبرا المصرية من ٢٠ - ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٤م، قدم هؤلاء الشباب لمعرضهم بالكلمة التالية:

«انفتحت عيوننا والتقت أقلامنا على حب هذا الفن، فقد التقينا لأول مرة بمعرض الأوبرا سنة ٢٠٠١م، كوجوه جديدة على الساحة الفنية بدعم ممن آمنوا بوجوب ظهور جيل جديد، ثم أكدنا على هذا النجاح بالمعرض الأول (الذي علم بالقلم)، مؤكدين على إمكانية اعتمادنا على أنفسنا، ومع كسبنا لثقة أساتذتنا، ودعمهم نلتقي ثانية مؤكدين على هذا المعنى أولاً ونقدم وجوهاً جديدة من بيننا، نتواصل ونخطو خطوات أخرى على طريق الإبداع.. نتعلم.. نبدع.. نحاكي من سبقونا بذكرهم بكل خير ووفاء وعرفان آملين أن نكون صدى التراث».

شارك في هذا المعرض إثنا عشر من أفضل الخطاطين الشباب كلهم حائزون على دبلوم الخط العربي وبعضهم حاصل على جوائز محلية وعالمية من بينهم خطاط من البوسنة والهرسك هو **منيب أوبرادوفيتش**، والآخرون من المصريين هم ترتيباً الخطاطون **أحمد فارس، أحمد فهد، أشرف عبيد، جمال محمود، حسين البدوي، حمادة فايز، عبده الجمال، مجدي هليل، محمد حسن، هاني بحر، ووليد حسن**.

وعن معرضهم الأول كتب الخطاط الكبير **مسعد خضير البورسعيدي**: «سعدت بافتتاح معرض الخط العربي المجمع للأبناء الأفاضل الفنانين في الخط العربي، لقد شرح صدري بما رأيته وهذه أعتبرها أمنية لي أن أرى في مصر وطننا العزيز هذا الكم الرائع من الخطاطين الموهوبين الذين قدموا في هذا المعرض لوحات فنية ولو أنه المعرض الأول لهؤلاء الفنانين ولكن وجدت فيه الممارسة والفن وإتقان الحروف حسب القواعد مع التصرف الجميل في بعض اللوحات وفي النهاية إنه معرض رائع وأنا فخور جداً جداً». كذلك كتب الأستاذ الخطاط المعروف **محمد حمام**: «لقد وفق الله تعالى فئة من الشباب الذين آمنوا بربهم، وفقهم ... أن يكونوا نواة لتحقيق حلمنا وهو تبني مجموعة من الشباب لحمل شعلة الريادة ليكونوا بمثابة نجوم المستقبل في فننا العظيم».



لوحة بالديواني للخطاط عبد الرحمن عبوش

وتوّج المعرض بمطوية جميلة الإخراج أنيقة الطباعة مايبشر كذلك بارتقاء وتطور مستوى مطبوعات الخط في مصر، ويدلّل على رقي فن الخط في مصر وعودته في أصالة وتجديد.

وفي فعالية أخرى هي المعرض الثالث عشر لفن الخط العربي في قاعة الفنون التشكيلية بدار الأوبرا المصرية في الفترة من ٢٠ - ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٤م، شارك فيها عشرة خطاطين من مصر هم الأساتذة: **عبد الرحمن عبوش، أحمد عبد العزيز، يسري المملوك، عصام عبد الفتاح، أحمد فهد، أحمد فارس، محمد حسن أحمد، حمادة الربع، صلاح محمود عبد الخالق، ويسري حسن**. وفي دعوة خاصة شارك د. **صلاح الدين شيرزاد** من العراق، و**محمود برجاوي** من لبنان بأعمالهم.

جاء المعرض تحت مسمى (تسبيح قلم)، ورافقته مطبوعة أنيقة كذلك قدم لها رئيس الهيئة العامة للمركز الثقافي القومي في دار الأوبرا المصرية د. **عبد المنعم كامل** بما يلي: «انطلاقاً من إيماننا بدور المركز الثقافي القومي - دار الأوبرا المصرية هذا الصرح الثقافي الكبير الذي يقدم دائماً الجديد ويسعى القائمين عليه جاهدين للتطوير الدائم فللعام الثالث عشر على التوالي وخلال مهرجان الموسيقى العربية تقدم قاعات الفنون التشكيلية كل ما هو جديد في هذا المجال من الخطوط المتنوعة التي نفذت بأيدي أمهر الخطاطين كما يتم أيضاً تكريم رموز الخط العربي من مصر وشتى أنحاء العالم ممن أثروا وأعطوا لهذا الفن العريق، وحرصاً من المركز الثقافي القومي على تشجيع كل ما هو جديد لإثراء القاعات بدار الأوبرا بهذا الفن الممتد الجذور نقدم هذا العام نخبة من الأساتذة النابغين من مصر والدول العربية كالعراق، ولبنان، والكويت، ولعل هذا التناغم العربي وهذه الملحمة الرائعة تعكس حرصنا على التواجد العربي في جميع المجالات الفنية وندعو الله أن يوفقنا دائماً للارتقاء بهذا الفن وتقديم المزيد من إبداعات الفنانين والله الموفق».

هيئة تحرير **حروف عربية** تحيي هذا النشاط المتجدد لمعارض الخط العربي في مصر، وتبارك المستوى الممتاز للمعرضين■



لوحة بالثلث الجلي للخطاط أحمد فهد

المانيا

مسابقة تصميم الخط العربي

تجديد الدعوة للارتقاء بالحرف العربي الطباعي

في بادرة جديدة أعلنت شركة لاينوتايب المعروفة عالميا في مجال تقنيات الصف الطباعي وتجهيز حروف الطباعة عن مسابقة لتصميم الخط العربي الطباعي. ولهذه الشركة تاريخ عريق ومميز في فن الطباعة العربية. ترجع بوادره إلى العام ١٩١١م، عند اختراعها أول آلة للصف الميكانيكي - الآلي - للحرف العربي، توجته بإصدارها لحرف النسخ المبسط (Simplified Arabic)، في عام ١٩٥٤م، والذي يعزى إليه تسهيل وتسريع عملية تنضيد الحروف العربية مما ساعد في تطوير الصحافة في الدول العربية.

وجاء في بيان الدعوة للمسابقة ما يأتي:

«تتشرف مكتبة **لاينوتايب** بدعوة المصممين والخطاطين للمشاركة في المسابقة الأولى لتصميم الخط العربي. المسابقة هي الأولى من نوعها في السنوات الأخيرة وهي استجابة لازدياد احتياجات الطباعة العربية، وقد سهلت التطورات الأخيرة في تقنيات الحاسوب إزالة العقبات من أمام تطوير الخط العربي. ولهذا فإن العقبة الأخيرة هي إيجاد المنظار الجديد للخط العربي الذي يتحرر من عقبات التقنيات الماضية وهو قادر على تلبية حاجات اليوم. وتقام المسابقة برعاية مجلة **حروف عربية** وشركة **وينسوفت**».

سيحظى المشتركون بفرصة لنيل جوائز مغرية وإمكانية التمتع بشهرة عالمية من خلال عملية التسويق مع **لاينوتايب**. وضوح وعدالة حقوق النشر هي أساس لهذه الشراكة. كما أن المسابقات التي تتبعها **لاينوتايب** معروفة عالمياً ولهذا فهي ستستقطب الكثير من الاهتمام فتلقي الضوء على أعمال المشتركين.

أهداف المسابقة:

١- دعم تطوير الخط العربي على الكمبيوتر.

٢- إكتشاف ونشر تصميمات جديدة في نطاق الخط العربي الأصيل.

٣- تشجيع ومساهمة في تطوير وإبراز مصممين جدد.

شروط الإشتراك

- تم الإعلان عن المسابقة على صعيد عالمي.
- لا يحق لهيئة التحكيم أو لأي من موظفي **لاينوتايب** أو عائلاتهم الإشتراك في المسابقة.

فئات الإشتراك

١- خطوط العناوين: يجب أن يكون الخط مبرمج وأن يقدم مع نماذج مطبوعة.

٢- خطوط النص: يجب أن يكون الخط مبرمج وأن يقدم مع نماذج مطبوعة.

٣- خطوط فنية: يقدم الخط مع نماذج مطبوعة أو مرسومة وهذه الفئة مخصصة أيضاً لكل التصاميم الغير مبرمجة.

تقديم الطلبات

- تقدم التصاميم مطبوعة على أوراق A3 (أو مرسومة جيداً بحبر أسود إذا كانت من فئة الخطوط الفنية) علماً أن طول حرف الألف لا يقل عن /٤/سم.
- يجب أن تحتوي النماذج على كامل الأحرف المصممة مع عناوين ونصوص بعدة أحجام.
- يجب إتباع كافة التعليمات الموجودة على صفحة الإنترنت المخصصة للمسابقة وإلا يلغى الطلب.
- توضع أوراق التصاميم المطبوعة في ظرف لا يزيد حجمه عن /٣٥ × ٤٥/ سم. ويكتب عليه العنوان بالكامل.
- لن يفصح موظفو Linotype Library عن أي معلومات لهيئة التحكيم.
- Linotype Library ليست مسؤولة عن كمال محتويات الطلب المقدم.
- آخر موعد لاستلام الطلبات هو أكتوبر ٣١/١٠/٢٠٠٥م. ولن ترجع محتويات الطلبات المقدمة.

هيئة التحكيم

تتكون هيئة التحكيم من أعضاء مشهورين في مجال فن الخط وتصميمه وهم:

١- **سمير الصايغ** (لبنان)

٢- **فيونا روس** (بريطانيا)

٣- **مأمون صقال** (سوريا، الولايات المتحدة)

٤- **كريس هولمز** (الولايات المتحدة)

٥- **هدى أبي فارس سمتشهاوزن** (لبنان، هولندا)

وستختار لجنة التحكيم فائزا واحدا في كل فئة، وستكون الهيئة المستقلة المسؤولة الوحيدة عن توزيع الجوائز، كما يعلن عن الفائزين بالبريد.

حماية المصممين

Linotype Library هي شريك Heidelberg Group وتتألف مجموعتها من ٥٥٠٠ خط وبهذا فهي من أكبر الموزعين في العالم. وهي تعطي أهمية كبيرة لحماية مجموعتها ولهذا فهي تسجل معظم خطوطها بالإضافة الى كونها ماركة مسجلة في بعض الأحيان. وتتكفل Linotype Library بنفقات هذه الخطوة التي تحمي حقوق Linotype Library والمصممين الذين تتعامل معهم.

قسيمة الإشتراك

الرجاء إملاء المعلومات الآتية بالإنجليزية على ورقة منفصلة تعلق على خلف الأوراق التي تظهر التصاميم:

Font name and weight(s):
Contest Category:
First Name:
Last Name:
Street Address:
Postal Code/City:
Country:
Telephone Number:
Email Address:
Sheet number:

للمزيد من المعلومات وإرسال التصاميم، الإتصال:

(Nadine Chahine) ATDC 2005
Linotype Library GmbH
A partner of the Heidelberg Group
Du-Pont-StraBe 1
61352 Bad Homburg
Germany
Phone: +49 (0) 6172 484 - 432 / - 2460
Fax: +49 (0) 6172 484 499
E-mail: contest@linotype.com
Website: www.linotype.com/contest

تحية وفاء

زهوا الحروف على يديك تألقا — والسحر ما بين السطور ترقرقا

سكبت أناملك الروائع سلسلاً — من ذوب إبداعٍ جرى فتدفقا

غرر الصحائف وهي جذلى تزدهي — بجميلِ ما سطرت وجهاً مشرقا

وذرى المساجد إذ تعالى صرحها — رصّعتها خطّاً بديعاً مونقا

يا حسن يوسف في بدائع وشيه — ما أروع الحسن الذي لن يلحقا

باهت به الحدباء فذّاً لامعاً — وافى كريم الأعطيات موفقا

عرفته آفاق العراق بفنه — فسما بآفاق العراق وحلّقا

قد صان ميراث الجدود وحاز في — مضماره الشرف الرفيع الأصدقا

فغراسه قد أينعت وتتابعت — والنبع زال مشرباً ما رنقا

أأبا عصامٍ والمكارم جمّةٌ — قد حزتهن وكنت فيها المعرقا

إن المفاخر سابقتك تباهياً — فشأوتهن وكنت أنت الأسبقا

حييتك منا أحرفاً أحببتها — وأفتك توفي دينها أن تعشقا

فخر لشعر أن يزف نشيده — هيمان يمنحك الوفاء الأعمقا

حيّاك مني خافقٌ ويراعةٌ — الصادقان مقالةً أو منطقا

فرجوت ربي أن أراك موفقا — ودعوت ربي أن يديم لك البقا

الشاعر الدكتور خليل رشيد